دراسات في

علوم القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

ح المؤلف ، ١٤٢٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرومي، فهد بن عبد الرحمن
دراسات في علوم القرآن - الرياض.
٣٨٢ص؛ ١٧x ٢٤سم
ردمك ٥ - ٥ - ٩٠٤٥ - ٩٩٦٠
١ - القرآن - علوم أ - العنوان
ديوي ٢٢٠ ١٦/١٥٢٢
رقم الإيداع: ١٦/١٥٢٢
ردمك: ٥ - ٥ - ٩٠٤٥ - ٩٩٦٠

دراسات في

علوم القرآن الكريم

تأليف

أ. د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض

الطبعة الثامنة
«مزيدة عدة أبواب»

دار المتعلم
الزلفي

مكتبة التوبة
الرياض

الطبعة الثامنة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

عنوان المؤلف: المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤

هاتف: ٤٩٢٤٦٤٦ - جوال ٠٥٥٤٧٠٣٢٣

مكتبة دار المتعلم
المملكة العربية السعودية _ الزلفي
ص.ب ٦١٧ الزلفي ١١٩٣٢ _ هاتف وفاكس ٠٦٤٢٢٤٧٧٣

مكتبة التوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وإن القرآن كلام الله سبحانه أودع فيه الهدى والنور وأبان فيه العلم والحكمة، فأقبل العلماء ينهلون من معينه ويعبون من نُقَاخه فاستنبط الفقهاء

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
(٢) سورة النساء: الآية ١.
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.

من أحكامه، واهتدى أهل البيان بنظامه، وتفكر المتفكرون في قصصه وأخباره، وتأملت طائفة في حججه وبراهينه.

وأقبلت طائفة على تاريخ نزوله ومكيه ومدنيه وأول ما نزل وآخر ما نزل وأسباب النزول، وجمعه وتدوينه وترتيبه وناسخه ومنسوخه ومجمله ومبينه وأمثاله وقصصه وأقسامه وجدله وتفسيره حتى أصبحت هذه المباحث علوماً واسعةً غاص في بحورها العلماء واستخرجوا منها الدرر، واتسعت هذه الأبحاث حتى احتاج الناس إلى من يجمعها بإيجاز، ويتحدث عنها بإختصار.

وقد ألف العلماء في كل عصر مؤلفات تناسب معاصريهم في الأسلوب والتنظيم والترتيب والتبويب وما زالوا يؤلفون وكل منهم يبذل جهده ويتحرى ما وسعه التحري أن يبسط هذه العلوم بأسلوب ميسر يدني فيه البعيد ويوضح فيه المستغلق ويجلوبه المبهم.

ثم رأيت أن أشارك بالتأليف في هذه العلوم بجهدي المقل وإن لم أكن من أربابها بأسلوب حرصت على أن يكون ميسراً وبطريقة حرصت على أن تناسب الراغبين في التحصيل.

وقد تتابعت طبعات هذا الكتاب وفي بعضها تصحيحات وإضافات يسيرة لا تتجاوز الصفحات المعدودة.

وفي هذه الطبعة ـ السابعة ـ أضفت عدة أبواب هي (الوحي) و(أول ما نزل وآخر ما نزل) و(إعجاز القرآن الكريم) و(رسم المصحف) استجابة لطلب بعض الأخوة والأخوات الأعزاء وأنوي إن شاء الله أن أضيف في الطبعات التالية مباحث أخرى في علوم القرآن.

أسأل الله العون والتوفيق إنه سميع مجيب.

المؤلف

الرياض ١٦/١/١٤١٩هـ

تعريف علوم القرآن الكريم

المعجزة الكبرى:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾[1] وركب خلقه من جسد وروح، وجعل للجسد غذاءه وللروح غذاءها.

أما الجسد فجسم مادي يتغذى بالماديات وهي طعامه وشرابه وعلى الجسد أن يسعى لتحصيلها بالزراعة أو الصيد أو غيرها. وقد أعان الله الأجساد بتقريب غذائها إليها فليس عليها إلا أن تبذر البذرة أو تغرس الغرسة وترعاها فتنبت بإذن ربها ولو سلب الله من النبات هذه الخاصية لما كان لهذه الأبدان من قوة للإنبات ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾[2] وأدنى إليها الماء ليسهل إخراجه ولو بعد غوره لما استطاعت إخراجه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ۝٣٠﴾[3].

أما الروح وما أدراك ما الروح فقد أعانها الله تعالى على تحصيل غذائها وأدناه إليها وأرسل الرسل تهدى إليه ووهب العقول تؤمن به.

فإذا انحرفت أمة من الأمم عن سمت الصراط المستقيم أرسل الله

---

(١) سورة التين: الآية ٤.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٢.

(٣) سورة الملك: الآية ٣٠.

إليهم رسولاً منهم يعيدهم إليه ويظهر الله على يديه من المعجزات ما يظهر بها صدقه وتقوم بها حجته.

وقد كانت سنة الله تعالى في المعجزات أن تكون المعجزة التي يظهرها الله على يد كل نبي من أنبيائه من جنس ما برع فيه قومه وتفوقوا حتى تكون أقوى حجة وأظهر برهاناً وأصدق دليلاً.

والتحدي أقوى ما يكون إذا تحديت إنساناً فيما ظهر فيه وتفوق فإذا تحدى شاب في سباق طويل رجلاً عجوزاً لا يكاد يقوم من مقعده إلا بعصا تسنده ولا يكاد يمشي إلا دبيباً فإن تحديه هذا يكون موضع سخرية وهزء لا محل احترام وتقدير، ولكن التحدي يلقى التقدير إن تحدى شاباً اشتهر بسرعة عدوه وتفوق فيه.

وهكذا كانت المعجزات التي يظهرها الله على يد أنبيائه تكون في نطاق ما يعرفون بل فيما فاقوا فيه معاصريهم.

وتدبر - مثلاً - معجزة موسى عليه السلام. أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم قد نالوا في السحر درجة وشأوا بعيداً حتى امتلأت البلاد منهم والسحر له حد ينتهي إليه لا يتجاوزه، فالساحر لا يستطيع أن يحول قطعة ورق إلى فئة نقدية (حقيقة) بل (يخيل) لك ذلك فإذا غاب عنك عادت إلى الحقيقة فإذا بها قطعة ورق.

والسحرة يلقون حبالهم وعصيهم أمام موسى (فيخيل) إليه أنها تسعى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[1] وذلك لأنها لم تتحول حقيقة وإنما تحولت خيالاً.

وحين ألقى موسى عليه السلام عصاه لم يقل الله يخيل إليه أنها تسعى وإنما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة طه: الآية ٦٦.

(٢) سورة طه: الآية ٢٠.

ذلكم أنها تحولت إلى ثعبان حقاً وهذا لا يمكن حدوثه في عالم السحر[١].

إذاً فمعجزة موسى عليه السلام من جنس ما برع فيه قومه فكلاهما تحويل من حال إلى حال إلا أن السحر من حقيقة إلى خيال وأما معجزة موسى فمن حقيقة إلى حقيقة وإذا عجز عنه أولئك فهم عن غيره مما لم يبرعوا فيه أعجز.

ولهذا كان أول من أدرك إعجاز موسى عليه السلام هم السحرة أنفسهم أدركوا من فورهم أن معجزة موسى عليه السلام ليست بسحر وأن السحر لا يصل إلى درجتها وإنها لا يمكن أن تكون من موسى بل هي من رب موسى[٢] وإذا كانت من ربه فإنما أظهرها على يديه لتكون حجة على صدقه فأذعنوا من فورهم واستولى الإيمان على قلوبهم ولم يستأذنوا أحداً لأن ما أدركوا أقوى من أن يترك لهم فرصة للتردد والتشاور.

وانظر معجزة عيسى عليه السلام نما وازدهر الطب في عهده وبرع فيه قومه والطب له حَدُّه الذي ينتهي عنده في علاج الأبدان فهو يعالجها ما دامت الروح فيها لم تخرج أما إذا خرجت فقد عجز الطب والأطباء ومن هنا بدأت معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٣].

فمعجزته عليه السلام من جنس الطب الذي برع فيه قومه وإذا عجزوا

(١) ينبغي أن نفرق هنا بين حقيقة السحر وتأثير السحر فتأثيره حقيقي فقد يؤثر في العين فترى ما لا حقيقة له، وقد يؤثر في القلوب فيكره الزوج زوجته، وتكره الزوجة زوجها ونحو ذلك.

(٢) لذلك لم يقل السحرة آمنا بموسى وإنّما قالوا: ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾ طه: ٧٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

عن الإِتيان بمثل ما برعوا فيه فهم عن سواه أعجز وبهذا تكون حجته على قومه أقوى وأظهر.

أما صالح عليه السلام فقد أرسله الله تعالى إلى قوم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ولا تزال آثارهم باقية بزخارفها ونقوشها. والنحات مهما بلغ في فنه يقف عند حد التصوير لا يستطيع أبداً أن يبعث الحياة فيما نحت وجاءت معجزة صالح بأن أخرج لهم بإذن الله من الصخر[1] ـ الذي ينحتون منه ـ ناقة ذات روح تأكل وتشرب وتدر الحليب. والنحات يستطيع أن ينحت من الصخر شكل ناقة لكنه لا يستطيع أن يبعث فيها الحياة فكانت المعجزة من جنس ما تفوقوا فيه وإن لم تكن مثله.

أما العرب وقت بعثة الرسول ﷺ فإن نظرة فاحصة إلى مجتمعهم تظهر جلياً أن المجتمع كان مجتمعاً جاهلياً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

أما السياسة فكانت الحكومات تحيط بهم: الأكاسرة في فارس والقياصرة في الروم والمقوقس في مصر والنجاشي في الحبشة، أما الحجاز فلم يكن ثَمَّ ملك أو رئيس أو أمير، وإنما زعماء وصناديد لكل قبيلة تُفَرِّقُ أكثر مما تجمع وتُشَتِّتُ أكثر مما تُوَحِّدُ ولذا كان العرب أمة مستضعفة هانت على الآخرين يذهب زعماؤها إلى الشام مثلاً ويدخلونها كما يدخلها أي إنسان لا مزية له ولا مقام، ولو سافر زعيم فارس إلى الروم لاستقبل بالحفاوة وضربت له السرادق واستقبل استقبالاً مميزاً أما زعماء العرب فكانوا يدخلون الأسواق ويبيعون ويشترون لم يعرف أحد بدخولهم ولم يبال أحد بخروجهم فأنى لمثل هذه الزعامة أن يكون لها جانب مهاب.

وأما الاقتصاد فقوامه الصناعة والزراعة والتجارة. أما الصناعة فلم يكن ثَمَّ صناعة وإن وجد صناع فنجار فارسي أو حداد رومي أو صناعات لا تكاد تذكر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج:١٢ ص:٥٢٥ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ج:٢ ص:٢٤٥.

أما الزراعة فأرضهم غير ذات زرع وإن وجد فالمياه شحيحة والخبرة نادرة إلا النخيل على قلته فهو النوع الذي يمكن تخزينه والتجارة به من بلد إلى بلد وما سواه فإما أنه لا ينبت في أرضهم، أو لا يمكن الاحتفاظ به والاتجار لسرعة تلفه في مثل أجوائهم فالزراعة ليست ذات جدوى اقتصادية في بلادهم.

أما التجارة فكانت تقوم على رحلتين رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وما ظنكم بتجارة تلكم وسائلها وإمكاناتها وما تجدى بضاعة تحملها النوق من الشام أو من اليمن إلى مكة بعد مُضِيّ فترة طويلة بين رحلة وأخرى.

وإذا كانت الصناعة والزراعة والتجارة على هذه الحال فكيف سيكون اقتصاد البلاد!! وإذا كان هذا اقتصادهم فكيف ستكون حالتهم المعيشية.

وفي الناحية الاجتماعية كانوا قبائل شتى تقع الحرب بين القبيلتين لأتفه سبب وأهونه وتشتعل الحرب في أيام ولا تنطفئ إلا بعد سنوات.

حتى الأسرة يبدو التفكك فيها ظاهراً وكيف ترجو الترابط الأسرى في مجتمع يمتهن المرأة ويعاملها كالسلعة تباع وتشترى وتوهب وتكترى وتورث كما يورث متاع الدار، ومن ثم فلا تعجب إن خمدت عاطفة الأبوة فَيُقْدِم الأب على قتل أولاده لا لشيء إلا خشية الإملاق، ويدفن ابنته وهي حية لا لشيء إلا خشية العار.

تأمل في هذا المجتمع حيث لا سياسة توحد صفوفهم ولا اقتصاد يجمع كلمتهم ويوطد مصالحهم، ولا سلام يسود بينهم، ديدنهم توارث العداوات والأحقاد ودأبهم السلب والنهب ومعبودهم الأصنام والأوثان.

وإذا كان الأمر كذلك لا سياسة تشغلهم في بحث شؤون الدولة وإصدار الأنظمة والقوانين وبحث العلاقات السياسية مع الدول المجاورة ولا اقتصاد يجمعهم للتداول في أمره والتماس السبل الاقتصادية والمعاملات

التجارية أو صناعة تشغل وقتهم أو زراعة تملأ فراغهم إذا كان الأمر كذلك فإن الفراغ عندهم كبير لم يجدوا ما يملأوه به إلا الاجتماع في الأسواق والدور وأهون ما تملأ به هذه المجالس هي المحادثة فلا عجب أن برع هؤلاء في أساليبها وتذوقوا بليغها وطربوا لبيانها وبديعها.

ولا عجب أن عقدوا للكلمة أسواقاً يعرضون فيها قصائدهم وخطبهم وأن ترسل كل قبيلة وفدها يلتف حول شاعرها يمدح قبيلته ويمجد مآثرها ويعلن محاسن قومه والناس يصدقون الشاعر وإن كانوا يعلمون كذبه ويرددون أبياته وإن كانوا يعرفون مبالغتها أو افترائها.

ولا عجب ما دامت هذه مكانة الكلمة أن تهون قبيلة إذا هجيت بقصيدة وإن كانت كاذبة وأن يرفع أتباع القبيلة رؤوسهم فخراً إن مدحوا بقصيدة وما ذاك إلا لسلطة الكلمة بينهم فالكلمة في تلك الفترة لها سلطتها ترفع فيهم وتضع.

وحين أراد الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة خيراً واقتضت حكمته أن يبعث إليهم رسولاً يخرجهم من الظلمات إلى النور جاءت المعجزة وفق سنة الله في إظهار المعجزات التي جاءت على أيدي الأنبياء من قبله.

فكانت معجزته ﷺ من جنس ما تفوقوا فيه وملك ألبابهم وسيطر على عقولهم جاءت معجزته قرآناً يُقرأ ويُسمع يمسك البلاغة من أطرافها ويملك الإعجاز من مجامعه.

وحين ناوءوه وحاربوه وطاردوه هو وأهله وعشيرته وأصحابه وبذلوا كل ما يستطيعون للقضاء على دعوته أظهر لهم سبيلاً واحداً لذلك إن استطاعوا بأن يأتوا بمثل هذه القرآن أو بمثل عشر سور أو بمثل سورة أو بمثل حديث منه وكان هذا العرض أشد عليهم مما هم عليه من حربه لأنهم في حربه يؤملون القضاء على دعوته أما فيما تحداهم فيه فإنهم يعرفون سلفاً عجزهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن ومن ثَمّ لم يحاول أحد منهم ـ مجرد محاولة ـ أن يأتي بمثل هذا لأنه يعرف ـ سلفاً ـ أن لا سبيل إلى ذلك وأن

مجرد المحاولة سيجعله مثار هزء وسخرية أمام مجتمعه تماماً كمثل محاولة ذاك الذي يحاول أن يقفز بقدميه ناطحة من ناطحات السحاب إن مجرد محاولته مثار هزء وسخرية فاختاروا سبيل الحرب مع شدته على الإتيان بمثل هذا القرآن.

فإن قلت إذا كان القوم يدركون إعجاز القرآن فَلِمَ لم يؤثر في قلوبهم ويذعنون له؟ (قلت) إن القوم أدركوا هذا التأثير ولم يقفوا منه موقف المتفرج وإنما سعوا بكل ما في وسعهم لمحاصرته.

فكانوا يحذرون من مجالسة الرسول ﷺ وكانوا يستقبلون القوافل القادمة إلى مكة ويحذرونهم أول ما يحذرونهم من مجالسة محمد ﷺ أو الاستماع إليه. فإن صدع ﷺ في مجتمع بالقرآن وجهر به ضجوا بأصواتهم حتى لا يصل صوته إلى الآذان ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1] لأنهم يعرفون أن مجرد السماع له تأثيره القوى.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[2].

لكن هذا التأثير عند سماع القرآن لا يجدي إذا كان هناك عناد واستكبار لأن العناد لا تجدي معه حجة ولا ينفع معه البرهان.

وكان العناد هو المانع لكثير من أهل مكة عن الإسلام وحين لا يكون ثَمَّ عناد نرى التأثير القرآني فأهل المدينة مثلاً أرسل إليهم الرسول ﷺ رجلين هما مصعب بن عمير وعبد الله ابن أم مكتوم[3] رضي الله عنهما ـ فجلسا هناك يقرآن القرآن والناس يستمعون ولم يلبثوا إلا يسيرا حتى دخلت

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦.

(٣) انظر: سيرة هشام جـ:٢ ص:٧٧ ـ ٧٩، والكامل في التاريخ: ابن الأثير جـ:٢ ص:٦٧ ـ ٦٨.

المدينة في الإسلام وفتحت أبوابها لرسول الله ﷺ ولهذا قيل: «**فتحت البلاد بالسيف وفتحت المدينة بالقرآن**»[١].

فإن قلت ما الدليل على أن العناد هو المانع من التأثر بالقرآن قلت: الأدلة كثيرة يكفي منها اعتراف صريح لزعيم من زعماء قريش هو أبو جهل فقد روى ابن هشام أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شَرِيق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا... وحصل في الليلة الثانية ما حصل في الأولى.. وحين التقوا في الليلة الثالثة قال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا وسأل الأخنس بن شريق أبا جهل عن رأيه فيما سمعه من محمد فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف. اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الرُّكب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا!! والله لا نؤمن أبداً ولا نصدقه[٢].

والتقى الأخنس بن شريق، وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟»[٣].

حتى أبو طالب عمّ الرسول ﷺ أدرك صدق الرسول ﷺ ولم يمنعه

---

(١) مجمع الزوائد: الهيثمي ج:٣ ص:٢٩٨.
(٢) سيرة ابن هشام ج:١ ص:٣٣٧ ـ ٣٣٨.
(٣) أسباب النزول: الواحدي ص٢١٨ في الآية: ٣٣ الأنعام.

من الإسلام إلا خشية الملامة من قومه والمسبة فهو يقول:

فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا في المحافل
لكننا اتبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

إلى أن قال:

فأيده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل[1]

وقال أيضاً:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

كما حكى القرآن الكريم اعتراف الكفار بسلامة القرآن وإعجازه واعترافهم أن المانع لإسلامهم واقتناعهم ليس الضعف في حجج القرآن وبراهينه، وإنما هو الحسد أن ينزل هذا القرآن على محمد ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[2].

ويظهر هذا في قول الوليد بن المغيرة حين قال: «أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها!»[3].

ويبلغ عنادهم أقصاه حين أعلنوا رفضهم لقبوله حتى وإن كان حقاً حين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4].

ولعل في هذا دليلاً ظاهراً على أن المانع من إيمان أولئك كان العناد.

---

(١) سيرة ابن هشام ج:١ ص:٢٩٩.
(٢) سورة الزخرف. : الآية ٣١.
(٣) سيرة ابن هشام: ج:١ ص:٣٨٧.
(٤) سورة الأنفال: الآية: ٣٢.

أما طالبوا الحق فقد ملك القرآن أفئدتهم وهيمن على قلوبهم وزادهم خشوعاً فأذعنوا وأسلموا وأقبلوا على رسول الله ﷺ يتلو عليهم الآيات ويزكيهم.

وقد كان أصحابه رضوان الله عليهم عرباً خلصاً يفهمون القرآن الكريم بمقتضى اللغة والسليقة العربية فإن اشتبه عليهم لفظ أو غمض عليهم معنى سأل بعضهم بعضاً وإلا سألوا الرسول ﷺ فبينه لهم.

وما زالوا يقرأون القرآن ويتدبرون معانيه ويتدارسون أحكامه حتى حفظه كثير منهم واشتهر آخرون بدقة تفسيره واشتهرت طائفة بإحكام تلاوته وبهذا نشأت علوم القرآن الكريم في وقت مبكر.

تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين (علوم) و (القرآن) والمقام يقتضي أن نُعَرِّفَ كل كلمة وحدها لغة واصطلاحاً ثم نعقب على ذلك بتعريفهما معاً مركبتين تركيباً إضافياً.

تعريف العلوم:

العلوم جمع علم والعلم نقيض الجهل وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة ويراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين أو هو نور يقذفه الله في القلب.

ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة مثل علم النحو، وعلم الطب، وعلم الكيمياء.

ويجمع على (علوم) وقد تسمى به المباحث التى تتناول موضوعاً واحداً مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التجريبية.

تعريف القرآن:

من رحمة الله بعباده حين خلقهم أن أمدهم بما يهديهم إلى صراطه المستقيم الذي كلفهم بالاستقامة عليه.

فزودهم بالفطرة التي ترشدهم إلى الحق وتدلهم عليه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ

﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[1].

وأرسل إليهم الرسل تصحح لهم عقائدهم وتهديهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة وتبشرهم وتنذرهم﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2].

وأنزل معهم الكتب تبسط دعوتهم وترسي قواعد دينهم وتجلوا لهم أمور عقيدتهم.

وما زال الأنبياء يتتابعون ويبنون صرح الدين الإسلامي حتى بعث الرسول ﷺ وأنزل معه القرآن الكريم فأكمل الله به الدين وأكمل به الرسالة فكان خاتم الأنبياء وكان القرآن خاتم الكتب السماوية **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**[3].

وتوفي رسول الله ﷺ وبقي هذا القرآن محفوظاً من التحريف والتبديل معلناً عموم رسالة محمد ﷺ إلى الناس كافة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[4] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[5].

فلا عجب أن يكون في القرآن الكريم العلاج الحاسم والدواء الناجع لجميع ما يعترض الحياة الإنسانية في مسيرتها من أمراض روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية فهو تنزيل من حكيم حميد يعلم أمراض البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ويعلم علاج كل داء فضمنه القرآن الكريم وجعله باقياً إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٧٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٣) رواه البخاري ج: ٤ ص: ١٦٢، ورواه مسلم ج: ٤ ص: ١٧٩١.

(٤) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

(٥) سورة الفرقان: الآية ١.

فمتى ابتغت البشرية العلاج من غيره فقد ضلت ومن حكم بغيره فقد ظلم فهو العصمة لمن تمسك به وهو النجاة لمن اتبعه.

تعريف القرآن لغة:

اختلف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف. وهذا الاسم شأنه شأن الاسماء في العربية إما أن يكون جامداً أو مشتقاً.

فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي إلى أنه اسم جامد غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل.

وذهبت طائفة إلى أن هذا الاسم مشتق ثم افترقوا إلى فرقتين:

فقالت فرقة منهم إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة (ق ر ن) ثم اختلفوا:

١ ـ فقالت طائفة منهم الأشعرى[١]: أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ومنه سُمِّي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران.

٢ ـ وقالت طائفة منهم الفَرَّاء[٢]: أنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضاً.

وقالت فرقة منهم أن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضاً إلى فرقتين:

١ ـ فقالت طائفة منهم اللحيانى[٣] أن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج:١ ص:٢٧٨.
(٢) الاتقان: ج:١ ص:٨٧.
(٣) المرجع السابق: نفس الموضع.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨﴾[1] أي قراءته.

٢ ـ وقالت طائفة منهم الزجاج[2] أنه وصف على وزن فعلان مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه قال ابن الأثير: (وسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران)[3].

تلكم خلاصة الأقوال في تعريف القرآن لغة ولعل الرسم التوضيحي يزيدها بياناً ونستطيع أن نصور هذه الأقوال بطريقتين:

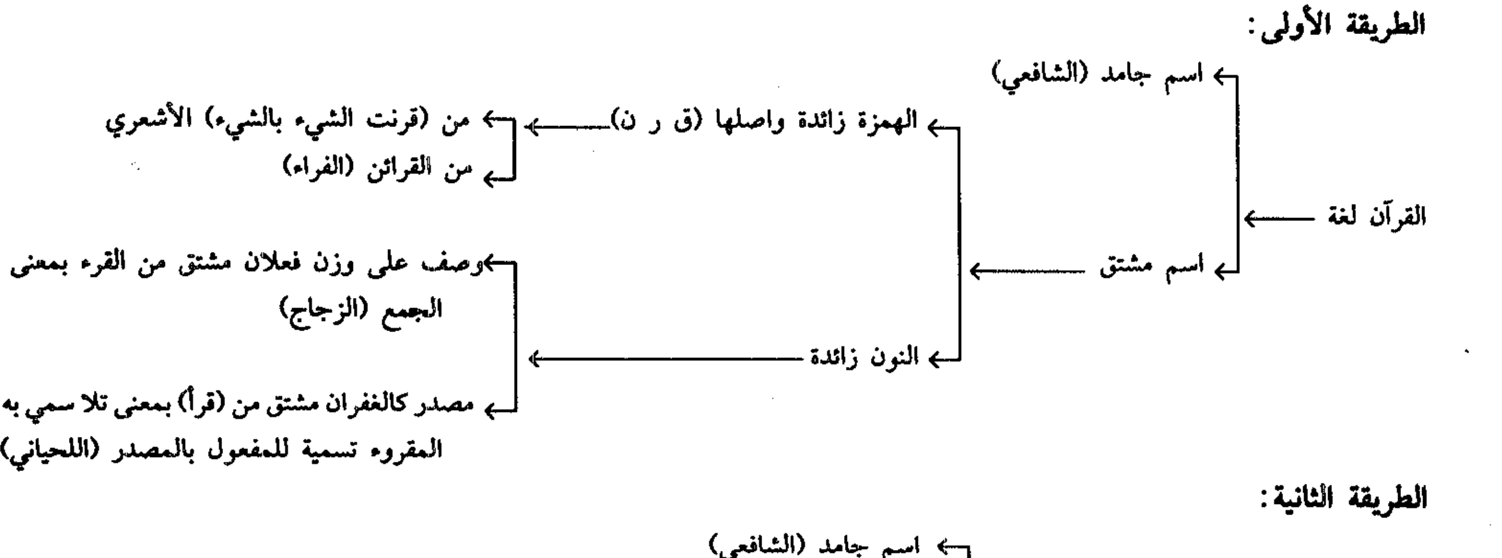
---

(١) سورة القيامة: الآية ١٧ ـ ١٨.

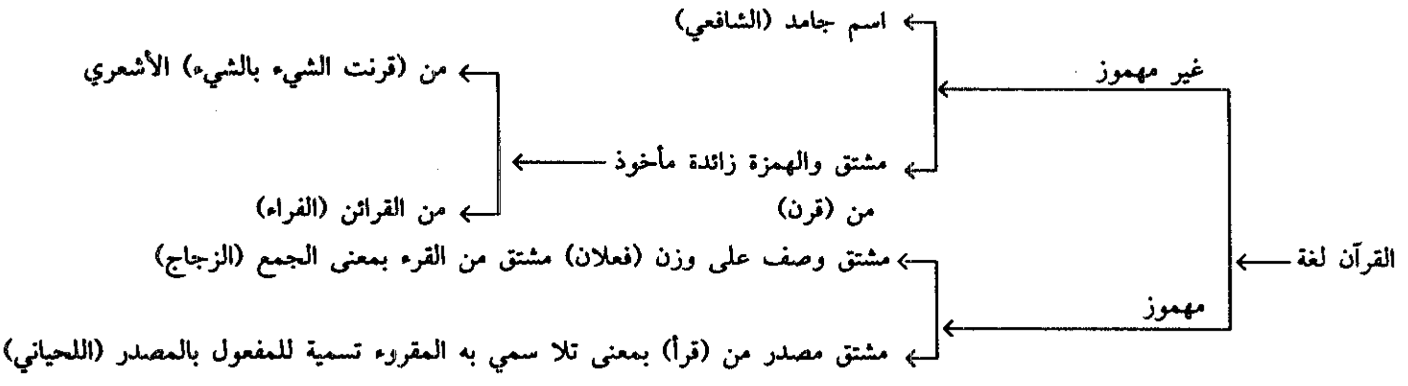
(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج:١ ص:٢٧٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ج:٤ ص:٣٠.

الطريقة الأولى:



الطريقة الثانية:



تعريف القرآن اصطلاحاً:

اختص القرآن الكريم بخصائص كثيرة ولعل هذه الخصائص سبب الاختلاف في تعريف القرآن بين العلماء فكل تعريف يذكر خاصية للقرآن يعرفه بها لا يذكرها الآخر ولهذا تعددت التعريفات.

فإذا كان هناك رجل طويل ويلبس ثوباً أبيض ورداءً أحمر وحوله أشخاص أقصر منه قامة ويلبسون ثياباً ملونة وأردية بيضاً فإن قلت فلان هو الطويل فقد عرفته وإن قلت إنه الذي يلبس الثوب الأبيض فقد عرفته وإن قلت الذي يلبس الرداء الأحمر فقد عرفته والمقصود في الكل واحد وإن اختلفت التعريفات.

وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه:

«كلام الله تعالى المُنَزَّلُ على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته».

شرح التعريف:

فقولنا: كلام الله: خرج به كلام الإنس والجن والملائكة.

وقولنا: المنزل: خرج به ما استأثر الله بعلمه أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر ذلكم أن من كلام الله ما ينزله إلى الناس ومنها ما يستأثر بعلمه ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[1].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[2]

وقولنا: على محمد ﷺ خرج به المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

المنزلة على موسى عليه السلام والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام والزبور المنزل على داود عليه السلام والصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام.

وقولنا: المتعبد بتلاوته خرجت به الأحاديث القدسية ونريد بالمتعبد بتلاوته أمرين:

الأول: أنه المقروء في الصلاة والذي لا تصح الصلاة إلا به، لقوله ﷺ **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**[1].

الثاني: أن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب أي تلاوة لغيره فقد ورد في فضل تلاوة القرآن من النصوص ما يميزها عن غيرها فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**[2].

وليس هذا الثواب لغير التعبد بتلاوة القرآن الكريم.

الفروق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية:

لعل من المناسب أن نذكر بعض الفروق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية حتى لا يتوهم أحد أن الفرق بينهما مقصور على التعبد بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي.

إذ أن هناك فروقاً كثيرة ذكر العلماء منها:

١ ـ أن القرآن الكريم تحدى الله الناس أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله أو بحديث مثله فعجزوا أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي والإعجاز.

---

(١) صحيح البخاري ج:١ ص:١٨٤، وصحيح مسلم ج:١ ص:٢٩٥.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ج:٥ ص:١٧٥، والدارمي ج:٢ ص:٤٢٩.

٢ ـ أن القرآن الكريم منقول بطريق التواتر فهو قطعي الثبوت كله سوره وآياته وجمله ومفرداته وحروفه وحركاته وسكناته، أما الحديث القدسي فأغلبه أحاديث آحاد ظني الثبوت.

٣ ـ أن القرآن الكريم من عند الله لفظاً ومعنى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله باتفاق العلماء، أما لفظه فاختلف فيه.

٤ ـ أن القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى أما الحديث القدسي فينسب إلى الله تعالى نسبة إنشاء فيقال: قال الله تعالى: ويروى مضافاً إلى الرسول ﷺ نسبة إخبار فيقال: قال رسول الله ﷺ: فيما يرويه عن ربه.

٥ ـ أن القرآن الكريم لا يمسه إلا المطهرون أما الحديث القدسي فيمسه الطاهر وغيره.

٦ ـ أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته من وجهين ـ كما سبق بيانه ـ:

أ ـ أن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي.

ب ـ أن ثواب تلاوة القرآن ثواب عظيم كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[1] والحديث القدسي ليس في تلاوته الثواب الوارد لتلاوة القرآن الكريم.

٧ ـ أن القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى أما الحديث القدسي فلا تحرم روايته بالمعنى.

٨ ـ أن القرآن الكريم لا يكون إلا بوحي جلي وذلك بنزول جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ يقظة فلم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ بالإلهام أو في المنام، أما الحديث القدسي فنزل بالوحي الجلي والخفي.

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ج:٥ ص:١٧٥، والدارمي ج:٢ ص:٤٢٩.

أما ما ورد في صحيح مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: **بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله! قال: «أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾»** الحديث[1].

فالواقع أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم ولعلها الحال التي تأتيه عند الوحي حيث يصيبه ﷺ ثقل في الجسم وتفصد العرق وشبه إغفاءة نوم والله أعلم.

٩ ـ أن القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد وقال: «لا أعلم في بيع المصاحف رخصة» ورخص في شرائها وقال: الشراء أهون. ورخص في بيعها الشافعي وأصحاب الرأي[2].

١٠ ـ أن القرآن الكريم تسمى الجملة منه آية والجملة من الآيات سورة، والأحاديث القدسية لا يسمى بعضها آية ولا سورة باتفاق.

١١ ـ أن القرآن الكريم يكفر من جحد شيئاً منه، أما الحديث القدسي فلا يكفر من جحد غير المتواتر منه.

١٢ ـ أن القرآن الكريم يشرع الجمع بين الاستعاذة والبسملة عند تلاوته. دون الحديث القدسي.

١٣ ـ القرآن الكريم يكتب برسم خاص هو رسم المصحف دون الحديث القدسي[3].

---

(١) رواه مسلم ج: ١ ص: ٣٠٠.

(٢) المغني: ابن قدامة ج: ٦ ص: ٣٦٧.

(٣) لعله من المناسب أن نذكر هنا تعريف الحديث القدسي في الإصطلاح وهو ـ كما قال العلماء ـ ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى، ولروايته صيغتان: الأولى أن يقول الراوي: قال رسول الله ﷺ: فيما يرويه عن ربه عز وجل، والثانية: أن يقول: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى أو يقول الله تعالى.

أسماء القرآن الكريم وصفاته:

للقرآن الكريم أسماء وصفات كثيرة وردت في بعض الآيات والأحاديث النبوية.

ولكثرة هذه الأسماء والصفات فقد أفردها بعض العلماء بمؤلفات مستقلة منهم:

١ ـ علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرّالي المتوفي سنة (٦٤٧هـ).

٢ ـ ابن قيم الجوزية المتوفي سنة (٧٥١هـ) واسم كتابه (شرح أسماء الكتاب العزيز).

٣ ـ صالح بن إبراهيم البليهي (معاصر) واسم كتابه (الهدى والبيان في أسماء القرآن) وهو مطبوع.

٤ ـ محمد جميل أحمد غازي (معاصر) واسم كتابه (أسماء القرآن في القرآن). مطبوع.

٥ ـ د. خمساوي أحمد الخمساوي (معاصر) واسم كتابه (أسماء القرآن الكريم في القرآن). مطبوع.

عدد أسماء القرآن الكريم:

وقد وقع الاختلاف بين العلماء رحمهم الله تعالى في عدد أسماء القرآن الكريم، فذكر الزركشي أن الحرّالي أنهى أساميه إلى نيف وتسعين إسماً[1].

لكن الزركشي نفسه لا يورد إلا خمسة وخمسين إسماً نقلها عن أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدله[2].

أما الفيروز آبادي فقد قال في كتابه (بصائر ذوى التمييز): «ذكر الله تعالى للقرآن مائة إسم نسوقها على نسق واحد»[3] لكنه ـ رحمه الله تعالى ـ

---

(١)(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج:١ ص:٢٧٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي ج:١ ص:٨٨.

لم يذكر إلا تسعة وثمانين إسماً وزادها أربعة أسماء فتكون جملتها ثلاثة وتسعين إسماً في القرآن للقرآن.

وذكر الدكتور خمساوي تسعة وتسعين إسماً مشتقة كما يقول من إثنين وسبعين مادة لغوية[1].

ولم يورد الشيخ صالح البليهي ـ رحمه الله تعالى ـ إلا ستة وأربعين إسماً لاعتقاده أن بعض هذا العدد ـ إن لم يكن أكثره ـ أوصاف للقرآن وليست بأسماء[2].

ومن أسماء القرآن الكريم:

١ ـ القرآن: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾[3].

٢ ـ الكتاب: في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[4].

٣ ـ الذكر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[5].

٤ ـ الفرقان: في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[6].

٥ ـ النور: في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[7]

ومن صفات القرآن الكريم:

١ ـ المبارك: في قوله تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾[8].

٢ ـ هدى، ورحمة: في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[9].

٣ ـ الكريم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾[10].

٤ ـ الحكيم: في قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[11].

٥ ـ الفصل: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾[12].

---

(١) أسماء القرآن الكريم في القرآن: د. خمساوي الخمساوي ص:٥.
(٢) الهدى والبيان في أسماء القرآن: صالح البليهي ص:٤٤.
(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ١.
(٥) سورة الحجر: الآية ٩.
(٦) سورة الفرقان: الآية ١.
(٧) سورة التغابن: الآية ٨.
(٨) سورة الانعام: الآية ٩٢.
(٩) سورة لقمان: الآية ٣.
(١٠) سورة الواقعة: الآية ٧٧.
(١١) سورة يونس: الآية ١.
(١٢) سورة الطارق: الآية ١٣.

حكمة تعدد أسماء القرآن الكريم:

وقد بين العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ حكمة تعدد الأسماء للقرآن الكريم فقال الفيروز آبادي ـ رحمه الله تعالى ـ: «إعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته»[1].

الاشتراك والامتياز بين أسماء القرآن الكريم:

وبين أسماء القرآن الكريم الكثيرة اشتراك وامتياز، فهي تشترك في دلالتها على ذات واحدة هي القرآن الكريم نفسه ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالته على معنى خاص، فكل اسم للقرآن يدل على حصول معناه فيه، فتسميته مثلاً بالهدى يدل على الهداية فيه، وتسميته بالتذكرة يدل على أن فيه ذكرى، وهكذا[2].

كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن لفظ السيف والصارم والمهند.. فإنها تشترك في دلالتها على الذات فهي من هذا الوجه كالمتواطئة، ويمتاز كل منها بدلالته على معنى خاص فتشبه المتباينة وأسماء الله وأسماء رسوله وكتابه من هذا الباب[3].

مصدر أسماء القرآن الكريم:

وأسماء القرآن الكريم وصفاته توقيفية لا نسميه ولا نصفه إلا بما جاء في الكتاب أو في السنة النبوية الشريفة.

---

(١) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي ج:١ ص:٨٨.

(٢) خصائص القرآن الكريم: فهد الرومي ص:١٢٣.

(٣) مجموع فتاوي ابن تيميه: ج:٢٠ ص:٤٩٤.

الفرق بين المصحف والقرآن الكريم:

فإن قلت: أرأيت تسميته بالمصحف هل وردت في الكتاب أو السنة؟
قلت: إن المصحف ليس إسماً للقرآن ذاته وإنما هو اسم للصحف التي كتب عليها القرآن، ولم يطلق عليه (المصحف) إلا بعد جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في صحف ضم بعضها إلى بعض فسميت مصحفاً.

ولهذا نرى العلماء يتحدثون عن حكم بيع المصحف ولم يقل أحد منهم بيع القرآن، فالقرآن كلام الله تعالى، أما المصحف فهو من عمل البشر وصناعتهم التي يبتغون بها الرزق والكسب الحلال[1].

ولهذا أيضاً لا يصح أن يجمع لفظ القرآن لأن القرآن واحد لا يختلف في كل المصاحف، أما المصحف فيصح جمعه فيقال «مصاحف» لأن كل واحد منها أو مجموعة تختلف عن الأخرى.

ولهذا - أيضاً - لا يقال قرآن عثمان أو قرآن علي أو قرآن أبي وأما المصحف فيصح أن يقال مصحف عثمان ومصحف علي ومصحف أبيّ بن كعب ومصحف ابن مسعود رضي الله عنهم لأن هذه المصاحف من عملهم دون القرآن.

فائدة في تسميته بالقرآن والكتاب:

وهناك إشارة دقيقة استنبطها بعض العلماء من تسميته بالقرآن والكتاب فقال: روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه.

---

(١) خصائص القرآن الكريم: فهد الرومي ص: ١٢٤.

وفي تسميته بهذين الأسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه في الصدور، والسطور جميعاً. أن تضل إحداهما فتذكر الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية إقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز[١].

تعريف علوم القرآن:

لعلوم القرآن معنيان: معنى إضافي ومعنى عَلَمٌ على الفن المدون وإليك بيان ذلك:

المعنى الاضافي:

اعلم أن الاضافة بين «علوم» و «القرآن» تشير إلى أنواع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها أو أن القرآن دلّ على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها. فيشمل كل علم خدم القرآن أو استند إليه كعلم التفسير وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم اللغة وغير ذلك.

بل توسع بعض العلماء فعد منها علم الهيئة والفلك والجبر والهندسة والطب وغيرها[٢] والحق أنه وإن كان القرآن الكريم يدعو إلى تعلمها إلا أنه لا يَجْمُلُ عَدُّها من علوم القرآن لأن هناك فرقاً كبيراً بين الشيء يحث القرآن

---

(١) النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، ص:١٢ ـ ١٣.

(٢) الاتقان: السيوطي جـ:٢ ص:١٢٧.

على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه[1]

وبهذا يظهر لك أن علوم القرآن بالمعنى الإضافي تشمل كل العلوم الدينية والعربية.

معناه كفن مدون:

ثم نُقِلَ المعنى الإضافي وجعل علماً على الفن المدون وأصبح مدلوله كفن مدون أخص من مدلوله بالمعنى الإضافي.

ويُعَرَّفُ علوم القرآن كفن مدون بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك.

ويسمى هذا العلم بـ «أصول التفسير» لأنه يتناول العلوم التي يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها.

موضوع علوم القرآن الكريم:

هو القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف[2].

ثمرة علوم القرآن الكريم:

١ ـ تيسير تفسير القرآن الكريم فهي مفتاح باب التفسير ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن[3].

٢ ـ معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلومه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل.

---

(١) مناهل العرفان: الزرقاني، جـ:١ ص:١٧.
(٢) المرجع السابق: جـ:١ ص:٢٠.
(٣) المرجع السابق: جـ:١ ص:٢٠ ـ ٢١.

٣ ـ التسلح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.

٤ ـ الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم.

نشأة علوم القرآن وتطورها

في عهد الرسول ﷺ:

حين نزل جبريل على الرسول ﷺ في غار حراء بصدر سورة إقرأ نزل عليه الصلاة والسلام وذهب إلى زوجته خديجة - رضي الله عنها - وأخبرها بما حدث في الغار وتلا عليها الآيات من حفظه.

وحين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يصدع بما يؤمر وأن يعلن الدعوة إلى الإسلام امتثل الرسول ﷺ الأمر فدعا الناس إلى الإسلام وأقبل من أسلم منهم على القرآن الكريم يتلونه حق التلاوة ويجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم لحفظه وتدبر آياته وكانوا عرباً خلصاً يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى سأل بعضهم بعضاً فقد يكون أحدهم أعلم من الآخر فإن أشكل عليهم سألوا الرسول ﷺ فبينه لهم.

وبهذا ندرك أن علوم القرآن نشأت منذ وقت مبكر في الإسلام بل منذ أشرقت شمس الإسلام ذلكم أن حفظ القرآن، وتلاوته وتدبره، وتفسيره من أهم علوم القرآن الكريم.

في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

وإذا نظرنا إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم وجدناهم يتعلمون علوم القرآن مشافهة ولم يعرف عندهم تدوين لعلوم القرآن لعدة أسباب أهمها:

١ ـ أن أغلب الصحابة كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

٢ ـ أن أدوات الكتابة لم تكن متوافرة عندهم.

٣ ـ أن الرسول ﷺ نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن بقوله ﷺ **«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»**[1]. ويعتقد بعض الناس أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما نهى الصحابة عن كتابة شيء غير القرآن خشية أن يلتبس بغيره ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذا ليس بصحيح ذلكم أن القوم كانوا ذوي ذكاء في القريحة، وتذوق للبيان، وتقدير للأساليب ووزن لما يسمعون بأدق المعايير ويدركون إعجاز القرآن الكريم ـ بمجرد سماعه ـ إدراكاً تاماً يأخذ منهم بالألباب ويسيطر منهم على الأفئدة فأنى لهم أن يختلط عندهم بغيره من كلام البشر، بل العلة في ذلك أنه ﷺ أراد توزيع مسؤولية التبليغ عنه على جميع الصحابة ولو أذن للكُتَّاب بالكتابة لاعتقد الأميون أن مسؤولية التبليغ مقصورة على الكُتَّاب الذين يحتفظون عندهم بالنصوص الشرعية وأن ذمتهم هم بريئة، فلما نهى الرسول ﷺ من يكتب عن كتابة غير القرآن أصبح الصحابة كلهم سواسية في التلقي عن الرسول ﷺ لا يتميز من يكتب عمن لا يكتب وأصبحت الدعوة إلى الله يشترك فيها الجميع وخير للدعوة أن ينشرها كل الصحابة من أن يقتصر أمرها على عدد من الكتاب.

فإن قلت إن كان الأمر كذلك فلم أذن لهم الرسول ﷺ بكتابة القرآن؟ قلت إن تبليغ القرآن لا يَرِدُ عليه ما يَرِدُ على تبليغ غيره فلن يعتقد الأميون منهم أن تبليغه واجب على الكُتَّاب فحسب فهم يقرأونه سراً وجهاراً في بيوتهم وفي مساجدهم في خلواتهم وفي مجتمعهم وفي صلواتهم فلتبليغه وسائل كثيرة لا تتحقق لغيره ولا تقتصر على الكُتَّاب دون الأميين فالجميع يتلوه ويقوم به آناء الليل وأطراف النهار فلن يَتَّكِلَ الأميون

---

(١) رواه مسلم، جـ:٥ ص:٢٢٩٨ ـ ٢٢٩٩.

في تبليغه على الكُتَّاب لإدراكهم أن الجميع مكلف بتلاوته في السطور وحفظه في الصدور.

ولهذا تغلب الصحابة رضوان الله عليهم على الأسباب السابقة المانعة من تدوين علوم القرآن بما حققوه للقرآن وذلك بالاعتماد على قوة الحافظة فحفظوا علوم القرآن كما يحفظون الآيات، أخرج الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[1] وروى أبو عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[2].

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[3]، ويقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو على المنبر: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل»[4]، والنصوص في ذلك كثيرة كلها تثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكتفوا بحفظ نصوص القرآن الكريم فحسب بل حفظوا معها علومه ومعارفه.

واشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن منهم الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن الزبير، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود،

---

(١)(٢) تفسير الطبري: ج:١ ص:٨٠.

(٣) صحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ج:٦ ص:١٠٢.

(٤) الاتقان في علوم القرآن: السيوطي ج:٢ ص:١٨٧.

وأبو موسى الأشعري وعائشة[1] رضي الله عنهم.

وكثرت الرواية في التفسير عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم.

ولم يتكلف الصحابة رضوان الله عليهم التفسير ولم يخوضوا فيما لا فائدة كبيرة في تحصيله، ولم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله فبعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى بيان لمعرفتهم للغة وأحوال المجتمع وأسباب النزول وغير ذلك، وقد كانوا يهتمون بنشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين.

في عهد التابعين رحمهم الله تعالى:

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان المفتوحة يعلمون أهلها القرآن ويفسرون لهم معانيه، وينشرون لهم علومه ومعارفه فبذله لهم الصحابة وفتحوا لهم صدورهم وأفسحوا لهم مجالسهم فنشأت ما يصح أن نطلق عليها بالمعنى الحديث (مدارس التفسير) وهي كثيرة وأشهرها ثلاث مدارس:

مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما في مكة:

وهو حبر هذه الأمة وترجمان القرآن وهو الذي دعا له الرسول ﷺ بقوله: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**[2].

ومن أشهر تلاميذه سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمه مولى ابن عباس، وطاوس، وعطاء بن أبي رباح.

---

(١) يقصر كثير من الباحثين مشاهير المفسرين من الصحابة على هؤلاء العشرة، وأحسب أن عائشة رضي الله عنها لا تقل مكانتها في التفسير عنهم فأضفتها إليهم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج:١ ص:٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥.

مدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه بالمدينة:

وقد كان رضي الله عنه أحد كتاب الوحي، وإمام القراء، شهد له الرسول ﷺ بقوله: «**أقرؤهم أبي بن كعب**»[١].

ومن أشهر تلاميذه زيد بن أسلم، وأبو العاليه الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي.

مدرسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة:

وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وأسمعه قريشاً بعد الرسول ﷺ - قال عنه الرسول - عليه الصلاة والسلام: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**»[٢] يعني ابن مسعود وأخبر هو عن نفسه فقال: «**والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة**»[٣].

ومن أشهر تلاميذه علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وقتادة بن دعامة، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلمي.

وأهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الكوفة هم أعلم الناس بالتفسير كما يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى بن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم»[٤].

---

(١) رواه الترمذي جـ:٥ ص:٦٦٤ - ٦٦٥ كتاب المناقب، وابن ماجه في سننه جـ:١ ص:٦٨.

(٢) سنن ابن ماجه: جـ:١ ص:٦٣.

(٣) صحيح البخاري جـ:٦ ص:١٠٢ باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

(٤) مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرزور ص:٦١.

ولم يكن تفسير هؤلاء وغيرهم من الصحابة والتابعين مقتصراً على علم التفسير بمعناه الخاص بل كان يشمل مع هذا علم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمدني، ونحو ذلك.

كما لم يكن شاملاً للقرآن الكريم، ولا مدوناً، وإنما كان بالرواية والتلقين.

عهد التدوين:

وفي هذا العهد دونت بعض علوم القرآن الكريم كالقراءات وغريب القرآن والناسخ والمنسوخ وأما التفسير فكان تدوينه حين بدأ تدوين الحديث النبوي، ومر بمراحل قبل أن يكون على ما هو عليه الآن.

فبدأ تدوينه أول ما بدأ على أنه باب من أبواب الحديث، وممن دَوَّنه في هذه المرحلة: يزيد بن هارون السلمي (ت١١٧هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ) ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينه (ت١٩٨هـ)، وغيرهم، وكان جمعهم للتفسير جمعاً لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعاً للتفسير على استقلال وانفراد. وجميع ما نقلوه فيها كان بالإسناد ولم يصل إلينا شيء منها[1].

ثم دُوِّنَ التفسير مستقلاً وأصبح علماً قائماً بنفسه وأشهر من دونه على هذا النحو يحيى بن سلام البصري[2] (ت٢٠٠هـ)، وابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، وابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، وابن حبان (ت٣٦٩هـ)، والحاكم (ت٤٠٥هـ)، وابن مردويه (ت٤١٠هـ) وغيرهم وكل ما في هذه التفاسير كان بالإسناد.

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي: ج:١ ص:١٤١ (بتصرف). (قلت) والأمر يحتاج إلى تحقيق ودراسة.

(٢) قامت بتحقيق هذا التفسير الأخت الفاضلة الدكتورة هند شلبي في تونس ولم يطبع بعد وقام بتحقيقه أيضاً ثلاثة من الباحثين في رسائل علمية، والموجود من التفسير فيه سقط نحو الثلث في مواضع مختلفة ولهذا التفسير ثلاثة مختصرات «تفسير هود بن محكم» و«تفسير أبي المطرف» و«تفسير ابن أبي زمنين».

ويُعَدُّ تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى أقدم تفسير شامل وصل إلينا كاملاً عرض فيه صاحبه للأقوال والروايات المختلفة في التفسير ورجح بعضها على بعض، كما عرض للإعراب والإستنباط واللغة وله في ذلك السبق[1].

والتفسير ـ كما نعلم ـ أحد علوم القرآن الكريم، بل هو نواة علوم القرآن الكريم وبهذا يكون التفسير أول علم من علوم القرآن بدأت الكتابة فيه.

وقد أَلَّف العلماء في العلوم الأخرى كتباً مستقلة منها ما وصل إلينا ومنها ما هو مفقود.

ففي القرن الثاني الهجري:

ألف الحسن البصري (ت١١٠هـ) في (القراءة)، وعطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) في (غريب القرآن)، وقتادة بن دعامه السدوسي (ت١١٧هـ) في (الناسخ والمنسوخ).

وفي القرن الثالث الهجري:

أَلَّف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) في (الناسخ والمنسوخ)، وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) في (أسباب النزول)، وابن قتيبه (ت٢٧٦هـ) (تأويل مُشْكِل القرآن) و (تفسير غريب القرآن).

وفي القرن الرابع الهجري:

أَلَّف أبو اسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) (إعراب القرآن)، وأَلَّف ابن درستويه (ت٣٣٠هـ) في (اعجاز القرآن)، وأَلَّف أبو بكر السجستاني (ت٣٣٠هـ) (تفسير غريب القرآن)، وأَلَّف أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) (اعجاز القرآن).

---

(١) فتفسير يحيى بن سلام غير كامل، وتفسير هود بن مُحكَّم غير مسند، وتفسير مجاهد بن جبر وتفسير مقاتل بن سليمان لا تعرض للأقوال والترجيحات كابن جرير ولذا لم أعتبر أسبقيتها.

وفي القرن الخامس الهجري:

ألَّف علي بن إبراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) في (إعراب القرآن)، وألَّف الماوردي (ت٤٥٠هـ) (أمثال القرآن)، وألَّف أبو الحسن الواحدي (ت٤٦٨هـ) كتابه أسباب النزول، وألَّف ابن ناقيا (ت٤٨٥هـ) كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن).

وفي القرن السادس الهجري:

ألَّف الكرماني (ت بعد٥٠٠هـ) (البرهان في متشابه القرآن)، وألَّف الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) (المفردات في غريب القرآن)، وألَّف ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) (الإقناع في القراءات السبع)، وألَّف السهيلي (ت٥٨١هـ) (مبهمات القرآن).

وفي القرن السابع الهجري:

ألَّف علم الدين السخاوي ت (٦٤٣هـ) (جمال القراء وكمال الإقراء)، والعز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) (مجاز القرآن)، وألَّف ابن أبي الأصبع (ت٦٥٤هـ) كتابه (بدائع القرآن)، وألَّف محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٠هـ) (أسئلة القرآن وأجوبتها).

وفي القرن الثامن الهجري:

ألَّف ابن القيم (ت٧٥١هـ) (التبيان في أقسام القرآن)، وألَّف الخراز (ت٧١١هـ تقريباً) (مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن)، وألَّف الطوفي (ت٧٠٦هـ) (الإكسير في علم التفسير)، وألف أبو حيان النحوى (ت٧٤٥هـ) (لغات القرآن) وألف ابن كثير (ت٧٧٤هـ) كتابه (فضائل القرآن).

وفي القرن التاسع الهجري:

ألف ابن حجر (ت٨٥٢هـ) (العجاب في بيان الأسباب)، وألف الكافيجي (ت٨٧٩هـ) (التيسير في قواعد علم التفسير)، وألف السيوطي (ت٩١١هـ) كتابه (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) وكتابه (لباب النقول في أسباب النزول).

وفي القرن العاشر الهجري:

ألف القسطلاني (ت٩٢٣هـ) (لطائف الإشارات في علم القراءات)، وألف أبو يحيى زكريا الانصاري (ت٩٢٦هـ) كتابه (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) وألف ابن الشحنه (ت٩٢١هـ) (غريب القرآن).

وفي القرن الحادي عشر الهجري:

ألف الشيخ مرعي الكرمي (ت١٠٣٣هـ) (قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن)، وألف أحمد بن محمد المقرى (ت١٠٤١هـ) كتابه (إعراب القرآن)، وألف البناء (ت١١١٧هـ) (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر).

وفي القرن الثاني عشر الهجري:

ألف عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ) (كفاية المستفيد في علم التجويد)، وألف الجمزوري (ت١١٩٨هـ) (تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن)، وألف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) (فضائل القرآن).

وفي القرن الثالث عشر الهجري:

ألف الدمياطي (ت١٢٨٧هـ) (رسالة في مبادئ التفسير)، وألف الهوريني (كان حياً ١٢٨٦هـ) (الجوهر الفريد في رسم القرآن المجيد)، وألف ابن حميد العامري (ت١٢٩٥هـ) (الناسخ والمنسوخ).

وفي القرن الرابع عشر الهجري:

ألف مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وألف د/محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ) كتابه (النبأ العظيم)، وألف سيد قطب (١٣٨٧هـ) (التصوير الفني في القرآن)، وكتاب (مشاهد القيامة في القرآن)، وألف محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ) (التفسير والمفسرون).

هذه أمثلة للمؤلفات في علوم القرآن الكريم في القرون السابقة وهي مؤلفات كثيرة بل لا تكاد تحصى كثرة.

وحين تنظر فيما ذكرت من المؤلفات تجد كل واحد منها يتناول علماً واحداً من علوم القرآن الكثيرة وقد اتجهت أنظار العلماء إلى تأليف كتب تتحدث عن هذه العلوم جميعاً فتعرّف كل علم تعريفاً موجزاً وتتناوله تناولاً ميسراً فكان هذا العلم الذي سموه (علوم القرآن) بالمعنى المدون.

ظهور اصطلاح علوم القرآن:

لم تكن علوم القرآن بخافية على العلماء المبرزين قبل التدوين بل كانت مجموعة في صدورهم إلا أن اصطلاح (علوم القرآن) لم يظهر في عناوين مؤلفاتهم إلا في فترة متأخرة. حيث ظهر هذا الاصطلاح أول ما ظهر في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألف محمد بن خلف بن المرزبان (ت٣٠٩هـ) كتابه «الحاوي في علوم القرآن»[1].

واعتقد بعض الباحثين أن أول عهد لظهور اصطلاح (علوم القرآن) هو بداية القرن الخامس حين ألف علي بن إبراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) كتابه «البرهان في علوم القرآن» وهذا غير صحيح لأن اسم كتاب الحوفي «البرهان في تفسير القرآن»[2]، ولأنه ظهرت كتب في القرن الذي قبله تناولت علوم القرآن بمعناها المدون وأسبقها ما ذكرت لابن المرزبان وغيره.

أهم المؤلفات في علوم القرآن (كفن مدون) قديماً:

وقد ظهرت مؤلفات كثيرة بعد ذلك في علوم القرآن كفن مدون ففي

---

(١) الفهرست ابن النديم ص:٢١٤، وطبقات المفسرون: الداودي ج:٢ ص:١٤١.

(٢) مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده، ج:٢ ص:١٠٧، ومعجم الأدباء: ياقوت الحموي ج:١٢ ص:٢٢٢، وكشف الظنون: حاجي خليفه ج:١ ص:٢٤١.

القرن الرابع الهجري[1].

ألّف أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) كتابه (المختزن في علوم القرآن)[2] وألّف عبيد الله بن جرو الأسدي (ت٣٨٧هـ) كتابه (الأمد في علوم القرآن)[3] وألف محمد بن علي الأدفوي (ت٣٨٨هـ) كتابه (الاستغناء في علوم القرآن)[4].

وفي القرن السادس الهجري ألف ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) كتابه «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن»[5] و «المجتبى في علوم القرآن»[6]، و «المجتنى من المجتبى»[7].

وفي القرن السابع الهجري ألف القزويني (ت٦٢٥هـ) كتابه «الجامع الحريز الحاوي لعلوم كتاب الله العزيز»[8]، وألف أبو شامة المقدسي

---

(١) ينسب كثير من الباحثين كتاب «عجائب علوم القرآن» لأبي بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ) مستندين في ذلك إلى ما ذكره الزرقاني في «مناهل العرفان» وقد ظهر لي يقيناً إن الكتاب المذكور ليس لأبي بكر الأنباري بل هو كتاب «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزي وسبب وقوع هذا الوهم نسخة مخطوطة في مكتبة البلدية بالإسكندرية أخطأ مفهرسوا المكتبة في معرفة المؤلف فنسبوها لأبي بكر الأنباري.

(٢) طبقات المفسرين: الداودي ج:١ ص:٣٩١، وتاريخ التراث العربي ج:٢ ص:٣٧٧، ومعجم المفسرين: عجاج نويهض: ج:١ ص:٣٥٤.

(٣) طبقات المفسرين: الداودي ج:١ ص:٣٧٢، ومعجم الأدباء: ياقوت الحموي ج:١٢ ص:٦٦، ومعجم المفسرين: عادل نهويض ج:١ ص:٣٤١.

(٤) طبقات المفسرين: الداودي ج:٢ ص:١٩٤، ومعجم المفسرين ج:٢ ص:٥٧٨.

(٥) طبع بتحقيق الدكتور عبد الفتاح عاشور على نسختين مخطوطتين بعنوان (عجائب علوم القرآن) وطبع مرة أخرى بتحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر على ست نسخ مخطوطة.

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة ج:١ ص:٤١٧.

(٧) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: ابن الجوزي تحقيق د/حسن ضياء الدين عتر ص:٤٠.

(٨) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: أبي محمد بن أبي الوفاء ج:١ ص:١٣٣، طبقات المفسرين: الداودي ج:١ ص:٣٣.

(ت٦٦٥هـ) كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»[١].

وفي القرن الثامن الهجري ألف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) كتابه «البرهان في علوم القرآن» وطبع في أربعة مجلدات بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وهو من أفضل المؤلفات في علوم القرآن الكريم ومن أحسنها تنظيماً وتبويباً وأسلوباً، وألف ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) كتابه «مقدمة في أصول التفسير» وهي مع إيجازها قيمة جداً وطبعت مراراً.

وفي القرن التاسع الهجري ألف أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي كتابه (الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة) طبع في جزء بتحقيق إدريس عزوزي.

وفي القرن العاشر الهجري ألف جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) كتابه «التحبير في علوم التفسير»[٢] ذكر فيه ١٠٢ نوعاً من علوم القرآن ثم ألف كتابه القيم «الإتقان في علوم القرآن» ذكر فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والدمج ثم قال بعد سردها «ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاث مئة»[٣] وقد طبع الكتاب عدة مرات وصدر أخيراً في أربعة مجلدات بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ويعد هذا الكتاب أصل من الأصول المؤلفة في هذا العلم ولئن قيل أن المفسرين عيال على تفسير الطبري فإن علماء علوم القرآن عيال على الإتقان وقد استفاد السيوطي كثيراً من كتاب (البرهان) للزركشي.

وفترت همة التأليف بعد ذلك بل قال بعض العلماء إن التأليف في تلك الفترة توقف أوكاد[٤] وظهرت مؤلفات معدودة مثل «الفوز الكبير في

---

(١) طبع سنة ١٣٩٥هـ بتحقيق طيار آلتي قولاج.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: السيوطي ج:١ ص:٣.

(٣) المرجع السابق ج:١ ص:٧.

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد أبو شهبة، ص:٤١.

أصول التفسير» تأليف ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)[١]، وألف ابن عقيله (ت١١٥٠هـ) كتابه «الزيادة والإحسان في علوم القرآن»[٢].

المؤلفات في علوم القرآن بمعناه المدون في العصر الحديث:

وقد نشط التأليف في العصر الحديث فصدرت مؤلفات كثيرة وأبحاث عديدة ليس المقام مقام إيرادها ولا حصرها ولعل من أشهرها:

١ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني وطبع في مجلدين وهو بحق من أفضل المؤلفات في هذا العلم فهو إضافة إلى اشتماله على كثير من علوم القرآن، فقد اعتنى صاحبه بالرد على الشبهات الواردة في كل علم قديماً أو حديثاً، وهو حين يوردها يسوق حججها وبراهينها ثم يكر عليها فلا يبقى لها أثراً وإضافة إلى هذا فإنه يقدم هذه العلوم بأسلوب أدبي يشدك إليه شداً حتى لتحسب نفسك ـ وأنت تخوض عويص القضايا ـ تقرأ قطعة أدبية ولست أعنى بهذا سلامته من كل عيب ففيه أخطاء تتبعها أحد الباحثين في رسالة علمية إضافة إلى تقريره مذهب الأشاعرة.

٢ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم: للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة ألفه لطلبة الدراسات العليا في الجامعة الأزهرية، ويقع في مجلد تبلغ صفحاته نحو خمس مائة صفحة.

٣ ـ مباحث في علوم القرآن: للدكتور/ صبحي الصالح ألفه لطلبة كلية الآداب بجامعة دمشق ويقع في نحو ثلاثمائة صفحة.

٤ ـ مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ويقع في نحو ثلاثمائة صفحة وقال في مقدمته «كانت طبعته الأولى استجابة لرغبة بعض إخواننا في تقديم أبحاث مختصرة عن أهم مباحث علوم القرآن يستطيع شبابنا

---

(١) طبع عدة مرات.

(٢) مخطوط يعمل على تحقيقه بعض الدارسين في جامعات الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المسلم الذي لا يتيسر له التعمق في الدراسات الإسلامية أن يجد فيها من الثقافة اللازمة له ما يكفيه مئونه البحث في مراجع هذا العلم ويجنبه عناء فهم أساليبها[1] وقد أصاب وفقه الله فقد سدّ كتابه هذا ثغرة في حاجة طلبة العلم.

٥ ـ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان: تأليف الشيخ طاهر الجزائري، وهي مباحث انتخبها الجزائري انتخاب العالم الذواقه والمحقق المتقن، اعتنى بنشرها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

٦ ـ لمحات في علوم القرآن تأليف الشيخ محمد الصباغ وهي محاضرات ألقاها على طلاب كليتي الآداب والتربية في جامعة الرياض.

٧ ـ علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور وهو محاضرات ألقاها على طلابه ويقع في مجلد تبلغ صفحاته ٤٦٠ صفحة.

٨ ـ المنار في علوم القرآن للدكتور محمد علي الحسن وهي محاضرات ألقاها على طلابه في كلية التربية بجامعة الرياض.

٩ ـ مدخل إلى علوم القرآن والتفسير للدكتور فاروق حماده وهو أيضاً محاضرات ألقاها على طلاب كلية اللغة العربية بمراكش.

١٠ ـ علوم القرآن والحديث للشيخ أحمد محمد على داود وهي محاضرات ألقاها على طلبة دائرة اللغة العربية في جامعة اليرموك.

١١ ـ من علوم القرآن: للدكتور فؤاد على رضا ويقع في نحو ٢٤٠ صفحة.

١٢ ـ التبيان في علوم القرآن: للدكتور القصيبي محمود زلط تجاوزت صفحاته المئتين.

١٣ ـ دراسات في علوم القرآن: للدكتور أمير عبد العزيز وتبلغ صفحاته نحو الثلاث مئة صفحة.

---

(١) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص: ٥.

١٤ ـ البيان في علوم القرآن: تأليف الدكتور سليمان بن صالح القرعاوي والدكتور محمد بن علي الحسن في مجلد في ٤٠٠ صفحة تقريباً.

هذه بعض المؤلفات في العصر الحديث في علوم القرآن كفن مدون والمؤلفات غيرها كثيرة، ولعلك تلاحظ أن أغلبها قد ألفها أصحابها لطلابهم وأحسب أن هذا يؤدي إلى الإجمال في الحديث وتيسير المادة وعدم الخوض في دقائق المسائل ووعر المسالك، واختيار السبيل الأسهل والأيسر، وهذا المنهج يحرم الباحثين المتخصصين من نيل مرادهم والحصول على بغيتهم كما يحرم المؤلفين من الإبداع في القول ومن إعمال الذهن والتجديد في الآراء بل أدى بهم إلى التسليم في كثير من المسائل والقضايا ونقلها كما هي من غير تمحيص خشية من الدخول في تفاصيل تخرج به عن هدفه من التأليف.

والحق أن كثيراً من المباحث في علوم القرآن لا تزال بحاجة إلى النظر في مسائلها وإعادة الكتابة فيها وعدم الاكتفاء والتسليم بما قاله فلان وفلان من غير دليل وعلوم القرآن أوسع من أن يحيط بها أبناء جيل أو أجيال من البشر.

ومما لا شك فيه أن التاريخ كله لا يعرف كتاباً درسه الدارسون وألف في علومه المؤلفون وصنف فيه المصنفون مثل القرآن الكريم، ولا تزال المؤلفات تدون ولا يزال العلماء يبحثون ويتدبرون، ولا يزال القرآن نقياً لم تكدره الدلاء وفائضاً لم تنقصه كثرة الواردين وسيظل نوراً يستضيء به طلاب الحقيقة وهدى يهتدي به الناس إلى يوم القيامة.

فضائل القرآن الكريم

لا شك أن فضل القرآن الكريم فضل كبير وعظيم فهو كتاب أخرج الله به هذه الأمة من جاهلية جهلاء وضلالة عمياء.

وهو كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء وبدين ختم به الأديان. وهو كلام الله العظيم وصراطه المستقيم ونظامه القويم ناط به كل سعادة، هو رسالة الله الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة، نهل منه العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون والراكعون والساجدون، وهو «كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه»[1].

هو كتاب الإسلام في عقائده، وعباداته، وحكمه، وأحكامه، وآدابه، وأخلاقه، وقصصه، ومواعظه، وعلومه، وأخباره، وهدايته، ودلالته، وهو أساس رسالة التوحيد، والرحمة المسداة للناس، والنور المبين، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد ورد بيان فضل القرآن في آيات كثيرة وأحاديث عديدة.

---

(١) الموافقات: الشاطبي: ج:٣ ص:٣٤٦.

فضائله العامة:

ـ فضل القرآن في القرآن:

في أول جملة بعد الفاتحة ورد وصف القرآن بأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[(١)] ولك أن تتدبر في استنباط المعاني العديدة في ذلك.

ومن فضل القرآن في القرآن أن عد إنزاله في شهر مزية لهذا الشهر ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[(٢)] وبركة لليلة التي أنزل فيها ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[(٣)].

ومن فضله في القرآن نزول الرحمة عند سماعه ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[(٤)]

ووصفه بالعظمه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[(٥)]، وبالهداية ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[(٦)]، واقسم الله به ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾[(٧)]، وأمر بتلاوته ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[(٨)]، وبتدبره ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[(٩)] وشهد له بالسلامة من العوج ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[(١٠)]

ولكثرة فضائله تعددت أسماؤه وصفاته وقد وردت في القرآن أسماء وصفات للقرآن كثيرة تنبئ كثرتها وتعددها عن مكانة القرآن العظيمة ومنزلته السامية.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٣) سورة الدخان: الآية ٣.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.
(٥) سورة الحجر: الآية ٨٧.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٩.
(٧) سورة يس: الآيتين ٢ ـ ٣.
(٨) سورة النمل: الآيتين ٩١ ـ ٩٢.
(٩) سورة محمد: الآية ٢٤.
(١٠) سورة الزمر: الآية ٢٨.

فضل القرآن في السنة النبوية:

وقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة في بيان فضل القرآن الكريم من أجمعها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله. فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا نزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرّدّ ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾[1] من قال به صُدِّق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)**[2].

وفي حديث آخر رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن أتبعه لا يزيغ فيُستعتب ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرَدِّ فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم ولكن بألف ولام وميم»**[3] ويكفي في بيان فضله قول الرسول ﷺ: **«خيركم من تَعَلَّم القرآن وعَلَّمه»**[4].

---

(١) سورة الجن: الآيتين ١ ـ ٢.

(٢) رواه الترمذي ج:٥ ص:١٧٢ وانظر تخريجه ص ٢٩٢ هنا.

(٣) رواه الدارمي ج:٢ ص:٤٣١.

قال ابن الجوزي: ـ «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود» العلل المتناهية ج:١ ص:١٠٢.

(٤) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٨.

فضائل بعض سوره وآياته:

وردت أحاديث في فضل بعض سور القرآن الكريم وقد اختلق بعض الوضاعين أحاديث في فضائل سور القرآن سورة سورة[1] وفي بعض سور القرآن وقع ورتع بعض أصحاب الطرق المبتدعة في مثل هذه الأحاديث، ولنا فيما صح عن الرسول ﷺ غنى عن ذلك، ونذكر مما صح في فضائل بعض السور والآيات ما يلي:

ـ سورة الفاتحة:

ما رواه أبو سعيد بن المُعَلَّى أن رسول الله ﷺ قال له: **(ألا أعلمك أعظم سورةً في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت يا رسول الله: إنك قلت ألا أعلمك أعظم سورة من القرآن، قال: «الحمد لله رب العالمين» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته)**[2].

ـ سورة البقرة:

ورد في فضلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»**[3].

ـ سورة قل هو الله أحد:

ورد في فضلها أحاديث كثيرة بأنها تعدل ثلث القرآن ومنها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»**[4].

---

(١) وأشهرها الحديث المكذوب على أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ في فضل سور القرآن سورة سورة وقد فرق هذا الحديث الثعلبي والواحدي والزمخشري في تفاسيرهم على السور. وقال ابن الجوزي عن هذا الحديث: «إنه حدث محال» وروى عن ابن المبارك قوله: «أظن الزنادقة وضعته» الموضوعات: ابن الجوزي ج:١ ص:٢٣٩.

(٢) صحيح البخاري ج:٦ ص:١٠٣. (٣) صحيح مسلم ج:١ ص:٥٣٩.

(٤) صحيح مسلم ج:١ ص:٥٥٦.

- **فضل المعوذتين:**

ورد في فضلهما حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل أو أُنزلت عَليَّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوذتين**»(١).

فضل آية الكرسي:

ورد في فضلها حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنِكَ العلمُ أبا المنذر**»(٢).

فضل الآيتين في آخر سورة البقرة:

ورد في فضلهما حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه**»(٣) أي دفعتا عنه الشر والمكروه.

فضل عشر آيات من أول الكهف أو آخرها:

روى أبو الدرداء أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال**»(٤). وفي رواية قال شعبة: من آخر الكهف(٥).

فضل تلاوته:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ

---

(١) رواه مسلم ج: ١ ص: ٥٥٨.

(٢) رواه مسلم ج: ١ ص: ٥٥٦.

(٣) رواه مسلم ج: ١ ص: ٥٥٥.

(٤) رواه مسلم ج: ١ ص: ٥٥٥.

(٥) رواه مسلم ج: ١ ص: ٥٥٦.

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[١].

وردت في السنة أحاديث كثيرة في ثواب التلاوة منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»** رواه البخاري ومسلم[٢].

وبينت السنة أن القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»** رواه مسلم[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»** رواه البخاري ومسلم[٤].

ولو لم يرد في فضل تلاوة القرآن إلا حديث ابن مسعود رضي الله عنه لكفى به داعياً للتنافس بين المسلمين في تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**[٥].

تالله لولا ماران على قلوبنا ماانفك أحدنا عن تلاوة هذا القرآن وما فرطنا في تلاوته هذا التفريط ساعات تلو الساعات تنقضي من أعمارنا لا نحسب لها حساباً أرأيتم لو أخذ أحدنا المصحف في ساعة من ساعاته

---

(١) سورة فاطر: الآيتين ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) صحيح البخاري ج:٦ ص:٨٠ وصحيح مسلم ج:١ ص:٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٣) صحيح مسلم ج:١ ص:٥٥٣.

(٤) صحيح البخاري ج:٩ ص:٦٥ وصحيح مسلم ج:١ ص:٥٥٨.

(٥) سنن الترمذي ج:٥ ص:١٧٥ وسنن الدارمي ج:٢ ص:٤٢٩. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، غريب إسناداً» وقال الألباني في المشكاة ج:١ ص:٦٥٩ (وهو صحيح).

الضائعة وتلا فيها آيات من القرآن الكريم فكم سيقرأ فيها من حرف وإذا كان بكل حرف عشر حسنات فكم سيثاب في هذه الساعة من حسنة إنه لثواب كبير وأجر عظيم لا ينبغي لذى لب أن يفرط فيه.

فضل استماعه:

وكما ورد الوعد بالثواب على تلاوة القرآن فقد ورد أيضاً الوعد بالثواب لمستمع التلاوة بخشوع وتدبر وإنصات قال الليث بن سعد رحمه الله تعالى يقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[1] ولعل من الله واجبه[2].

ومما جاء في السنة في ثواب استماع القرآن الكريم حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»**[3].

فضل الاجتماع لدرسه:

من أجمع الأحاديث التي وردت في بيان ثواب الاجتماع لتلاوة القرآن الكريم وتدارسه حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: **«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»**[4] فجمع هذا الحديث أربعة أنواع من ثواب تلاوة القرآن ومدارسته.

١ ـ تنزل عليهم السكينة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار: القرطبي ص:٧٩.

(٣) مسند الإمام أحمد: ج:٢ ص:٣٤١.

(٤) صحيح مسلم ج:٤ ص:٢٠٧٤.

٢ ـ تغشاهم الرحمة.

٣ ـ تحفهم الملائكة.

٤ ـ يذكرهم الله فيمن عنده.

ومن منا لا يحرص على كل واحدة منها فضلاً عنها كلها، كيف وقد اجتمعت كلها في عمل واحد ميسر، وفي هذا ندب لتعلم القرآن الكريم ومعرفة علومه وأحكامه ومعانيه.

آداب التلاوة والاستماع:

لا ريب أن لتلاوة هذا الكتاب آداباً ينبغي العمل بها ففي ذلك أيضاً زيادة لثواب التلاوة.

وآداب التلاوة كثيرة لعل أهمها:

١ ـ الطهارة وتشمل طهارة البدن، وطهارة المكان، وطهارة اللباس، وطهارة الفم وفوق هذا كله طهارة القلب ونقاؤه من الشرك والشك والرياء.

أما طهارة البدن فقد اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن الجنب لا يجوز له مس المصحف أو القراءة للقرآن حتى يغتسل، أما الطهارة من الحدث الأصغر فقد اشترطها بعض العلماء لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

ولم يشترطها آخرون ومما لا شك فيه أن الأفضل والأولى هو الطهارة من الحدث الأصغر أيضاً.

وأما طهارة المكان فلا يجوز أن يقرأ القرآن في الأماكن النجسة سواء كانت نجاسة حسية كالحمامات ونحوها أو نجاسة معنوية كالملاهي وحانات الخمور والفسق والفجور.

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

وطهارة اللباس والتطيب عند التلاوة من الآداب المحمودة وقد كان رسول الله ﷺ إذا قام بالليل يتهجد اغتلف بالغالية[1] وهي اخلاط من الطيب كالمسك والعنبر وكان ابن مسعود رضي الله عنه تعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيب إذا قام إلى الصلاة وكان رضي الله عنه إذا قرأ اعتمّ ولبس ثيابه وارتدى واستقبل القبلة[2].

حتى طهارة الفم حرص الإسلام عليها عند تلاوة القرآن روى علي رضي الله عنه حديثاً عن الرسول الله ﷺ وفيه: «**فطهروا أفواهكم للقرآن**»[3]، وعنه رضي الله عنه قال: «**إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك**»[4] وكان رسول الله ﷺ إذا قام في الليل يشوص فاه بالسواك[5].

٢ ـ ومن آداب التلاوة أن يستوي قاعداً في غير صلاة تأدباً مع القرآن.

٣ ـ ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القرآن لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[6].

٤ ـ ومنها أن يقرأ البسملة بعد الاستعاذة بأن يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» وقد أجمع العلماء على مشروعية البسملة عند تلاوة كل سورة من سور القرآن الكريم سوى براءة.

٥ ـ يستحب إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة لأنه مخاطب ربه ومناج له.

---

(١)(٢) التذكار في أفضل الأذكار: القرطبي ص:١٠٨.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار: جـ:١ ص:٢٤٢. وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٢١٣.

(٤) سنن ابن ماجه: جـ:١ ص:١٢٥. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٦) ولعله تبين له ضعفه بعد ذلك. فقد ضعفه جداً في ضعيف الجامع (١٤٠١) والصواب أنه ضعيف.

(٥) صحيح البخاري جـ:١ ص:٦٦ وصحيح مسلم جـ:١ ص:٢٢١.

(٦) سورة النحل: الآية ٩٨.

٦ ـ وإذا شرع في القراءة فينبغي أن لا يشتغل عنها ولا يقطعها ولا يخللها بكلام الآدميين إلا لضرورة.

٧ ـ أن يقرأ على تؤدة وأن يرتل القرآن ترتيلاً ولا يهذه هذا.

٨ ـ أن يقف عند آية الوعد فيسأل الله من فضله، وعند آية الوعيد فيستجير بالله من عقابه.

٩ ـ أن يرفع المصحف بيده أو على شيء مرتفع أمامه ولا يضعه على الأرض لما في ذلك من الامتهان.

١٠ ـ أن يقرأ بتدبر وتمعن وفهم لما يتلوه ولا يكون كل همه كم قرأ؟! فقد قال أبو جمرة: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث. قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول[١]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله[٢].

١١ ـ ومن آداب استماع القرآن الإنصات والإصغاء للتلاوة وترك الكلام والضحك.

١٢ ـ ومنها أن لا يعبث ولا يكثر من الحركة لغير حاجة.

١٣ ـ ومنها الخشوع عند سماع القرآن واستحضار القلب والتفكر والتدبر فيما يسمع من الآيات.

---

(١) أخلاق أهل القرآن: الآجري تحقيق محمد عمرو بن عبد اللطيف ص:١٦٩.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: النووي تحقيق عبده الكوشك ص:١١٩.

خصائص القرآن الكريم

أنزل الله تعالى هذا القرآن على الرسول ﷺ ليخرج به هذه الأمة من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس.

وتميزت هذه الأمة بخصائص كثيرة ليست في الأمم كلها واختص أيضاً نبيها ﷺ بخصائص كثيرة، وتميز دينها الدين الإسلامي بخصائص عديدة ليست في الأديان الأخرى، وتميز الكتاب الذي أنزل عليها بخصائص دون سائر الكتب المنزلة.

وقد كتب كثير من العلماء في خصائص الإسلام[١]، وفي خصائص الأمة الإسلامية[٢] وفي خصائص الرسول ﷺ[٣]. فلا عجب أن يهتم العلماء أيضاً بخصائص القرآن الكريم[٤]، وقد أورد العلماء هذه الخصائص في بطون مؤلفاتهم عن علوم القرآن وأفردها بعضهم وفي هذا الموضوع مجال خصب يمرح فيه بعض المشعوذين والدجالين فيوردون فيه بعض الخرافات والشعوذة. وبالتحقيق والتدقيق يذهب زغل المبطلين.

وسأذكر هنا بعض هذه الخصائص:

---

(١) مثلاً الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي.

(٢) ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (فنون الأفنان) ثلاثين نوعاً منها.

(٣) مثلاً: الخصائص الكبرى: السيوطي.

(٤) جمعت كثيراً من هذه الخصائص في كتابي: «خصائص القرآن الكريم».

أولاً: خصائص تتعلق بفضله وشرفه ومكانته:

وهي خصائص كثيرة منها:

١ ـ فضله:

لا يخفى فضل القرآن عمن لديه أدنى علم شرعي ذلكم أن القرآن الكريم «كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه»[١].

هو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ناط به كل سعادة، هو رسالة الله الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة وحكمته البالغة، ونعمته السابغة.

هو حجة الرسول ﷺ الدامغة، وآيته الكبرى، شاهدة برسالته، وناطقة بنبوته.

هو كتاب الإسلام في عقائده، وعباداته، وحِكَمِه وأحكامه، وآدابه، وأخلاقه، وقصصه، ومواعظه، وعلومه، وأخباره، وهدايته، ودلالته.

هو أساس رسالة التوحيد، والمصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية، والرحمة المسداة للناس، والنور المبين للأمة، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

فضله لا يدانيه فضل، ولا تسمو إليه مكانة، وسبق الحديث عن فضله في القرآن، وفضله في السنة، بما يغني عن إعادته.

٢ ـ شفاعته لأهله:

ومن خصائص القرآن الكريم أنه يشفع لأهله يوم القيامة ومن الأدلة

(١) الموافقات: الشاطبي: ج:٣ ص:٣٤٦.

على ذلك حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**[1].

انه شفاء:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى﴾[4].

وتدبر وصف الله للقرآن بأنه شفاء ولم يصفه بأنه دواء لأن الشفاء هو ثمرة الدواء والهدف منه، أما الدواء فقد يفيد وقد يضر فكان وصف القرآن بأنه شفاء تأكيد وأي تأكيد لثمرة التداوي به.

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بنفسه بالتداوي بالقرآن فقد روت عائشة رضي الله عنها قالت: **«أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثَقُلَ كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها»**[5].

وأقرّ أصحابه رضي الله عنهم على الاستشفاء به فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يُقروهم فبينما هم كذلك إذ لُدِغَ سيد أولئك فقال: هل معكم من دواء أو راق فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بُزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك

---

(١) صحيح مسلم: ج:١ ص:٥٥٣.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٢.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٤.
(٤) سورة يونس: الآية ٥٧.
(٥) صحيح البخاري ج:٧ ص:٢٢.

وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم»[1].

والقرآن شفاء للأمراض النفسية وما أحوج مجتماعتنا المعاصرة إلى التداوي بالقرآن لهذا الداء الوبيل في عالم تتنازعه الأهواء المادية والشهوات الجسدية والملذات الدنيوية، وإنما تحدث الأمراض النفسية حين يعرض الإنسان عن القرآن وعن ذكر الله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[3]، أما العلاج والشفاء فهو قرين الذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[4].

ولكن ينبغي أن نعلم أن الاستشفاء بالقرآن يستدعي كمال اليقين وقوة الاعتماد وسلامته ولذا قال الزركشي رحمه الله تعالى عن الاستشفاء بالقرآن: «لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميرَه في ليله ونهاره وتمسك به وتدبره»[5].

ومن خصائصه التي تتعلق بفضله وشرفه ومكانته: التعبد بتلاوته، وتعدد أسمائه وصفاته، والثواب لقارئه ومستمعه، وأن له نزولين، ونزوله مُنَجَّماً دون سائر الكتب السابقة وغير ذلك.

ثانياً: خصائص تتعلق بأسلوبه ولغته:

١ ـ أنه لا يعلو عن أفهام العامة ولا يَقْصُرُ عن مطالب الخاصة.

وهذان مطلوبان لا يدركهما الفصحاء والبلغاء من الناس، فلجأوا إلى

---

(١) صحيح البخاري ج:٧ ص:٢٣.
(٢) سورة طه: الآية ١٢٤.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٤) سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٥) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج:٣ ص:٤٣٦.

قاعدة يعتذرون بها فقالوا: (لكل مقام مقال) أمّا أن يأتي كلام واحد يُخاطَبُ به العلماء والعامة، والملوك والسوقة، والأذكياء ومن دونهم، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، ويرى فيه كل منهم مطلبه، ويدرك من معانيه ما يكفيه، فذلك ما لا نجده على أتمه وأكمله إلا في القرآن الكريم وحده.

يقرأ فيه العامي فيشعر بجلاله، ويذوق حلاوته، ولا يلتوي عليه فهمه، فتدركه هيمنته، ويستولي عليه بيانه، وتغشاه هدايته، فيخشع قلبه، وتدمع عيناه، فينقاد له، ويذعن.

ويقرأ فيه العالم فيدرك فصاحته، وتهيمن عليه بلاغته، ويملكه بيانه، وتنجلي له علومه ومعارفه، وتدهشه أخباره وأنباؤه، فيجد فيه زمام فكره، وقيادة عقله، ومنهج علمه، ومحار فكره، ورفعة شأنه[1] فيذعن ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[2] ثم يرفع يديه: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] فتدركه الخشية[4]، ويذعن لربه، ويؤمن بشرعه.

والآيات هي هي هنا وهناك لم تتغير ولم تتبدل.

٢ - ومن خصائص الأسلوب القرآن الكريم: تصوير المعاني:

ويراد بها اظهار المعاني بكلمات تكاد أن تجعلها بصورة المحسوس حتى تهم بلمسها بيديك وحتى تلج إلى ذهنك مترابطة متكاملة، لا تكلف ذهنك مشقة تركيبها، ولا تثقله بمهمة تجميعها، فتقسره قسراً على الفهم والإدراك، بل تفجؤه بانطباعها فيه بمجرد توجهه إليها.

---

(١) قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة: الآية ١١.

(٢) سورة غافر: الآية ٧.

(٣) سورة طه: الآية ١١٤.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر من الآية: ٢٨.

وتفسير سيد قطب رحمه الله تعالى له عناية خاصة بهذا المعنى وتميز فيه بين سائر المفسرين.

وتصوير المعاني يكون أحياناً بطريقة التجسيم أي بجعلها في صورة مجسمة قابلة للوزن والكثافة فقد وصف الله سبحانه العذاب بأنه غليظ في قوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[1] واليوم بأنه ثقيل ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[2] فنقل العذاب من كونه معنى مجرداً إلى شيء ذي غلظ وسُمك كما نقل اليوم من زمن لا يُمسك إلى شيء ذي كثافة ووزن[3].

وهناك خصائص أخرى كثيرة لأسلوب القرآن منها: نظمه، ووقعه، وجودة السبك، وإحكام السرد، وتعدد الأساليب، واتحاد المعنى، والجمع بين الإجمال والبيان، وإيجاز اللفظ مع وفاء المعنى وغير ذلك.

ثالثاً: خصائص عامة:

وهي كذلك خصائص كثيرة عديدة منها:

١ ـ حفظه في الصدور:

من أشرف خصائص القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى كَلَّفَ الأمة بحفظه كله بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر وإلا أثمت الأمة كلها، وليس هذا لكتاب غير القرآن، فالتوراة والإنجيل ترك لأهلهما أمر الحفظ فاكتفوا بالقراءة دون الحفظ، إلا قلة لا تكاد تذكر ولم تتوافر الدواعي لحفظهما كما توافرت لحفظ القرآن الكريم فلم يكن لهما ثبوت قطعي كما هو للقرآن فسهل تحريفهما وتبديلهما.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٧.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٢٧.

(٣) لمزيد بيان إسهام المفردة القرآنية في التجسيم أنظر كتاب الأستاذ أحمد ياسوف (جماليات المفردية القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير).

ولم يترك الرسول ﷺ سبيلاً فيه حث على حفظ القرآن إلا وأرشد إليه وحث عليه فحفظه عدد كبير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وما زالت المسيرة مستمرة يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم ونجد إقبالاً لا يخطر ببالٍ ولا يحلم بمثله أهل كتاب ـ انظروا ـ إن شئتم ـ مدارس تحفيظ القرآن العديدة منذ نزول القرآن إلى عصرنا هذا ثم التفتوا يسره، فكم من مدرسة لتحفيظ الإنجيل أو التوراة فلن تجدوا منها شيئاً بل ستجدون قلة القلة تحفظ هذا أو ذاك مما لا يذكر ـ أبداً ـ في مقابل مدارس تحفيظ القرآن تقول المستشرقة لورا فاغليري أن «في مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها»[1] ويقول جيمي متشيز «لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم وهو بكل تأكيد أيسرها حفظاً»[2].

٢ ـ إتصال السند:

من المعلوم أن أغلب الذين يتعلمون تلاوة القرآن إنما يتعلمونها عن طريق السماع ولا يكتفون بتعلمه من المصاحف وحدها، ونعلم أن أساتذتهم تلقوه أيضاً بالسماع عن طريق مشايخهم وهكذا لا تنقطع هذه الطريقة إلى أن تصل طبقة التابعين ثم الصحابة ثم الرسول ﷺ.

وبهذا يكون سند القرآن في كل عصر وفي كل حين متصلاً برسول الله ﷺ وليس هذا لكتاب غير القرآن الكريم، فقد شرف الله هذه الأمة باتصال سندها برسولها ﷺ.

قال محمد بن حاتم المظفر: «إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة، وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد موصول، وإنما هو مصحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم،

---

(١) دفاع عن الإسلام: لورا فاغليري ص:٥٩.

(٢) في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ص:٢٨.

وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل، مما جاءهم به أنبياؤهم، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات[(١)].

٣ ـ أنه لا يمسه إلا المطهرون:

أنزل الله القرآن بواسطة أفضل الملائكة على أفضل الأنبياء لخير أمة أخرجت للناس فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن رجس الجاهلية إلى طهارة الإسلام فحق لهذا الكتاب أن يتهيأ المسلمون لتلاوته وأن يستعدوا لها بالطهارة ليست الطهارة الصغرى كما يفهمها بعض الناس، ولكنها الطهارة الكبرى بكل معانيها.

طهارة القلب من الكفر والشرك فلا يمس القرآن كافر ولا يُمَكَّنُ من ذلك، ولا يسافر بالمصحف إلى بلاد الكفر، وطهارة القلب أيضاً من الرياء والنفاق وأن يريد بالتلاوة غير وجه الله كمن يقرأه للرياء والسمعة أو ليقال هو قارئ أو كمن يقرأه للتكسب أو لينال به شيئاً من حطام الدنيا.

وطهارة البدن من الحدثين الأكبر والأصغر فيجب الإغتسال من الجنابة ونحوها بلا خلاف ويسن الوضوء من الحدث الأصغر بل أوجبه بعض العلماء.

وطهارة اللباس فينبغي أن تكون ثيابه طاهرة نظيفة نقية، وأن يتطيب وأن يلبس من الثياب أحسنها وأن يستعد لها كما يستعد لملاقاة الملوك فإنه مناج ملك الملوك.

وطهارة الفم فينبغي أن ينظف فاه ويستاك ويخلل أسنانه اقتداء بسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه من بعده.

---

(١) توضيح الأفكار محمد بن إسماعيل الصنعاني ج:٢ ص:٣٩٩ ـ فتح المغيث: للسخاوي ج:٣ ص:٤.

وهذه الطهارة خاصة بتلاوة القرآن لا يشترك معه فيها كتاب آخر.

٤ ـ أن الله تعهد بحفظه:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾[١] وقد مرت بالقرآن أحداث عظيمة وأهوال جسيمة وعوامل خطيرة وتكالب عليه الأعداء وتداعت عليه الأمم ولو مر بعض ذلك على غير القرآن لأصابه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتغيير والتبديل. أما القرآن فقد مر بهذه الأحوال المتماوجة والدواعي المتكالبة ولم تنل منه بغيتها بل وصل إلينا كما أنزله الله لم يتبدل ولم يتغير ما طالته الأفواه النافخة، ولا نالته الأصوات اللاغية. ليتم الله نوره ولو كره الكافرون.

وقد كانت هذه الآية بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم خبراً، ولكنها الآن خبر ومعجزة، معجزة أن مر خمسة عشر قرناً ولم يقع ما يخالفها، وخبر بأن الحفظ مستمر إلى يوم القيامة.

أما الكتب السابقة فلم يتعهد الله بحفظها بل أوكل أمر حفظها إلى أهلها فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾[٢].

وخصائص القرآن العامة كثيرة ومنها إجمالاً: معارفه، إعجازه، أنه لا ينسب إلا إلى الله، والجمع بين البسملة والاستعاذة عند تلاوته، وحرمة تفسيره بمجرد الرأي، وتيسر حفظه وتلاوته، وأن قارئه لا يمله، وتحريم روايته بالمعنى، وأنه يتفلت من حافظه، ورسمه، وهيمنته على الكتب السابقة، والأحرف المقطعة في أوائل السور وغير ذلك[٣].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) اقتبست هذا المبحث من كتابي «خصائص القرآن الكريم».

جمع القرآن الكريم

المراد بجمع القرآن:

يطلق جمع القرآن الكريم ويراد به أحد ثلاثة أنواع:

- الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره.

- الثاني: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه كله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً.

- الثالث: جمعه بمعنى تسجيله تسجيلاً صوتياً.

ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة تاريخ وخصائص ومزايا، ولذا فسنتناول كل نوع على حدة.

النوع الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره:

١ ـ الدليل:

ويشهد لهذا النوع قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[١].

فالمراد بالجمع هنا الحفظ في الصدور، ويفسره حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، كان

(١) سورة القيامة: الآيات ١٦ ـ ١٩.

يحرك شفتيه.. فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ قال فاستمع وأنصت. ثم إنَّ علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه[1].

٢ ـ حكمه:

حفظ القرآن كله واجب على الأمة، بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر وإلا أثمت الأمة كلها وليس هذا لكتاب غير القرآن وأما الأفراد فيجب على كل فرد أن يحفظ من القرآن ما تقوم به صلاته.

٣ ـ فضله:

لم يترك الرسول ﷺ أمراً فيه حث على حفظ القرآن إلا وسلكه وأمر به، فكان يفاضل بين أصحابه بحفظ القرآن، ويعقد الراية لأكثرهم حفظاً للقرآن وإذا بعث بعثاً جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم قراءة للقرآن ويُقدِّمُ لِلَّحْدِ في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن، ويزوج الرجل المرأة ويمهرها ما مع الرجل من القرآن، فضلاً عن الأحاديث الكثيرة الداعية لحفظ القرآن وتعلمه وتعليمه.

٤ ـ حفظ الرسول ﷺ القرآن:

إدراكاً من الرسول ﷺ للأمانة الكبرى التي كلف بها وهي أن يبلغ الناس القرآن ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[2].

وادراكاً منه عليه الصلاة والسلام أن تبليغ القرآن يجب أن يكون كما سمعه بلا زيادة ولا نقصان ولا استبدال لحرف بحرف أو حركة بحركة، لذا فقد كان عليه الصلاة والسلام يشعر بحرج شديد وخوف عظيم أن ينسى

(١) رواه البخاري، ج:١ ص:٤ ورواه مسلم ج:١ ص:٣٣٠ ـ ٣٣١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٩.

شيئاً من القرآن مما جعله يحرك لسانه بالقرآن لحظة نزول الوحي مع شدة وطأة الوحي وما يعانيه من الجهد والكرب عند نزوله، وما زال ﷺ كذلك حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[2]. فكان ﷺ بعد هذا إذا أتاه الوحي أطرق فإذا ذهب جبريل وجد الرسول ﷺ القرآن مجموعاً في صدره كما وعده الله.

وقد حفظ الرسول ﷺ القرآن كله وحفظه أصحابه وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة، في شهر رمضان وعارضه إياه في العام الذي توفي فيه مرتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي**»[3] وكان ﷺ يقوم بالقرآن ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار حتى كادت أن تتشقق قدماه.

٥ ـ حفظ الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم:

اشتد التنافس بين الصحابة رضي الله عنهم في حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره وتسابقوا إلى مدارسته وتفسيره والعمل به، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وكانوا يهجرون لذيذ المنام ودفء الفراش ويؤثرون قيام الليل والتهجد بالقرآن حتى كان يسمع لبيوتهم دوياً كدوي النحل لتلاوتهم القرآن.

وكان رسول الله ﷺ يحثهم على ذلك ويحرص على سماع تلاوتهم فقد قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك**

---

(١) سورة القيامة: الآيات ١٦ ـ ١٩.

(٢) سورة طه: الآية ١١٤.

(٣) رواه البخاري ج: ٤ ص: ١٨٣.

البارحة! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[1] واستمع لتلاوة سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما فقال له: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك»[2] وقال لابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ علي القرآن، فقال ابن مسعود: يا رسول الله اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إنّي أحبُّ أن أسمعه من غيري، فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[3] قال: حسبك الآن، قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان»[4]، وقال ﷺ: «إنّي لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار»[5].

والأخبار كثيرة تشهد على عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم وتلاوته، وحفظه وعلى حث الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه على ذلك.

فلا عجب أن يكثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة إذ حفظه في حياة الرسول ﷺ الجم الغفير من الصحابة رضي الله عنهم.

فمن المهاجرين الذين حفظوا القرآن كله أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة[6].

---

(١) رواه مسلم، ج:١ ص:٥٤٦.
(٢) مسند الإمام أحمد ج:٦ ص:١٦٥.
(٣) سورة النساء: الآية ٤١.
(٤) رواه البخاري: ج:٦ ص:١١٣.
(٥) رواه مسلم ج:٤ ص:١٩٤٤.
(٦) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٧٢.

ومن الأنصار عبادة بن الصامت، وأبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، وأبو زيد بن السكن.

(إشكال)

روى البخاري في صحيحه ثلاثة أحاديث:

(الأول) عن قتادة قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[1].

(الثاني) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات النبي ﷺولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد، قال ونحن ورثناه»[2].

(الثالث) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: «من عبد الله بن مسعود، وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[3].

وقد يستدل بهذه الأحاديث على أن الذين يحفظون القرآن هم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبَيّ ابن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء.

وهذا يخالف ما هو معلوم أن الذين يحفظون القرآن من الصحابة جمٌّ غفير وليس محصوراً بهذا العدد.

والجواب عن هذا الإشكال من وجوه:

الأول: أنه لا يراد بهذه الأحاديث الحصر وإنما يراد به ضرب المثل،

---

(١) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٣.

(٣) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٢.

ويشهد لهذا أنَّ أنساً نفسه ذكر في حديث «أبي بن كعب» وفي حديث آخر «أبا الدرداء» فلو كان المراد الحصر لاتفقت الأسماء في الحديثين.

الثاني: أنَّ المراد بالجمع الكتابة لا الحفظ.

الثالث: أنَّ المراد بالجمع حفظه بوجوه القراءات كلها.

الرابع: أنَّ المراد بالجمع تلقيه كله من فم الرسول ﷺ.

الخامس: أنَّ المراد أنهم هم الذين عرضوه على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم وأمَّا من حفظه ولم يتصل بنا سنده فكثير[1].

قال المازري - رحمه الله تعالى - «وقد تمسك بقول انس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره، سلمناه، ولكن من أين لهم أنَّ الواقع في نفس الأمر كذلك؟ سلمناه، لكن لا يلزم من كون كل من الجَمِّ الغفير لم يحفظه كله ألاَّ يكون حفظ مجموعَه الجَمُّ الغفيرُ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كلُّ فردٍ جميعه. بل إذا حفظ الكلَّ الكُلّ ولو على التوزيع كفى»[2].

وقد توافرت الدواعي لحفظ الصحابة للقرآن الكريم: ومنها:

١ - قوة الحافظة عندهم وسيلان الذهن وحدة الخاطر وفي التاريخ شواهد لذلك.

٢ - أنهم كانوا أميين لا يعرفون القراءة ولا يحذقون الخط والكتابة وجعلهم هذا لا يعولون إلا على قوة الحافظة.

٣ - تمكن الإيمان من قلوبهم رضي الله عنهم وحب الله سبحانه وتعالى وحب الرسول ﷺ وحب كتابه مما جعلهم يقبلون على حفظ القرآن.

---

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ:١ ص:٢٤٢.

(٢) الإتقان: السيوطي جـ:١ ص:٧٢ وفتح الباري: جـ:٩ ص:٥٢ والمرشد الوجيز ص:٤٠ عن المعلم شرح صحيح مسلم للمازري (مخطوط).

٤ ـ بلاغة القرآن التي ملكت الأفئدة، وقد كانوا يتذوقون الكلام ويحفظون أجوده فلا عجب أن يقبلوا على حفظ القرآن.

٥ ـ النصوص الكثيرة الواردة في الحث على حفظ القرآن والترهيب من نسيانه وهجره.

٦ ـ تشريع قراءة القرآن في الصلاة والقيام به في الليل وهم أهل صلاة وقيام وغير ذلك من العوامل[١] التي دفعتهم لحفظ القرآن حتى حفظه عدد كبير كما أشرنا ويكفي أنَّه قُتِلَ في بئر معونه نحو سبعين من حفاظ القرآن وقتل في معركة اليمامة مثلهم مما يدل على كثرة حفاظ القرآن الكريم في عهد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وعلى تنافسهم في حفظ القرآن وتحفيظه وتعلمه وتعليمه.

٦ ـ حفظ التابعين ومن بعدهم ـ رحمهم الله تعالى ـ للقرآن الكريم:

مر بنا أنَّ الصحابة رضي الله عنهم انتشروا في الآفاق الإسلامية والبلدان المفتوحة يعلمون الناس أمور دينهم ويعقدون حِلَقَ التعليم والتدريس في مساجد تلك البلدان، وأقبل عليهم كثير من الناس يتحلقون حولهم، ويتلقون العلم منهم وصار لبعض هذه المدارس شهرة كبيرة حملت كثيراً من التابعين على الرحلة إليها وتلقِّي العلم من أهلها كمدرسة ابن مسعود رضي الله عنه في الكوفة ومدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه في المدينة ومدرسة ابن عباس رضي الله عنهما في مكة وغيرها من مدارس الصحابة رضي الله عنهم.

وكان الصحابة يعلمونهم القرآن الكريم ويحفظونهم إياه ويفسرون لهم معانيه ويبينون لهم أحكامه، وقد أقبل التابعون على هذه المدارس فكثر حفاظ القرآن الكريم ولم يقتصروا على تلاوته بل حفظوا أوجه قراءته واشتهر عدد كبير من الحفاظ بالقراءة والرواية.

---

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:٢٨٤، إلى ص: ٣٣١.

وتجرد بعض التابعين رحمهم الله تعالى للعناية بضبط القراءات وإتقانها ووضع القواعد لها والأصول حتى صاروا أئمة يقتدى بهم.

٧ ـ حفظ القرآن الكريم في العصر الحديث:

أما في العصور الحديثة فما زالت المسيرة ـ والحمد لله ـ مستمرة يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم مع تكالب الأحوال على المسلمين واضطراب المعيشة ومغريات الحضارة وتوافر الموانع، وانحسار الدوافع، ومازلنا نرى كثرة حفاظ القرآن الكريم ونجد إقبالاً لا يخطر ببال ولا يحلم بمثله أهل كتاب.

فقد انتشرت مدارس تحفيظ القرآن الكريم العديدة وأنشئت معاهد للقراءات وكليات القرآن في العديد من الدول الإسلامية والحمد لله.

٨ ـ خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

ولهذا النوع من الجمع مزايا وخصائص منها:

١ ـ أنَّ جمع القرآن بمعنى حفظه هو أول علم نشأ من علوم القرآن الكريم وذلك أنه حين نزل الوحي على الرسول ﷺ في غار حراء وجرى ما جرى تلا عليه الصلاة والسلام ما نزل عليه من القرآن على خديجة وذلك من حفظه فهو أول علم نشأ من علوم القرآن.

٢ ـ أنه دائم لا ينقطع إن شاء الله تعالى، فقد حفظ الرسول ﷺ القرآن وحفظه أصحابه والتابعون ومن بعدهم وما زال المسلمون يحفظونه إلى أن يأذن الله برفعه بخلاف جمعه بمعنى كتابته فقد مر بثلاث مراحل آخرها في عهد عثمان رضي الله عنه.

٣ ـ أن الحفظ في الصدور خاص بالقرآن وليس هناك كتاب يحفظه أهله غير القرآن.

٤ ـ أنه يجب على كل مسلم أن يحفظ من القرآن ما يؤدي به الصلوات بخلاف جمعه بمعنى كتابته وتدوينه فلا يجب على كل مسلم.

هذه بعض خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه.

النوع الثاني: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه:

جُمِعَ القرآن الكريم بهذا المعنى ثلاث مرات:

- الجمع الأول: في عهد الرسول ﷺ.
- الجمع الثاني: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- الجمع الثالث: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المراد بالجموع الثلاثة:

وقد يُشْكِل على الذهن كيف يُجمع الشيء الواحد ثلاث مرات فإذا كان جُمِعَ في عهد الرسول ﷺ فكيف يجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه وإذا جمع في عهد أبي بكر ثانية فكيف يُجمع ثالثة.

والجواب: أنَّه لا يُراد بالجمع معناه الحقيقي في جميع المراحل. فالمراد بجمع القرآن في عهد الرسول ﷺ (كتابته وتدوينه) والمراد بجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (جمعه في مصحف واحد). والمراد بجمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه (نسخه) في مصاحف متعددة.

ويظهر بهذا أنَّ الجمع بمعناه الحقيقي كان في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وسنتحدث عن كل مرحلة من مراحل هذا الجمع:

أولاً: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه في عهد الرسول ﷺ:

كُتَّابُ الوحي:

اتخذ الرسول ﷺ عدداً من الصحابة كان إذا نزل عليه شيء من القرآن أمر أحدهم بكتابته وتدوينه ويعرف هؤلاء الصحابة بـ «كُتَّاب الوحي» ومنهم:

الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاصي، وحنظلة بن الربيع، والزبير بن العوام، وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الأرقم، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم[1].

صفة هذا الجمع:

وصف هذا الجمع صحابيان جليلان فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه «كنا عند رسول الله ﷺ نوَلِّف القرآن من الرِّقاع»[2] أي نجمعه لترتيب آياته من الرقاع، وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **«كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»**. الحديث[3].

أدوات الكتابة:

لم تكن أدوات الكتابة ميسرة للصحابة في ذلك الوقت فكانوا يكتبونه على كل ما تناله أيديهم من العُسُب (وهي جريد النخل).

واللِّخَاف: (وهي الحجارة الرقيقة).

والرِّقاع: (وهي القطعة من الجلد أو الورق).

والكرانيف: (وهي أطراف العُسُب العريضة).

والأَقْتَاب: (جمع قتَب وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه).

(١) انظر جوامع السيرة لابن حزم ص:٢٦ ـ ٢٧، وزاد المعاد لابن القيم ج:١ ص:٢٩، وكُتّابُ الوحي للدكتور: أحمد عبد الرحمن عيسى، وكُتّابُ النبي ﷺ: للدكتور محمد مصطفى الاعظمي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ج:٢ ص:٢٢٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ج:٢ ص:٢٢١.

والأكتاف: (جمع كتف وهي عظم عريض للإبل والغنم).

وكان كُتَّابُ الوحي ـ رضي الله عنهم ـ يضعون كُلَّ ما يكتبون في بيت رسول الله ﷺ وينسخون لأنفسهم منه نسخة.

مميزات جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ:

١ ـ ثبت في السنة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ومما ورد في ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»**[١] وقد كانت كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ على الأحرف السبعة.

٢ ـ أجمع العلماء على أنَّ جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ كان مرتب الآيات أما ترتيب السور ففيه خلاف.

٣ ـ بعض ما كتب في عهد الرسول ﷺ نسخت تلاوته وظلَّ مكتوبا حتى توفى رسول الله ﷺ وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يُحرِّمْن» ثم نسخن «بخمس معلومات» فتوفي رسول الله ﷺ وهنَّ فيما يُقرأ من القرآن[٢].

٤ ـ لم يكن القرآن الكريم في عهد الرسول الله ﷺ مجموعاً في مصحف واحد، بل كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف واللخاف وغيرها ولهذا قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: «قُبِضَ النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء»[٣] وقال أيضاً لما أمر بجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه: «فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال»[٤].

---

(١) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٠ ورواه مسلم ج:١ ص:٥٦٠.

(٢) رواه مسلم ج:٢ ص:١٠٧٥.

(٣) فتح الباري، لابن حجر ج:٩ ص:٩، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ج:١ ص:٥٧.

(٤) صحيح البخاري ج:٦ ص:٩٨ باب جمع القرآن الكريم.

ولعلك تسأل بعد هذا لماذا لم يجمع القرآن في عهد الرسول ﷺ في مصحف واحد؟ وقد أجاب العلماء رحمهم الله تعالى على ذلك، وذكروا أسباباً منها:

١ ـ أن الله تعالى قد أمَّنَ نبيَّه عليه الصلاة والسلام من النسيان بقوله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[١]، أي ما شاء أن يرفع حكمه بالنسخ فلا خوف إذن أن يذهب شيء من القرآن الكريم، وأما بعد وفاته ﷺ فإن النسيان قد يقع فبادر المسلمون إلى جمعه في مصحف واحد[٢].

٢ ـ قال الخطابي: «إنَّما لم يَجْمَعْ ﷺ القرآن في المصحف لِمَا كان يترقَّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهَمَ الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة[٣].

وقال الزركشي: «وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يَرِدُ على بعض، فلوجمعه ثم رُفِعَت تلاوة بعضٍ لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين»[٤].

٣ ـ أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، بل نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة.

٤ ـ أن ترتيب آيات القرآن وسوره ليس على حسب ترتيب نزوله،

---

(١) سورة الأعلى: الآيتين ٦ ـ ٧.

(٢) البرهان: الزركشي: ج:١ ص:٢٣٨.

(٣) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٥٧، وانظر شرح السنة: للبغوي ج:٤ ص:٥١٩.

(٤) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٣٥.

ولو جمع القرآن في مصحف واحد حينذاك لكان عرضة للتغيير كلما نزل شيء من القرآن[١].

ولم يكن الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذا اختلفوا في شيء من القرآن يرجعون إلى ما هو مكتوب بل كانوا يرجعون إلى الرسول ﷺ فيعرضون عليه قراءتهم ويسألونه عنها.

وبعد وفاة الرسول ﷺ ومقتل بعض القراء من الصحابة دعت الحاجة إلى جمع القرآن في مصحف واحد، فكان ذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانياً: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

سببه:

بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت بعض قبائل العرب فأرسل أبوبكر رضي الله عنه خليفةُ رسول الله ﷺ الجيوش لقتال المرتدين وكان قوام هذه الجيوش هم الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم حُفَّاظ القرآن، وكانت حروب الردة شديدة قتل فيه عدد من القراء الذين يحفظون القرآن الكريم، فخشي بعض الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته[٢] فأراد أن يجمع القرآن في مصحف واحد بمحضر من الصحابة.

وقصة ذلك رواها البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر ـ مقتل أهل اليمامة ـ فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحر[٣] يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرآء

---

(١) مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٢) شرح السنة: البغوي، ج:٤ ص:٥٢١.

(٣) يعني: اشتد وكثر.

بالموطن فيذهب كثير من القرآن وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ. قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه»[1].

تاريخ هذا الجمع:

هو كما جاء في الحديث بعد معركة اليمامة، وفي السنة الثانية عشرة من الهجرة.

أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لهذا الجمع:

ترجع أسباب اختيار زيد بن ثابت لأمور منها:

١ ـ أنّه كان من حُفّاظ القرآن الكريم.

٢ ـ أنّه شهد العَرْضة الأخيرة للقرآن الكريم، وقد روى البَغَويُّ عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي أنّه قال: قرأ زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين إلى أنْ قال عن زيد بن ثابت أنه: «شهد

(١) صحيح البخاري ج:٦ ص:٩٨ ـ ٩٩.

العرضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاّه عثمان كَتَبَةَ المصاحف رضي الله عنهم أجمعين»[1].

٣ ـ أنّه من كُتّاب الوحي للرسول ﷺ.

٤ ـ خصوبة عقله، وشدة ورعه، وكمال خلقه، واستقامة دينه، وعظم أمانته ويشهد لذلك قول أبي بكر رضي الله عنه له: «إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ» وقوله نفسه رضي الله عنه: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن».

منهج زيد في هذا الجمع:

من المعلوم أنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يحفظ القرآن كله في صدره وكان القرآن مكتوباً عنده ومع هذا فلم يعتمد على ما حفظه ولا على ما كتب بيده وذلك أنَّ عمله ليس جمعَ القرآن فحسب، وإنَّما التوثيق والتثبت فيما يكتب ولهذا يقول الزركشي رحمه الله تعالى عن زيد: «وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم»[2] وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتب بين يدي النبي ﷺ»[3].

وقد رسم أبو بكر رضي الله عنه لزيد المنهج لهذا الجمع فقال له ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[4][5].

---

(١) شرح السنة: البغوي ج:٤ ص:٥٢٥ ـ ٥٢٦، والبرهان للزركشي، ج:١ ص:٢٣٧، والإتقان للسيوطي ج:١ ص:٥٠.

(٢) البرهان، الزركشي ج:١ ص:٢٣٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ج:٩ ص:١٥.

(٤) المصاحف: لابن أبي داود ص:١٢. وجمال القراء: ج:١ ص:٨٦.

(٥) قال ابن حجر: «ورجاله ثقات مع انقطاعه» فتح الباري ج:٩ ص:١٤.

وقد امتثلا ذلك فقد قام عمر في الناس فقال: «من كان تلَقَّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به»[1].

وقد بيَّن زيدُ نفسه المنهج الذي سلكه بقوله رضي الله عنه: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال»[2].

وعلى هذا فإنَّ منهج زيد في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقوم على أسس أربعة:

ـ الأول: ما كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ.

ـ الثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

ـ الثالث: أن لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كُتب بين يدي الرسول ﷺ، قال السخاوي معناه: «من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ»[3].

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: «وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ»[4].

ـ الرابع: أن لا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم الرسول ﷺ فإن عمر رضي الله عنه ينادي: «من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به» ولم يقل من حفظ شيئاً من القرآن فليأتنا به.

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود ص:١٧.

(٢) صحيح البخاري ج:٦ ص:٩٨ ـ ٩٩.

(٣) جمال القراء: السخاوي ج:١ ص:٨٦.

(٤) فتح الباري: ابن حجر ج:٩ ص:١٥، وانظر المرشد الوجيز: لأبي شامة ص:٥٧.

مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١ ـ جمع القرآن الكريم في هذا العهد على أدقّ وجوه البحث والتحرّي والإتقان على الوجه الذي أشرنا إليه في منهج الجمع.

٢ ـ أُهْمِلَ في هذا الجمع ما نُسِخت تلاوته من الآيات.

٣ ـ أنَّ هذا الجمع كان بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كما كان في الرِّقاع التي كتبت في عهده الرسول ﷺ.

٤ ـ أنَّ هذا الجمع كان مرتب الآيات باتفاق واختلف العلماء في السور هل كانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان رضي الله عنه.

٥ ـ اتفق العلماء على أنه كُتِبَ نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع حفظها أبو بكر لأنه إمام المسلمين.

٦ ـ ظفَرَ هذا الجمعُ بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه.

مكانة هذا الجمع:

ظفر هذا الجمع باتفاق الصحابة رضي الله عنهم على صحته ودقته وأجمعوا على سلامته من الزيادة أو النقصان وتَلقَّوه بالقبول والعناية التي يستحقها حتى قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين»[١].

تسميته بالمصحف:

لم يكن (المصحف) يُطلق على القرآن قَبْلَ جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإنَّما عُرِفَ هذا الاسم بعد أن أتمَّ زيد جمع القرآن فقد روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه (المصاحف) أنَّه قال: «لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر التمسوا له إسماً فقال بعضهم السِّفْر وقال

---

(١) المصاحف: أبو داود السجستاني ص:١١.

بعضهم المصحف فإنَّ الحبشة يسمونه المصحف وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف»[١].

خبر هذا المصحف:

بعد أن أتمَّ زيد جمع القرآن في المصحف سَلَّمَه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فحفظه عنده حتى وفاته ثم انتقل إلى أمير المؤمنين من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد وفاته انتقل المصحف إلى حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها لأن عمر رضي الله عنه جعل أمْرَ الخلافة من بعده شورى، فبقي عند حفصة إلى أن طَلَبه منها عثمان رضي الله عنه لنسخه بعد ذلك ثم أعاده إليها ـ لما سيأتي ـ ولما توفِّيت حفصة رضي الله عنها أرسل مروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ساعة رجعوا من جنازة حفصة بعزيمة ليُرْسِلَنَّ بها فأرسل بها ابنُ عمر إلى مروان فمزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف ما نسخ عثمان رضي الله عنه[٢].

ثالثاً: جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

سببه:

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين وكان كل صحابي يُعَلِّمُ بالحرف الذي تَلقَّاه من الأحرف السبعة فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه فيأتون بما لم يَسمع أهلُ العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهلُ الشام فيُكَفِّر بعضهم بعضاً[٣]. وعندما اتجه جيش المسلمين لفتح «أرمينيه» و «أذربيجان» كان الجنود من أهل العراق وأهل الشام فكان

---

(١) الإتقان: السيوطي ج: ص:٥١.

(٢) المرشد الوجيز: أبو شامة المقدسي، ص:٥٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ج:٩ ص:١٨.

الشّقاق والنزاع يقع بينهم ورأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلف كل منهم لقراءته واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب وما عداها تحريف وضلال حتى كَفَّرَ بعضهم بعضا فأفزع هذا حذيفة رضي الله عنه فقال والله لأركبَنَّ إلى أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة فقد كان المُعَلِّم يُعَلِّم بقراءة والمعلم الآخر يعلم بقراءة فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيباً وقال: «أنتم عندي تختلفون فيه فتَلْحَنُون فمن نأى عني من الأمصار أشدّ فيه اختلافاً وأشدّ لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إماماً»[1].

فلمّا جاء حذيفة إلى عثمان رضي الله عنهما وأخبره بما جرى تحقّق عند عثمان ما توقعه، وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح «أرمينيه» و «أذربيجان» مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان[2].

تاريخ هذا الجمع:

كان ذلك في أواخر سنة ٢٤ وأوائل سنة ٢٥ كما قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى[3].

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود ص:٢٩.
(٢) صحيح البخاري ج:٦ ص:٩٩.
(٣) فتح الباري: ابن حجر ج:٩ ص:١٧.

فكرة الجمع:

لما سَمِع عثمان رضي الله عنه ما سمع وأخبره حذيفة رضي الله عنه بما رأى استشار الصحابة فيما يفعل، فقد روى ابن أبي داود بإسناد صحيح ـ كما يقول ابن حجر[1] ـ من طريق سويد بن غفلة قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا أيها الناس لا تغْلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف.. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ عن ملأ منّا جميعاً، قال ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنَّ بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[2].

اللجنة المختارة:

اختار عثمان رضي الله عنه أربعة لنسخ المصاحف هم:

زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة من قريش.

فقد سأل عثمان رضي الله عنه الصحابة: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت قال: فأي الناس أعرب؟ وفي رواية أفصح. قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليُملِ سعيد، وليكتب زيد»[3].

المنهج في هذا الجمع:

بعد أن اتفق عثمان مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على جمع

---

(١) فتح الباري: ابن حجر ج:٩ ص:١٨.
(٢) المصاحف: ابن أبي داود ص:٣٠.
(٣) فتح الباري: ابن حجر، ج:٩ ص:١٩.

القرآن على حرف سلك منهجاً فريداً، وطريقاً سليماً، أجمعت الأمة على سلامته ودقته.

١ ـ فبدأ عثمان رضي الله عنه بأن خطب في الناس فقال: «أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: «قراءة أبي» و«قراءة عبد الله» يقول الرجل: «والله ما تقيم قراءتك»!! فأعزمُ على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لمَّا جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم، لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم»[1].

٢ ـ وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك، فأرسلت بها إليه، ومن المعلوم أن هذه الصحف هي التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أدق وجوه البحث والتحري.

٣ ـ ثم دفع ذلك إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة وأمرهم بنسخ مصاحف منها وقال عثمان للقرشيين: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»[2].

٤ ـ إذا تواتر في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أيَّة علامة تقصِرُ النطقَ بها على قراءة واحدة فتكتب برسم واحد يحتملُ القراءتين أو القراءات فيها جميعا مثل:

أ ـ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[3] التي قُرِأت أيضاً (فتثبتوا)[4].

---

(١) المصاحف ابن أبي داود، ص:٣١. وانظر جمال القراء: ج:١ ص:٨٩.

(٢) صحيح البخاري: ج:٦ ص:٩٩.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ج:٢ ص:٢٥١.

ب - ﴿نُنشِزُهَا﴾[1] قُرأت أيضاً (ننشزها)[2].

أما إذا لم يمكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى مثل:

أ - ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾[3] هكذا تكتب في بعض المصاحف وفي بعضها (وأوصى)[4].

ب - ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5] بواو قبل السين في بعض المصاحف وفي بعضها بحذف الواو[6].

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار الإسلامية حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كلِّ سنة لعرض المصاحف فيعرضون مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة[7].

مزايا جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

تميَّز هذا الجمع بمزايا عديدة منها:

١ - الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالزاي والباقون بالراء المهملة (اتحاف فضلاء البشر: البناء ص: ١٦٢).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر (اتحاف فضلاء البشر ص: ١٤٨).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٦) وهي قراءة نافع وابن عامر (اتحاف فضلاء البشر ص: ١٧٩).

(٧) المصاحف: ابن أبي داود ص: ١٧٥.

الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله ﷺ القراءة بها لمّا كان ذلك مصلحة»[1].

٢ ـ إهمال ما نسخت تلاوته:

فقد كان قصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أُثْبِتَ مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثْبَتِ رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد[2].

٣ ـ الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداه.

فقد روى ابن أبي داود في المصاحف عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لمّا أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الرَّبْعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد فظننت ظنًا أنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله[3].

٤ ـ الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول ﷺ وإلغاء ما لم يثبت[4].

٥ ـ كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن.

قال الحاكم في المستدرك: «إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جُمِعَ بعضه بحضرة الرسول ﷺ، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق،

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ابن القيم ص:١٦.

(٢) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٦٠.

(٣) المصاحف: ابن أبي داود ص:٣٣.

(٤) البرهان، الزركشي ج:١ ص:٢٣٥.

والجمع الثالث هو في ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين»[1].

الفروق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما:

كان معنى (الجمع) ظاهراً في جمع القرآن في عهد أبي بكر فقد كان القرآن مفرقاً فأمر بجمعه كما قال المحاسبي: «كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء»[2].

إذاً فمعنى الجمع فيه ظاهر لا يحتاج إلى تفريق بينه وبين الجمع في عهد الرسول ﷺ، لكن الإشكال واللبس هو في الجمعين الثاني والثالث، إذ كيف يأمر عثمان بجمع القرآن وهو مجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما؟! ولذا فإنَّ العلماء يُوْلُون التفريق بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان عنايتهم لإزالة هذا اللبس، ويذكرون فروقا.

قال القاضي أبو بكر في الانتصار، «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك»[3] وقال ابن التين وغيره «الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أنَّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في أي موضع واحد فجمعه في صحائف مرَتَّباً لآيات سُوَرِه على ما وقَّفَهم عليه النبي ﷺ وجمع عثمان كان لمَّا كَثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على إتساع اللغات فأدَّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر

---

(١) المستدرك: الحاكم ج:٢ ص:٢٢٩.
(٢) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٣٨.
(٣) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٣٥.

من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم[1].

ومن هذين النصين نستطيع أن نستخلص أهم الفروق وهي:

١ ـ أنَّ الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته وذلك حين استحرَّ القتل بالقراء في حروب الرِّدَّة، أمَّا جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه فلكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

٢ ـ أنَّ جمع أبي بكر رضي الله عنه على الأحرف السبعة، أما جمعه في عهد عثمان فقد كان على حرف واحد.

٣ ـ أنَّ جمع أبي بكر رضي الله عنه كان مرتب الآيات وفي ترتيب السور خلاف، أمَّا جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور باتفاق.

٤ ـ أنَّ الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه بمعنى الجمع في مصحف واحد وأما الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه فبمعنى نسخه في مصاحف متعددة.

إنفاذ المصاحف:

بعد أن أتمَّت اللجنة نسخ المصاحف أنفذ عثمان إلى آفاق الإِسلام بنسخ منها وأرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني وبعث عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن أبي شهاب[2] مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري وتلقى التابعون في كل قطرة قراءة إمامهم وتفرغ قوم منهم لضبط القراءات حتى صاروا أئمة يُرحل إليهم[3].

---

(١) الإتقان: السيوطي، جـ:١ ص:٥٩ ـ ٦٠.

(٢) انظر غاية النهاية: جـ:٢ ص:٣٠٥ حيث قال: «الصواب ابن أبي شهاب» وهو عند بعضهم المغيرة بن شهاب.

(٣) مناهل العرفان: الزرقاني جـ:١ ص:٣٩٦ ـ ٣٩٧.

موقف الصحابة من هذا الجمع:

وبعد أن أنفذ عثمان المصاحف أمر بما سوى مصحفه أن يُحرق وبعث (إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم)(١).

وقد رضي الصحابة رضي الله عنهم ما صنع عثمان وأجمعوا على سلامته وصحته وقال زيد بن ثابت «فرأيت أصحاب محمد يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان»(٢).

وروى ابن أبي داود عن مصعب بن سعد قال: «أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد»(٣).

وروى سويد بن غفلة قال: قال علي ـ رضي الله عنه ـ: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا»(٤) وعند ابن أبي داود قال: قال علي في المصاحف (لو لم يصنعه عثمان لصنعته)(٥).

ولم يُنقل عن أحد من الصحابة خلاف أو معارضة لما فعل عثمان رضي الله عنه، إلا ما روي من معارضه عبد الله بن مسعود وينبغي أن نعلم أنَّ معارضته رضي الله عنه لم تكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص أو زيادة وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة النسخ للمصاحف، ولهذا قال «أُعْزَلُ عن نسخِ المصاحف وتَوَلاَّها رجل والله لقد

---

(١) فتح الباري: ابن حجر ج:٩ ص:٢١.

(٢) غرائب القرآن: النيسابوري ج:١ ص:٢٧.

(٣) المصاحف: ابن أبي داود، ص:١٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ج:٩ ص:١٨.

(٥) المصاحف: ابن أبي داود، ص:١٩.

أسلمت وإنّه لفي صُلب رجلٍ كافرٍ»[1].

وروى الترمذي عن ابن شهاب قال: «فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي ﷺ»[2] وقد دافع أبو بكر الأنباري عن اختيار زيد بقوله: «ولم يكن الاختيار لزيد.. إلا أن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله ﷺ حيٌّ، ولا ينبغي أن يظنَّ جاهل أنَّ في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود، لأن زيداً إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجباً لتقدمته عليه لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيراً منهما ولا مساوياً لهما في الفضائل، والمناقب، وما بدا عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يُشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم»[3] وأكَّد ذلك الذهبي فقال: «وقد ورد أنَّ ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد»[4] وقال ابن كثير: (وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف إلى أن قال.. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق»[5].

فإن قيل كيف جاز للصحابة ترك الأحرف الستة التي أمر الرسول ﷺ قراءة القرآن بها واقتصروا على حرف واحد؟

قيل: إنَّ أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة.. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن القوْم بتركهم بقية الأحرف

(١) المرجع السابق، ص:٢٤ ـ ٢٥، وتفسير القرطبي ج:١ ص:٥٢، ٥٣.
(٢) جامع الترمذي ج:٥ ص:٢٨٥.
(٣) تفسير القرطبي ج:١ ص:٥٣.
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ج:١ ص:٤٨٨.
(٥) فضائل القرآن: ابن كثير ص:٢٠.

تاركين ما عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما يؤدون به الواجب وهو أحد هذه الأحرف فإذا حفظوه ونقلوه فقد فعلوا ما كلفوا به[1].

وقد علَّل ابن القيم رحمه الله تعالى جمع الناس على حرف واحد، فأحسن حيث قال: «فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك ومنعوا الناس من القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدَّة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرّق والتشتيت ويطمع فيهم العدو فرأى الأمامُ جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكه لمصلحة الأمة»[2].

عدد المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها:

اختلف في عدد النسخ التي كتبها عثمان إلى خمسة أقوال:

١ ـ قيل أنها أربع نسخ:

قال أبو عمرو الداني: «أكثر العلماء على أنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لمَّا كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كلِّ ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة»[3].

٢ ـ قيل أنها خمس نسخ:

قال السيوطي: «المشهور أنها خمسة»[4].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري ج:١ ص:٦٤، وما بعدها.
(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم ص:١٦.
(٣) المقنع: لأبي عمرو الداني ص:٩.
(٤) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٦٠.

٣ ـ قيل أنها سبع نسخ:

فقد روى ابن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني قال: لمَّا كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحداً إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً»[١].

وقيل أنها ثمانية وقيل أنها ستة.

خبر هذه المصاحف:

ذكر بعض المؤرخين القدامى رؤيتهم لبعض هذه المصاحف وممن ذكر رؤيته لبعضها ابن جبير (ت٦١٤هـ) حين زار جامع دمشق رأى في الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه وهو المصحف الذي وجه به إلى الشام كما قال[٢] وقد زار المسجد أيضاً ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) فقال: «وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية وفي الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الشام»[٣] ورأى النسخة نفسها ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى حيث قال: «وأمَّا المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً في طبريَّة، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمس مائة وقد رأيته كتاباً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل والله أعلم[٤] كما ذكر ابن بطوطة أنه رأى في مسجد علي رضي الله عنه في

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود ص:٤٣.
(٢) رحلة ابن جبير: ص:٢١٧.
(٣) رحلة ابن بطوطة ج:١ ص:٥٤.
(٤) فضائل القرآن: ابن كثير، ص:٢٩.

البصرة المصحف الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قُتِلَ، وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1][2] ويبدو كذلك أن ابن الجزري وابن فضل الله العمري قد رأيا كلاهما هذا المصحف الشامي نفسه[3]. ورأى ابن الجزري مصحفاً في مصر[4].

ويبدو ـ كذلك ـ أنَّ المصحف الشامي ظلَّ محفوظاً في الجامع الأموي إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري حيث قيل أنه احترق، فقد قال الأستاذ محمد كرد علي في حديثه عن الجامع الأموي حتى إذا كانت سنة ١٣١٠هـ. سرت النار إلى جذوع سقوفه فالتهمتها في أقل من ثلاث ساعات فدثر آخر ما بقي من آثاره ورياشه وحرق فيه مصحف كبير بالخط الكوفي كان جيء به من مسجد عتيق في بُصرى وكان الناس يقولون إنه المصحف العثماني[5] وقيل أن هذا المصحف أمسى زمناً في حوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينينجراد ثم نقل إلى إنجلترا[6].

كما أن هناك مصاحف أثرية تحتويها خزائن الكتب والآثار في مصر، ومنها المصحف المحفوظ في خزائن الآثار بالمسجد الحسيني، ويقال عنها إنها مصاحف عثمانية، وقد شكك كثيراً الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بهذا معللاً بأن فيها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور ولبيان أعشار القرآن، ومعلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا[7].

---

(١) سورة البقرة: من الآية: ١٣٧.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ج:١ ص:١١٦.

(٣) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص:٨٨، ٨٩.

(٤) مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:٣٩٧.

(٥) خطط الشام، محمد كرد علي ج:٥ ص:٢٦٢.

(٦) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص: ٨٩.

(٧) مناهل العرفان، الزرقاني ج:١ ص:٣٩٧. وانظر ما كتبته الدكتورة/ سعاد ماهر عن المصاحف الأثرية في مصر والمنسوبة إلى عثمان رضي الله عنه، وذلك في كتابها (مخلفات الرسول في المسجد الحسيني) من ص:١٠٩ إلى ص:١٣٤.

وفقد هذه المصاحف لا يقلل من ثقتنا اليقينية بما تواتر واستفاض نقله من المصاحف ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام، وسواء وجدت هذه المصاحف أو فقدت فإنّا على يقين تام لا يزاوله شك ولا يعتريه ريب بسلامة هذه المصاحف من الزيادة أو النقصان، وقد اعترف بذلك غير المسلمين من العلماء المحققين يقول المستشرق موير: «إنَّ المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يُذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يُعدّ أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا[1].

النوع الثالث: جمعه بمعنى تسجيله صوتياً:

من المعلوم أنَّ للتلاوة أحكاماً ينبغي أن يأخذ بها تالي القرآن الكريم كالقلقة والرَّوْمِ والإشْمَامِ، والإخفَاء، والإدْغامِ، والإقْلَابِ، والإظْهارِ، ونحو ذلك. وليس من السهل بل قد تتعذر كتابة مثل هذا.

ولهذا قرر العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ أنه لا يصح التعويل على المصاحف وحدها، بل لا بُدَّ من التلقِّي عن حافظٍ متقنٍ، وكانوا يقولون: (من أعظم البَلِيَّة تشييخ الصحيفة)[2]. ويقولون: (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفيّ)[3] وهو الذي يُعَلِّمُ الناس وينظر إلى رسم المصحف. وكان الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: (من تفقه من بطون

(١) مدخل إلى القرآن: د. محمد عبد الله دراز، ص:٤٠.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة، ص:٨٧. الفقيه والمتفقه: ج:٢ ص:٩٧.
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري، ص:١٠.

الكتب ضَيَّعَ الأحكام)[1]. بل إنَّ أعلام حُفَّاظ القرآن يُميزون الحفظ بالتلقي، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «والله لقد أخذت مِنْ في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة»[2] ويبين عمَّن أخذ باقيه فيقول في رواية أخرى: «وأخذتُ بقية القرآن عن أصحابه»[3] ولإدراكه ـ رضي الله عنه ـ مكانة التلقي بالمشافهة كان إذا سئل عن سورة لم يكن تلقاها عن رسول الله ﷺ صرح لهم بذلك، ودَلَّهم على من تلقاها بالمشافهة عن الرسول ﷺ، فعن معد يكرب قال: أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ (طسم) المئتين، فقال: ما هي معي ولكن عليكم مَنْ أخذها من رسول الله ﷺ خبَّاب بن الأرت، قال: فأتينا خباب بن الأرت، فقرأها علينا[4].

وما قاله ابن مسعود وغيره من أعلام الحفاظ في وجوب التلقي للقرآن مشافهة لم يبتدعوه من عند أنفسهم وإنما أخذوه من سنة رسول الله ﷺ فقد كان النبي ﷺ نفسه يتعلم القرآن من جبريل عليه السلام ويُشافهه به مشافهة، ويُعارضه القرآن في كل عام في شهر رمضان، وعارضه عام وفاته بالقرآن مرتين، والصلوات الخمس يُجْهَرُ في ثلاث منها، وكذا في صلاة الجمعة، والاستسقاء، والخسوف، والكسوف، والتراويح، والعيدين، وفي هذا إشارة إلى تعلم الناس للتلاوة الصحيحة في الصلاة الجهرية ثم تطبيقها في الصلاة السرية.

وكان الرسول ﷺ يبعث القراء إلى من يدخل في الإسلام لتعليمهم التلاوة وكان بإمكانه ﷺ أن يكتب لهم، واقتدى بسنته من بعده الخلفاء

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة، ص:٨٧ وشرح المهذب: النووي ج:١ ص:٦٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ج:٦ ص:١٠٢. واللفظ له ورواه مسلم بلفظ آخر كتاب فضائل الصحابة ج:٤ص:١٩١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج:٩ ص:٤٨.

(٤) مسند الإمام أحمد ج:٦ ص:٣٤، بتحقيق أحمد شاكر، رقم ٣٩٨٠، وقال: إسناده صحيح.

الراشدون فأرسلوا إلى أهل البلدان المفتوحة قراء يعلمونهم القرآن، ولما نسخ عثمان المصاحف أرسل مع كل مصحف قارئاً يُعَلِّم الناس عليه.

ولا شك أنَّ هذا دليل قاطع على أن من أحكام القراءة ما لا يمكن إتقانه إلا بالتلقي الشفهي.

ولم يكن من وسيلة لتحقيق ذلك إلا عن طريق القراء وقد جَدَّت في العصر الحديث وسائل وآلات تسجل الصوت، ثم تعيده.

ولا شك أنَّ هذه الالات والاستفادة منها في نشر القرآن الكريم وبثه في العالم الإسلامي خاصة في البلدان التي تفتقد المُعَلِّم الضابط من خير الوسائل لحفظه وتعليمه.

وقد أدرك هذا الأمر بعضُ الغيورين على الإسلام والحريصين على نشره فتداعوا لجمع القرآن في أشرطة صوتية كما جُمِعَ على الورق في الصحف.

وتبنَّت الجمع الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بمصر وكان ذلك سنة ١٣٧٩هـ باقتراح من رئيسها الأستاذ لبيب السعيد [١]، وقد اتفقوا على تسمية المشروع بـ (المصحف المرتل) أو (الجمع الصوتي).

تعريف المصحف المرتل:

أمَّا المصحف: فمثلثة الميم، والأصلُ والأشهر الضمُّ، وهو مأخوذ من «أُصْحِفَ» أي جعلت فيه الصحف[٢].

واصطلاحا: هو مجموعة صحائف القرآن مرتبة الآيات والسور على الوجه الذي تلقته الأمة الإسلامية من النبي ﷺ.

والفرق بين المصحف والقرآن أنَّ المصحف اسم لمجموع الصحائف المدوَّن فيها القرآن، أمَّا القرآن الكريم فهو الألفاظ ذاتها.

---

(١) اعتمدت فيما أوردت عن قصة هذا الجمع على ما كتبه الأستاذ لبيب السعيد في كتابه (الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل).

(٢) القاموس المحيط: ص١٠٦٨ ولسان العرب: جـ:٩ ص:١٨٦.

وأما المُرَتَّل لغة: فمأخوذ من رَتِل الثَّغْر، إذا استوى نباته، وحسن تنضيده، وكان مُفلِجاً.

واصطلاحا: القراءة بتؤده واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطاءه حقه ومستحقه ومع تدبر المعاني، وقيل هو رعاية مخارج الحروف، وحفظ الوقوف.

والترتيلُ أفضل مراتب القراءة الأربع وهي:

١ ـ التحقيق: وهو أكثرها اطمئناناً وأكثر ما يستعمل في التعليم.

٢ ـ الترتيل: القراءة بتؤدة واطمئنان.

٣ ـ التدوير: وهي مرتبة بين الترتيل والحدر.

٤ ـ الحدر: وهو الإسراع بالقراءة مع مراعاة الأحكام.

المراد به: المصحف المرتل هو التسجيل المسموع للقرآن الكريم.

أدواته: أجهزة التسجيل الحديثة وأشرطته واسطواناته ونحوها.

سببه: أمّا بواعث التفكير في الجمع الصوتي للقرآن الكريم فكثيرة منها:

١ ـ اقتضاء المحافظة على القرآن الكريم وذلك عن طريق:

أ ـ تعليم النطق الصحيح الذي لا محيص عنه لطالب القرآن والذي بغيره لا يُؤمن التصحيف.

ب ـ المحافظة على القراءات التي نزل بها القرآن وأجمع عليها المسلمون وثبت تواترها.

ج ـ المنع من القراءة بالشواذ التي تعلق بها أفراد من القراء.

٢ ـ تيسير تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه.

أ ـ لأنَّ المصاحف المُرتَّلة نماذج صوتية ممتازة للترتيل الصحيح.

ب ـ لأنّها تُيَسّر القرآن للحفظ والتعليم خاصة في البلدان التي تفتقد المعلم الضابط.

ج ـ لأنّها طِبُّ اختلاف الرسم العثماني عن الرسم الإملائي المعروف.

٣ ـ ضرورة الذود عن القرآن الكريم ضد الطاعنين عليه وضد كل محاولة لتحريفه، وكل عقبة تُوضع أمام وُحدة أتباعه أو أمام نشره وتوزيعه بين المسلمين وذلك بأن يُبَثّ في الإذاعات ونحوها.

٤ ـ معاضدة المصحف العثماني الذي أجمع المسلمون عليه.

٥ ـ درء أيّ تحريف عن القرآن الكريم.

٦ ـ نشر لغة القرآن الكريم وتوطيد الوحدة بين المسلمين.

تاريخ المصحف المرتل:

عُقِدَ أولُ اجتماع في الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم برئاسة الأستاذ لبيب السعيد لدراسة الموضوع في مساء ١٤/ رمضان/ ١٣٧٨هـ في القاهرة وتمت الموافقة عليه ووضعت الشروط والمواصفات.

بدء الطبع:

لاقى المشروع في بدايته عقبات كثيرة مادية وعلمية وغيرها، وقد تجاوز بحمد الله كلَّ هذا، وبدأ الطبعُ الأل مرة سنة ١٣٧٩هـ في ذي القعدة، وانتهت الطبعة الأولى في المحرم من عام ١٣٨١هـ وذلك بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم، فأعقب هذا سنة ١٣٨٢هـ تسجيلُ قراءة أبي عمرو برواية الدوري.

كيفية التسجيل:

لم يكن التسجيل شيئاً هيناً فمع امتياز القارئ وكونه قد أصبح آنئذ شيخ المقارئ المصرية فقد كانت اللجنة تستوقفه كثيراً ليُعيد التسجيل على النحو النموذجي المطلوب.

القراء وهم:

١ ـ محمود خليل الحصري ويقرأ برواية حفص عن عاصم.

٢ ـ مصطفى المَلْواني ويقرأ برواية خلف عن حمزة.

٣ ـ عبد الفتاح القاضي ويقرأ برواية ابن وردان عن أبي جعفر.

٤ ـ فؤاد العروسي، ومحمد صديق المنشاوي، وكامل يوسف البهتيمي برواية الدوري عن أبي عمرو.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف:

وقد أدركت حكومة المملكة العربية السعودية ـ وفقها الله تعالى إلى كل خير ـ الحاجة الماسة للعناية بطباعة المصحف وتسجيله فأنشأت (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) وتم افتتاحه في السادس من شهر صفر عام ١٤٠٥. ومن أهداف هذا المجمع:

١ ـ طباعة المصحف الشريف:

طباعة تنأى به عن الأخطاء المطبعية، حيث أنشأت مطبعة تعد من أضخم المطابع في العالم وأحدثها. ويسمى المصحف الذي تصدره (مصحف المدينة النبوية) وتبلغ طاقة المطبعة ثلاثين مليون نسخة سنوياً أي بمعدل مصحف كامل كل (ثانية) بدون توقف.

٢ ـ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة:

وقد أصدر المجمع حتى نهاية عام ١٤١٧ إحدى وعشرين ترجمة لمعاني القرآن الكريم.

٣ ـ تسجيل القرآن الكريم:

حيث يضم المجمَّع استديو للتسجيلات الصوتية، مجهزاً بأحدث الآلات والمعدات ذات التقنية العالية، حيث يتم تسجيل تلاوة القرآن الكريم بأصوات كبار القُرَّاء بالمملكة والعالم الإسلامي تحت إشراف لجنة من كبار العلماء تراقب أعمال التسجيل.

ويسعى المجمع في خطته المستقبلية إلى إنتاج إصدارات صوتية لترجمة معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة.

وتبلغ الطاقة الإنتاجية من أشرطة الكاسيت في المجمع أكثر من مليونين وأربع مائة ألف شريط سنوياً.

وحتى نهاية عام ١٤١٧ تم تسجيل القرآن الكريم كاملاً برواية حفص عن عاصم بأصوات كل من:

١ ـ الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي إمام المسجد النبوي الشريف.

٢ ـ الشيخ محمد أيوب محمد يوسف.

٣ ـ الشيخ عبد الله بن علي بصفر.

٤ ـ الشيخ إبراهيم الأخضر علي القَيّم.

٥ ـ الدكتور عماد بن زهير حافظ.

كما تم تسجيل القرآن الكريم كاملاً بصوت الشيخ علي الحذيفي برواية قالون عن نافع.

وتم تسجيل معاني القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة الأورمية وهناك خطة لتسجيل معاني القرآن الكريم بلغات أخرى.

٤ ـ الوفاء باحتياجات الحرمين الشريفين والمساجد والعالم الإسلامي من الإصدارات الخاصة بالقرآن الكريم.

٥ ـ خدمة السنة والسيرة النبوية الشريفة.

وذلك بجمع وحفظ الكتب والمخطوطات والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة وإعداد موسوعة في الحديث النبوي إلى جانب ترجمة بعض أمهات كتب السنة والسيرة.

٦ ـ إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة[1].

---

(١) رجعت فيما كتبت عن المجمع إلى:

١ ـ التقرير السنوي للمجمع لعام ١٤١٧.

٢ ـ كتيّب تعريف بالمجمع ١٤١٨.

٣ ـ مطوية أصدرتها إدارة العلاقات العامة بالمجمع.

ترتيب سور القرآن الكريم وآياته

وهذا مبحث مهم من المباحث الجليلة، أولاه العلماء اهتمامهم وعنايتهم وزادت قيمته ومكانته حين ظهر الاتجاه الحديث في الدراسات القرآنية بتناول السور القرآنية مستقلة بناء على الوحدة الموضوعية، وأنَّ كلَّ سورةٍ ذاتُ هدفٍ مُعيَّنٍ وغرض أساس أنزلت لأجله، وأكَّدُوا على هذا المعنى باعتباره مدخلاً لفهم معانيها وكشف أسرارها وحِكَمِها ثم بنوا على ذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وبيان المناسبات بين الآيات والسور.

وتقسيمُ القرآن إلى سور وآيات من خصائصه التي لا يشاركه فيها كتاب آخر قال الجاحظ: «سمى الله كتاباً اسمه مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل سمى جُملته قرآناً كما سموا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية»(١).

أولاً: سور القرآن الكريم:

السور: جمع سورة، وفي نطق (السورة) لغتان:

أولاهما: (السؤرة) بالهمزة مشتقة من (أسأر) أي أبقى (والسُّؤر) البقية التي تبقى من شرب الشارب في الإناء، وسُمِّيت سُؤرة كأن السؤرة بقية جملة القرآن وقطعة منه.

---

(١) الإتقان السيوطي ج:١ ص:٥٠.

ثانيهما: (السورة) بدون همز ومعناها في اللغة المنزلة والشرف وما طال من البناء وحسن، والعلامة، وسُميت السورةُ سورة لارتفاعها وشرفها وكونها علامة على صدق من جاء بها، ودليلاً على أنَّ هذا القرآن من عند الله، وهي تشبه السُّور من وجهين:

ـ الأول: أنَّ السُّور له عُلُو حسِّيٌّ والسورة لها علو معنوي.

ـ الثاني: أنَّ السور يقوم بناؤه على لَبِنَات بعضها فوق بعض والسورة يقوم بناؤها على آيات يتبع بعضها بعضاً.

أمَّا في الاصطلاح: فهي (طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع).

طريق معرفة السورة:

معرفة سور القرآن الكريم من حيث بداية كل سورة ونهايتها توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه.

عدد سور القرآن:

قال الزركشيُّ رحمه الله تعالى: «اعلم أنَّ عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلِّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس، وقال مجاهد: وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة، ويرُدُّه تسميةُ النبي ﷺ كلا منهما»[١].

أسماء السور:

تنقسم سور القرآن من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

ـ الأول: ماله اسم واحد وهو أكثر سور القرآن مثل: النساء، والأعراف، الأنعام، مريم، وغيرها.

---

(١) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٥١.

ـ الثاني: ماله أكثر من إسم، ويشمل هذا النوع سوراً لها إسمان كسورة (محمد) ﷺ حيث تسمى (القتال) وسورة (الجاثية) تسمى (الشريعة) وسورة (النحل) تسمى (النِّعم) لما عدد الله فيها من النِّعم على عباده[1].

ويشمل سوراً لها ثلاثة أسماء مثل (المائدة) وتسمى (العقود) و (المنقذة)[2] ومثل سورة غافر وتسمى (الطَّول) و (المؤمن)[3].

ويشمل سوراً لها أكثر من ثلاثة أسماء مثل سورة التوبة ومن أسمائها (براءة) و (الفاضحة) و (الحافرة) وقال حذيفة: هي سورة (العذاب) وقال ابن عمر: كنا ندعوها (المُشقْشِقَة) وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى (المُبَعْثِرة) ويقال لها: (المُسَوِّرة) ويقال لها: (البَحُوث)[4].

وكسورة الفاتحة فقد ذكر السيوطي لها خمسة وعشرين اسماً منها (أمُّ الكتاب) (أمُّ القرآن) و (السبع المثاني) و (الصلاة) و (الحمد) و (الوافية) و (الكنز) و (الشافية) و (الشفاء) و (الكافية) و (الأساس)[5].

ـ الثالث: أن تُسمَّى عدة سورٍ باسم واحدٍ:

ومن ذلك تسمية البقرة وآل عمران بـ (الزهراوين) وتسمية سورتي الفلق والناس بـ (المعوذتين) وتسمية السور المبدوءة بـ (حم) بـ (الحواميم).

مصدر التسمية:

اختلف العلماء في مصدر أسماء سور القرآن الكريم.

١ ـ قيل إنها إجتهادية واستبعد الزركشي ذلك[6]:

---

(١) المرجع السابق، ج:١ ص:٢٦٩.

(٢) روى أنها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب، تفسير القرطبي ج:٦ ص:٣٠.

(٣)(٤) البرهان: الزركشي، ج:١ ص:٢٥١.

(٥) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٥٢ ـ ٥٣، وانظر البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٦) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٧٠.

٢ ـ قيل إنها توقيفية وهو الراجح قال السيوطي: «وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار»[١].

أقسام السور:

روى واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: **«أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»**[٢]. وعلى هذا فإن سور القرآن تنقسم إلى أربعة أقسام:

ـ الأول: الطوال وهي سبع:

البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف في السابعة فقيل:(الأنفال والتوبة) معاً لأنهم كانوا يعدونهما، سورة واحدة لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل أنَّ السابعة هي سورة يونس.

ـ الثاني: المئون:

وهي ما يلي السبع الطوال، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

ـ الثالث: المثاني:

وهي ما يلي المئين وسميت بذلك لأنها تُثَنَّى في الصلاة وتُكَرَّر أكثر من الطوال والمئين.

ـ الرابع: المُفصَّل:

وهو ما يلي المثاني من قصار السور إلى آخر القرآن وسُمَّى بالمُفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وقيل لقلَّة المنسوخ منه ولهذا يُسمى بالمُحْكَم أيضاً، كما روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال: «إن الذي تدعونه المُفصَّل هو المُحْكَم»[٣].

---

(١) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٥٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ج:٤ ص:١٤٩ قال الألباني: «الحديث بمجموع طرقه صحيح والله أعلم» الصحيحة ج:٣ ص:٤٦٩.

(٣) مسند الإمام أحمد ج:١ ص:٢٥٣، وقال الأستاذ أحمد شاكر إسناده صحيح ج:٤ ص:٧٧.

وقد اختلف العلماء في أوله فقيل من أول سورة(ق) وقيل من أول (الحجرات) وقيل من أول (القتال) وذكر الزركشي والسيوطي إثني عشر قولاً في ذلك[١].

وينقسم المفصل إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ الطوال: من أوله إلى سورة (البروج).

ب ـ وأوساطه: من سورة (الطارق إلى سورة (البينة).

جـ ـ وقصاره: من(الزلزلة) إلى آخر القرآن.

وفي سورة الفاتحة خلاف فقيل من أوله وقيل من المفصل[٢].

ترتيب السور:

للعلماء في ترتيب السور في القرآن الكريم ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّ ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الآن توقيفي وأنَّه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر من الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه عز شأنه كترتيب الآيات سواء بسواء.

قال أبو بكر الأنباري: «اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلُّه عن النبي ﷺ، فمن قدَّم سورةً أو أخرَها فقد أفسد نَظْمَ القرآن»[٣].

وقال الكرماني في البرهان: «ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب»[٤]. وقال الطيبي: «أنزِلَ القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً على

---

(١) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٤٥ ـ ٢٤٦ والاتقان: للسيوطي ج:١ ص:٦٣.
(٢) فتح الباري: ابن حجر ج:٨ ص:٦٥٩.
(٣) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٦٢.
(٤) البرهان: الزركشي، ج:١ ص:٢٥٩، والإتقان للسيوطي ج:١ ص:٦٢.

حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المُثبت في اللوح المحفوظ»[1].

وقال أبو جعفر النحاس: «إنَّ تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ»[2].

وقال ابن الحَصَّار: «ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنَّما كان بالوحي»[3].

وغير هؤلاء من العلماء ومن أدلَّتهم:

١ ـ إجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على ترتيب السور في مصحف عثمان رضي الله عنه ولو كان ترتيبه بالاجتهاد لتمَسَّكَ أصحابُ المصاحف المُخالفة في الترتيب بمصاحفهم.

٢ ـ قال ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى: ـ «ومما يدل على أنَّ ترتيب المصحف كان توقيفياً ما أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي قال: كنتُ في الوفد الذين أسلموا من ثقيف.. وفيه.. فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: كيف تُحزِّبُون القرآن؟ قالوا: نُحَزِّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى نختم». ثم قال ابن حجر: «فهذا يدل على أنَّ ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي ﷺ»[4].

وإذا جمعت أعداد السور المذكورة هكذا ٣ + ٥ + ٧ + ٩ + ١١ + ١٣ كان المجموع ٤٨ سورة قال الزركشي: «وحينئذٍ فإذا عددت ثمانياً

(١) الإتقان: السيوطي، جـ:١ ص:٦٢.
(٢) المرجع السابق، جـ:١ ص:٦٢.
(٣) المرجع السابق، جـ:١ ص:٦٣.
(٤) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، جـ:٩ ص:٤٢ ـ ٤٣.

وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة (ق)»[1]. وهذا يدل على أنَّ السور كانت مرتبة في عهد الرسول ﷺ.

٣ ـ قال السيوطي رحمه الله تعالى: «ومما يدل على أنّه توقيفي كونُ الحواميم رُتِّبت وَلاءً (يعني متوالية) وكذا الطواسين، ولم تُرتَّب المُسَبِّحات ولاءً، بل فُصِلَ بين سورها وفُصلَ بين (طسم) الشعراء و (طسم) القصص بـ (طس) مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذُكرت المُسبحات ولاءً، وأخِّرت (طس) عن القصص»[2].

القول الثاني: أنَّ ترتيبِ السور اجتهادي من فعل الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا قول جمهور العلماء، قال ابن فارس: جَمْعُ القرآن على ضربين: أحدهما: تأليفُ السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولّته الصحابة وأمّا الجمعُ الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توفيقي تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه[3]. ومما استدلوا به على ذلك:

١ ـ اختلاف ترتيب السور في مصاحف الصحابة قبل أن يجمع القرآن فلو كان توقيفياً لا تفقت مصاحفهم كما اتفقت في ترتيب الآيات، فقد كان مصحف عَليٍّ مُرتَّباً على النزول وأول مصحف ابن مسعود البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ومصحف أبيٍّ الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

---

(١) البرهان: الزركشي ج: ١ ص: ٢٤٧. قلت: هذا إذا لم نعد الفاتحة، أما إذا عددناها فإن التي بعدهن سورة (الحجرات) ولهذا وقع الاختلاف في أول المفصل، ومن لم يعد الفاتحة من الطوال فقد عدها من المفصل.

(٢) الإتقان: السيوطي، ج: ١ ص: ٦٣.

(٣) الإتقان: السيوطي، ج: ١ ص: ٦٢.

٢ ـ ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ صلَّى بالبقرة، ثم النساء ثم بآل عمران في ركعة[١]. قال عياض: هو دليل لكون ترتيب السور وقعَ باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف[٢].

القول الثالث: أنَّ ترتيب بعض السور كان توقيفياً وبعضها كان باجتهاد الصحابة:

قال الزركشي: مالَ ابنُ عطية إلى أنَّ كثيراً من السور كان قد عُلِمَ ترتيبُها في حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل وأنَّ ما سوى ذلك يمكن أنْ يكون قد فوَّض الأمر فيه إلى الأمة بعده، وقال أبو جعفر بن الزبير الآثار تشهد بأكثر مما نصَّ عليه ابن عطية ويبقى منها قليل يُمكن أنْ يجري فيه الخلاف[٣].

مناقشة الأدلة:

١ ـ استدل القائلون بالتوقيف في ترتيب السور بإجماع الصحابة على ترتيب عثمان رضي الله عنه، وهذا لا يدلّ على ما ذهبوا إليه لأن إجماعهم على ترتيب عثمان لا يشترط له أنْ يستند إلى التوقيف عن الرسول ﷺ فقد وافقوا عثمان على هذا الترتيب توحيداً لكلمة الأمة وقطعاً لأسباب الاختلاف كما وافقوا على الاقتصار على حرف واحد.

أما استدلالهم بحديث حذيفة فإنَّ ذكر العدد لا يلزم منه ترتيب السور، بل قال ابن حجر نفسه الذي استدل بهذا الحديث «ويحتمل أنَّ الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه»[٤].

---

(١) صحيح مسلم، ج:١ ص:٥٣٦ ـ ٥٣٧.
(٢) إجمال البيان: عبد الله بن أحمد، ص:١٢٨.
(٣) البرهان: الزركشي، ج:١ ص:٢٥٧ ـ ٢٥٨، وانظر الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٦٢.
(٤) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٦٣.

وأما استدلال السيوطي فإنَّ ما أورده لا يلزم منه أنَّ ترتيب السور توقيفي فعدم ترتيب المُسبِّحات ولاء قد يكون لمراعاة مناسبات أخرى أهم من مناسبة فواتح السور، ولهذا مال السيوطي نفسه إلى رأي آخر.

٢ ـ وأما القائلون بأن الترتيب كان كله بطريق الاجتهاد فإنَّ من أدلتهم اختلاف ترتيب السور في مصاحف الصحابة ولا يصلح هذا دليلاً على ما ذهبوا إليه فقد يكون ترتيب الصحابة قبل أنْ يعلموا بالتوقيف فلما بلغهم ذلك رجعوا عن ترتيب مصاحفهم.

وأما استدلالهم بأنَّ الرسول ﷺ قد صَلَّى بالبقرة والنساء وآل عمران في ركعة فلا يدل على ما ذهبوا إليه كما قال السيوطي، وعَلَّلَ ذلك بقوله: «لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ولعله فعل ذلك لبيان الجواز»[1].

٣ ـ وأما الرأي الثالث فإنه يستند إلى أدلة الرأي الأول وهو أنَّ ترتيب السور توقيفي أمَّا القسم الاجتهادي فإنَّ أدلته ضعيفة لا تستند إلى دليل قوي.

الرأي الرجح:

إنَّ استعراض الأدلة يوقفنا على ثبوت التوقيف في ترتيب أكثر سور القرآن الكريم وما لَمْ يَرِدْ دليل على ترتيبه لا يعني أنّه رُتِّبَ بطريق الاجتهاد، فقد يكون ترتيبه بدليل لم يصل إلينا.

وعلى هذا فإنَّ الرأي الراجح أنَّ ترتيب سور القرآن الكريم كترتيب آياته بالتوقيف عن الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه وتعالى مع ما في أدِلَّة هذا الرأي من الاحتمال كما ذُكِرَ إلاّ أنه أقوى الآراء.

---

(١) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٦٣.

الموقف من هذا الترتيب:

وعلى كل حال ومهما يكن من أمر سواء أكان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقيف أم بطريق الاجتهاد ثم أجمع الصحابة عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسك به والإعراض عن الدعوات الزائفة لإعادة ترتيب المصاحف حسب النزول أو الموضوع أو غير ذلك لأنَّ في ترتيب سوره معاني لا تقل عن معاني الترتيب في آياته، جَدَّ كثير من العلماء في استنباطها وتحصيلها. فضلاً عن مخالفة الإجماع وما في ذلك من مفاسد عظيمة.

أمَّا ترتيب السور في التلاوة فليس بواجب وإنما هو مندوب إلا في تعليم الصبيان، فالأولى أن يبدأ بهم من آخر المصحف إلى أوله، والله أعلم.

حكمة تسوير القرآن:

لتقسيم القرآن الكريم إلى سورٍ حِكَمٌ عديدة منها:

١ ـ التيسير والتشويق لمدارسة القرآن الكريم وحفظه إذ لو كان سبيكة واحدة لشقَّ حفظه وصعبت مدارسته.

٢ ـ الدِّلالة على موضوع السورة وأهدافها إذ أن لكل سورة موضوعاً خاصاً، وأهدافاً معينة، فسورة يوسف تُترجم لقصته، وسورة التوبة تتحدث عن المنافقين وتكشف أسرارهم.. وهكذا.

٣ ـ التنبيه إلى أن الطول ليس شرطاً من شروط الإعجاز والتحدِّي، فسورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة.

٤ ـ التدرج في تعليم الأطفال من السور القصار إلى السور الطِّوال تيسيراً من الله لعباده لحفظ كتابه.

٥ ـ أنَّ الكتاب إذا انطوت تحته أنواع وأصناف وأبواب وفصولٌ كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً.

٦ ـ أنَّ القارئ إذا ختم سورة أو جزءاً كان أنشط له وأبعث على التحصيل والاستمرار في التلاوة منه لو استمر على الكتاب بطوله، كالمسافر إذا قطع ميلاً نفَّسَ ذلك عنه وتجدد نشاطه ولذا جُزِّئ القرآن أجزاءاً وأحزاباً وأرباعاً وأخماساً وأعشاراً.

٧ ـ أنَّ الحافظ إذا حذق سورة اعتقد أنَّه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ويحرص على معاهدته وتكرار تلاوته ومنه حديث أنس رضي الله عنه «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا»(١).

٨ ـ أنَّ التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٣ ص: ١٢٠ ـ ١٢١، وشرح السنة: البغوي ج: ١٣ ص: ٣٠٦.

(٢) تفسير الكشاف: الزمخشري: ج: ١ ص: ٢٤١، وقال الجرجاني في حاشيته على الكشاف: «وكون التفصيل سبب تلاحق الأشكال من حيث أنه يورد في كل منها الأمور المتلائمة فتتلاحظ حينئذ المعاني ويتجاوب أطراف النظم وجوانبه» الكشاف ج: ١ ص: ٢٤١.

ثانياً: آيات القرآن الكريم:

تعريف الآية:

الآية في اللغة تطلق على عدة معان منها:

١ ـ المعجزة: ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾[١].

٢ ـ العلامة: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢].

٣ ـ العبرة: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣].

٤ ـ البرهان والدليل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤].

٥ ـ الأمر العجب، تقول العرب: (فلان آية في العلم وفي الجمال).

٦ ـ الجماعة تقول: العرب (خرج القوم بآيتهم) أي بجماعتهم[٥].

والآية في الاصطلاح:

طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن.

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إلينا وهي علامة على صدق من جاء بها وفيها عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر وهي دليل وبرهان على أنَّ هذا القرآن من الله تعالى، وهي من الأمور العجيبة لسموها وبلاغتها وإعجازها وهي جماعة من الحروف، فمعانيها في اللغة موجودة في معناها الاصطلاحي[٦].

---

(١) سورة البقرة. من الآية: ٢١١.

(٢) سورة البقرة. من الآية: ٢٤٨.

(٣) سورة البقرة. من الآية: ٢٤٨.

(٤) سورة الروم. من الآية: ٢٢.

(٥) البرهان للزركشي ج:١ ص:٢٦٦.

(٦) انظر مناهل العرفان، الزرقاني، . ج:١ ص:٣٣١ ـ ٣٣٢.

إطلاق الآية:

تطلق الآية ويراد بها:

١ ـ الآية ومثاله قول ابن مسعود رضي الله عنه: أعظم آية في القرآن: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١].

٢ ـ وقد يطلق لفظ الآية على ما هو أكثر منها كقول ابن مسعود رضي الله عنه أخوف آية في القرآن: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[٢][٣] فإنهما آيتان باتفاق[٤].

عدد آيات القرآن الكريم:

أجمع العلماء على أنَّ عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية ثم اختلفوا في الزيادة:

- فمنهم من لم يزد على ذلك.
- ومنهم من قال: ومائتا أية وأربع آيات.
- ومنهم من قال: وأربع عشرة آية.
- ومنهم من قال: وسبع عشرة آية.
- ومنهم من قال: وتسع عشرة آية.
- ومنهم من قال: وعشرون آية.
- ومنهم من قال: وست وثلاثون آية.

وغير ذلك.

سبب الاختلاف وأثره:

سببه أنَّ النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف ليعلم أصحابه أنَّها رأس آية، حتى إذا علموا ذلك صار يصل الآية بما بعدها لتمام المعنى فيحسب من لم يسمعه أولاً أنها ليست فاصلة فيَعُدّ الآيتين آيةً واحدة، ولذا يختلف العدد.

---

(١) سورة البقرة. من الآية ٢٥٤. (٢) سورة الزلزلة: الآيتان: ٧ و ٨.

(٣) الدر المنثور: السيوطي، ج:١ ص:٣٢٣.

(٤) انظر مناهل العرفان، الزرقاني ج:١ ص:٣٣٥ ـ ٣٣٦.

وليس لهذا أثر يُذكر ما دام القرآن الكريم سالماً من الزيادة أو النقصان فالقطعة من القماش إذا قاسها إنسان بذراعه الطويلة ثم قاسها إنسان آخر بذراعه القصيرة فسيكون هناك اختلاف في العدد سببه اختلاف المقياس مع سلامة القطعة من الزيادة أو النقصان في الحالين.

ترتيب الآيات في القرآن الكريم:

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: «الإجماع والنصوص المترادفة على أنَّ ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، أمَّا الإجماع فَنَقَلَه غير واحد منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين»[1]، ثم ذكر عدداً من النصوص والآثار الشاهدة على ذلك.

فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول ﷺ ويُخبره بموضعها من السورة، ثم يقرؤها الرسول عليه الصلاة والسلام على أصحابه ويأمر كتاب الوحي بكتابتها بعد أن يبين لهم موضعها من السورة.

وكان عليه الصلاة والسلام يتلو آيات القرآن الكريم مرتبة في الصلوات المفروضة والنافلة، وفي مواعظه فيسمعها أصحابه ويحفظونها كما سمعوها، وكانوا يَعْرِضُون على الرسول ﷺ ما كتبوه على الترتيب المعروف وشاع ذلك وملأ البقاع، والأمة يتدارسونه فيما بينهم ويقرؤنه في صلواتهم، ويأخذه بعضهم عن بعض بالترتيب القائم، فليس لأحد من الصحابة يَدٌ في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم[2].

وقد نقل السيوطي عدداً من نصوص العلماء في ذلك منها قول مَكيٍّ وغيره ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي ﷺ، وقال القاضي أبو بكر

---

(١) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٦٠.

(٢) انظر مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:٣٣٩ ـ ٣٤٠.

في الانتصار: «ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحي كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»[1].

طريق معرفة بداية الآية ونهايتها:

للعلماء في طريق معرفة بداية الآية ونهايتها قولان:

القول الأول:

أنه لا سبيل إلى معرفة بدايات الآيات ونهاياتها إلا بتوقيف من الشارع لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيه وإنّما هو محض تعليم وإرشاد من الرسول ﷺ واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١ - النصوص الواردة عن الرسول ﷺ بتحديد عدد الآيات في بعض السور أو تحديد مواضعها كقوله عليه الصلاة والسلام عن الفاتحة: (هي السبع المثاني)[2] وقوله ﷺ: **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**[3]. **وقوله ﷺ: «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء»**[4]. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، مما يدلّ على أنه لولا أنَّ الرسول ﷺ هو الذي بيَّن الآيات من حيث بداياتها ونهاياتها لما عرفنا بداية الآيتين في آخر سورة البقرة مثلًا، ولا آية الصيف ولا الآيات السبع في الفاتحة.

---

(١) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٦١ - ٦٢.
(٢) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٣.
(٣) رواه البخاري ج:٦ ص:١٠٤ ومسلم ج:١ ص:٥٥٥.
(٤) مسند الإمام أحمد ج:١ ص:٢٦.

٢ ـ أنَّ العلماء[١] عدوا (الۤم) آية ولم يعدوا نظيرها (الۤر) آية وعدوا (المۤصۤ) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (الۤمۤر) آية، وعدوا (يۤسۤ) آية ولم يعدوا نظيرها (طسۤ) آية، وعدوا (حۤمۤ عسۤقۤ) آيتين، ولم يعدوا نظيرها (كۤهيعۤصۤ) آيتين، بل آية واحدة، فلو كان الأمر مبنياً على القياس لم يفرقوا بين المثلين.

القول الثاني:

وقيل: إنَّ معرفة بداية الآيات ونهاياتها منه ما هو سماعي ومنه ما هو قياسي ومرجع ذلك إلى الفاصلة للآية.

فما ثبت أنَّ الرسول ﷺ وقف عليه دائماً تحققنا أنَّه رأس آية وما وصله دائماً علمنا أنه ليس بآية وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الأمرين وهذا مجال للقياس ولا محظورٍ فيه لأنه لا يُؤدِّي إلى زيادة ولا نقصان في آيات القرآن وإنَّما غايته تعيين محَلِّ الفصل أو الوصل[٢].

والرأي الراجح:

أنَّ معرفة بداية الآيات ونهاياتها توقيفي لا مجال للقياس فيه قال الزركشي: «قال بعضهم: الصحيح أنَّها إنما تُعلَمُ بتوقيف من الشارع لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة»[٣] وقال الزمخشري: «علم الآيات توقيفي لا مجال للقياس فيه»[٤].

فوائد معرفة الآيات:

ذكر العلماء لتقسيم السورة إلى آيات حِكَماً كثيرة منها:

---

(١) وهم الكوفيون فقد عَدُّوا كُلَّ الفواتح بالأحرف المقطعة في أوائل السور آيات إلا (حمۤ عسقۤ) فقد عَدُّوها آيتين و (طس) و (الۤر) و (الۤمر) وما كان مفرداً وهي (ق) و (ن) و (ص).

(٢) انظر البرهان للزركشي ج:١ ص:٢٦٧ ـ ٢٦٨، وانظر مناهل العرفان للزرقاني، ج:١ ص:٣٣٣ ـ ٣٣٥.

(٣) البرهان للزركشي ج:١ ص:٢٦٧.

(٤) الكشاف: الزمخشري، ج:١ ص:١٨.

١ - العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي ﷺ وفي حُكمها الآية الطويلة وبيان ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى تحدَّى الناس أن يأتوا بسورة من مثل القرآن وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار فدَلَّ على أنَّ كل ثلاث آيات قصار معجزة.

٢ - يرى بعض العلماء أنَّ الوقف على رأس الآية سُنة، وتحديد رأس الآية معين على اتباع السُّنة.

٣ - هناك بعض الأحكام الفقهية المترتبة على معرفة الآي، ذكرها السيوطي(١) رحمه الله تعالى - ومنها:

أ - اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات عند الشافعي.

ب - اعتبارها في خطبة الجمعة، فإنَّه يجب فيها قراءة آية كاملة من القرآن ولا يكفي شطرها إلا أن تكون طويلة.

ج - اعتبارها في طول الصلاة فقد ورد أنَّه ﷺ يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة آية، وكذا اتخاذها مقياساً زمنياً للفارق بين الأذان والإقامة.

د - اعتبارها في قراءة قيام الليل وعدد الآيات للقيام.

فوائد:

اعلم أنَّ العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا في عدد آيات القرآن الكريم وعدد كلماته وعدد حروفه، وسبب ذلك أنَّ النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلِمَ محلُّها وصَلَ للتمام فيحسب السامع أنَّها ليست فاصلة.

---

(١) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٦٩، وانظر مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:٣٣٧ - ٣٣٩.

وسببُ الاختلاف في عدد الحروف أنَّ بعضَ العلماء يعدُّ البسملة آية في أوَّل كل سورة وبعضهم لا يعدها وأحرف المَدِّ ونحوها منهم من يعدها ومنهم من لا يعدها.

وسبب الاختلاف في عدد كلمات القرآن أنَّ الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبار كُلٌ منها جائز، وكلٌّ من العلماء اعتبر أحدَ الجوائز[1].

وأطول سورة في القرآن الكريم هي البقرة، وأقصر سورة هي الكوثر، وهي ثلاث آيات.

وأطول آية: آية الدَّين وهي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وأقصر آية (والضحى) و (الفجر).

وأطولُ كلمة فيه لفظا وكتابة ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾[2].

أمّا أنصافُ القرآن فثمانية:

- فنصفه بالحروف (النون) من قوله: ﴿نُّكْرًا﴾[3] في سورة الكهف والكاف من نصفه الثاني، وقيل عين ﴿تَسْتَطِيعَ﴾[4] وقيل اللام الثانية من ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[5].

- ونصفه بالكلمات الدال من قوله: ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾[6] في سورة الحج وقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾[7] من نصفه الثاني.

- ونصفه بالآيات ﴿يَأْفِكُونَ﴾[8] من سورة الشعراء وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾[9] من نصفه الثاني.

- ونصفه على عدد السور، فالأولُ (الحديد) والثاني من (المجادلة)[10].

---

(١) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٥٢.
(٢) سورة الحجر الآية: ٢٢.
(٣) سورة الكهف الآية: ٧٤.
(٤) سورة الكهف الآية: ٦٧.
(٥) سورة الكهف الآية: ١٩.
(٦) سورة الحج الآية: ٢٠.
(٧) سورة الحج الآية: ٢١.
(٨) سورة الشعراء الآية: ٤٥.
(٩) سورة الشعراء الآية: ٤٦.
(١٠) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٢٥٣.

أكثر ما اجتمع في القرآن من الحروف المتحركة متوالية ثمانية أحرف في سورة يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ من الآية الرابعة.

وفي القرآن آية واحدة تجمع حُروف المُعْجَم هي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، الآية ٢٩ من سورة الفتح.

وفي القرآن سورة في كل آية منها اسم الله تعالى هي سورة المجادلة.

وفي القرآن آية فيها ١٦ ميما هي: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ . . .﴾ الآية ٤٨ هود. وفي آية الدَّين ٣٣ ميماً.

وليس في القرآن حاء بعدها حاء إلا في موضعين:

- الأول في البقرة (٢٣٥) ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ﴾.

والثاني في الكهف (٦٠) ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ﴾.

وليس فيه كاف بعدها كاف في كلمة واحدة إلا في موضعين:

- البقرة (٢٠٠) ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾.

- وفي المدثر (٤٢) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾.

وعدد كلمات القرآن الكريم ٧٧٤٣٩ كلمة وقيل: ٧٧٤٣٧ وقيل: ٧٧٢٧٧ وقيل: غير ذلك.

وعدد حروفه ٣٢٣٠١٥ حرفاً وقيل: ٣٢١٠٠٠ وقيل: ٣٤٠٧٤٠ حرفاً.

قال السيوطي: والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته[1].

(قلت): فيه رياضة للنفس وترويح للذهن في أطهر ميدان، والله أعلم.

---

(١) الإتقان: السيوطي جـ:١ ص:٧٠، وقد نقلت أغلب هذه الفوائد من البرهان: للزركشي جـ:١ ص:٢٤٩، إلى ص٢٥٦.

المكي والمدني

من المعلوم أن الرسول ﷺ قضى فترة من حياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ثم هاجر إلى المدينة النبوية وأقام فيها إلى وفاته ﷺ.

وقد نزل عليه القرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأودية والسفوح والدور والبراري، وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب.

وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول لما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها.

وعندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة وكان المشركون كثرة وللحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم.

والقرآن في مكة يقارع الخصوم ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والترهات، وهم أهل لجاج وعناد، وإصرار واستكبار وظلّ القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية.

وهاجر الرسول ﷺ بهذه الجماعة والتقى بجماعة أخرى من المسلمين

في المدينة وآخى بين الجماعتين ومزج بينهما مزجاً كان نتاجُه نشأة الدولة الإسلامية الصالحة والمؤهَّلة لتلقي ما بقي من قواعد الإسلام وأحكام التشريع.

ونزل القرآن على المسلمين في المدينة يبسُط أحكامَ الدين، ويُرسي قواعده ويبني المجتمع الإسلاميَّ ويؤسسُ صرحَ الدولةِ.

وبلا ريب أنَّ معرفة ما نزل بمكة في تلك الظروف ولتلك الأهداف والأغراض ومعرفة ما نزل في المدينة كذلك يُعطى منهجاً سليما للدعوة الإسلامية ودروساً للدعاة في مختلف العصور والأمكنة.

عناية العلماء بالمكي والمدني:

فلا عَجَبَ إذاً أن يعتنى العلماء بذلك وأن يولوه اهتمامهم، فهذا عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيم أنزلت، وأين أنزلت إنَّ ربِّي وهبَ لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً»[١].

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلمُ منِّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[٢].

وقد اهتم العلماء مِنْ بعدهم بمعرفة المكي والمدني وأفرده جماعة بالتأليف منهم كما يقول السيوطي مكيٌّ، والعزُّ الدريني[٣] وفي العصر الحديث صدرت دراسات كثيرة عن خصائص السور المكية، وخصائص السور المدنية.

كما اعتنى به العلماء في مؤلفاتهم فلا تكاد تجد كتاباً يتناول علوم القرآن إلا وكان المكي والمدني أحد أبوابه وفَصَّلَ القولَ فيه السيوطي

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم ١ ص:٦٧ ـ ٦٨.

(٢) صحيح البخاري ج:٦ ص:١٠٢، وصحيح مسلم ج:٤ ص:١٩١٣.

(٣) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٨.

وأشبع الكلام على أوجهه وأفرد بعضها بمباحث خاصة في كتابه الإتقان[1].

أنواع المكي والمدني:

وهي كثيرة منها:

ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، وما اختلف فيه، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل صيفاً وما نزل شتاءً، وما نزل في الحضر، وما نزل في السفر، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة[2].

السور المكية والسور المدنية:

اختلف العلماء في عدد السور المدنية، وقد نقل السيوطي عن ابن الحَصَّار أنَّ المدنيَّ عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي[3].

السور المدنية: عشرون هي:

١ ـ البقرة.	٢ ـ آل عمران.	٣ ـ النساء.	٤ ـ المائدة.
٥ ـ الأنفال.	٦ ـ التوبة.	٧ ـ النور.	٨ ـ الأحزاب.
٩ ـ محمد.	١٠ ـ الفتح.	١١ ـ الحجرات.	١٢ ـ الحديد.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ:١ ص:١٩٢.

(٣) الإتقان: السيوطي جـ:١ ص:١١.

١٣ ـ المجادلة. ١٤ ـ الحشر. ١٥ ـ الممتحنة. ١٦ ـ الجمعة.
١٧ ـ المنافقون. ١٨ ـ الطلاق. ١٩ ـ التحريم. ٢٠ ـ النصر.

واختلفوا في اثنتي عشرة سورة هي:

١ ـ الفاتحة. ٢ ـ الرعد. ٣ ـ الرحمن. ٤ ـ الصف.
٥ ـ التغابن. ٦ ـ التطفيف. ٧ ـ القدر. ٨ ـ البينة.
٩ ـ الزلزلة. ١٠ ـ الإخلاص. ١١ ـ الفلق. ١٢ ـ الناس.

السور المكية:

ما عدا السور المذكورة فهو مكي وعددها اثنتان وثمانون سورة.

طريق معرفة المكي والمدني.

يُعرفُ المكيّ والمدنيّ بأحد طريقين:

الطريق الأول: النقليّ السماعيّ:

وهي الآيات والسور التي عرفنا أنها مكية أو مدنية بطريق الرواية عن أحد الصحابة الذين عاشوا فترة الوحي وشاهدوا التنزيل، أو عن أحد التابعين الذين سمعوا ذلك من الصحابة.

أما النبي ﷺ فلم يَردْ عنه بيانٌ للسور المكية والسور المدنية لأنَّ هذا مما يشاهده ويحضره الصحابةُ رضي الله عنهم فكيف يخبرهم عن شيء يعلمونه! فالمكي والمدني يُعرفُ بغير نصّ من الرسول ﷺ.

قال الباقلاني: «إنما يُرجعُ في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يَرِدْ عن النبي ﷺ في ذلك قول، لأنه لم يُؤمر به ولم يَجعل الله علمَ ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص من الرسول»[1].

---

(١) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٩.

ومن أمثلة ما عرف أنه مكي أو مدني عن طريق الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

فقد أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت لمَّا أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن المعلوم أن عمر قد أسلم في مكة فالآية إذاً مكية، وسورة الحج روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها مكية[2].

ومنها ما رواه مسلم عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أَلِمَن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا. قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[3] إلى آخر الآية. قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[4][5].

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: «لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[6] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[7].

الطريق الثاني: القياسي الاجتهادي:

نظر العلماء رحمهم الله تعالى في الآيات والسور التي عرفوا أنها مكية أو مدنية بالطريق الأول (السماعي النقلي) واستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية، وخصائص وضوابط للسور المدنية، ثم نظروا في السور التي لم يرد نصوص في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها خصائص السور المكية قالوا: إنها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السور المدنية قالوا: إنها مدنية، وهذا يكون بالاجتهاد والقياس فسُمِّي هذا الطريق بالقياسي الاجتهادي.

نقل الزركشي عن الجعبري قوله: «لمعرفة المكي والمدني طريقان:

---

(١) سورة الأنفال: الآية: ٦٤.
(٢) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:١٣.
(٣) سورة الفرقان: الآية: ٦٨.
(٤) سورة النساء: الآية: ٩٣.
(٥) صحيح مسلم ج:٤ ص:٢٣١٨.
(٦) سورة القمر: الآية: ٤٦.
(٧) صحيح البخاري ج:٦ ص:١٠١.

سماعي، وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي... كل سورة فيها يا أيها الناس فقط، أو كلا، أو أوَّلُها حرف تهَجٍّ سوى الزهراوين، والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أوحد فهي مدنية»[1].

تعريف المكي والمدني:

اختلف العلماء في المراد بالمكي والمدني ومتى تُسمى السورة أو الآية مكية أو مدنية إلى ثلاثة أقوال:

ويرجع اختلافهم إلى المعتبر في النزول، فمنهم من اعتبر مكان النزول، ومنهم من اعتبر زمن النزول، ومنهم من اعتبر المخاطبين بالآيات أو السورة، وعلى هذا:

القول الأول: لطائفة اعتبرت مكان النزول فقالت: ما نزل في مكة وما حولها ولو بعد الهجرة، فهو مكي، وما نزل في المدينة وما حولها، فهو مدني.

وهذا القول غير ضابط ولا حاصر إذ أنه لا يشمل ما نزل من الآيات في غير مكة والمدينة وما حولهما، فقد نزلت آيات قرآنية في تبوك وفي بيت المقدس وفي الطائف، فالتعريف غير ضابط.

والقول الثاني: لطائفة اعتبرت المخاطب بالآية أو السورة وهذه الطائفة نظرت إلى أهل مكة وقت التنزيل، فوجدت أنَّ الغالب على أهلها الكفر والمناسب لمخاطبتهم النداء «يٰأيها الناس» أو «يا بني آدم» وبما أن الغالب على أهل المدينة هو الإيمان، فإنَّ المناسب نداؤهم بيأيها الذين آمنوا، وعلى هذا فالمكي عندهم ما كان فيه «يا أيها الناس» أو «يا بني آدم» والمدني ما كان فيه «يأيها الذين آمنوا» نقل السيوطي عن أبي عبيد في الفضائل عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن «يا أيها الناس» أو «يا بني آدم» فإنَّه مكي وما كان «يأيها الذين آمنوا» فإنَّه مدني.

---

(١) البرهان: الزركشي ج:١ ص:١٨٩، وانظر الإتقان، السيوطي ج:١ ص:١٧.

وهذا القول أيضاً غير ضابط ولا حاصر من وجهين:

الأول: ضعَّفَ هذا القول ابنُ الحصار فقال: «اتفق الناس على أنَّ «النساء» مدنية وأولها «يَأَيُّهَا النَّاسُ» وعلى أنَّ «الحج» مكية وفيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾[1] وقال غيره هذا القول إنْ أخذ على إطلاقه فيه نظر. فإنَّ سورة البقرة مدنية وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[2]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3] وسورة النساء مدنية وأولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[4]. وبهذا يكون هذا القول غير ضابط وغير مُطَّرد.

الثاني: أنَّ هناك آيات كثيرة وسور عديدة ليس فيها نداء بيأيها الناس ولا يأيها الذين آمنوا، وهذا القول لا يشملها فلا يكون ضابطاً ولا حاصراً.

القول الثالث: لطائفة اعتبرت الزمان ورأت أنَّ الهجرة هي الحد الفاصل بين المكي والمدني، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة قالوا: «وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبيُّ ﷺ المدينة فهو من المكي»[5].

وهذا التعريف ضابط وحاصر لا تخرج عنه آية من آيات القرآن الكريم وعليه فإنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[6]. مدنية مع أنها نزلت في عرفات بمكة، بل إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[7]. مدنية مع أنها نزلت في جوف الكعبة لأن هاتين الآيتين نزلتا بعد الهجرة عام الفتح.

ضوابط السور المكية:

نظر العلماء في السور المكية فوجدوا أنَّ لها ضوابط وأنَّ لها مميزات ونظروا في السور المدنية فوجدوا أيضاً أنَّ لها ضوابط ومميزات.

---

(١) سورة الحج: الآية: ٧٧.
(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١.
(٣) سورة البقرة: الآية: ١٦٨.
(٤) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:١٧.
(٥) البرهان: الزركشي ج:١ ص:١٨٨.
(٦) سورة المائدة: الآية ٣.
(٧) سورة النساء من الآية: ٥٨.

ونعني بالضوابط خصائص الألفاظ، ونعني بالمميزات خصائص الأسلوب والمعاني والأغرض للسور المكية أو المدنية.

فمن ضوابط السور المكية:

١ ـ كل سورة فيها كلا فهي مكية.

وردت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن قال الشيخ الدريني[1] رحمه الله تعالى:

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولم تأتِ في القرآن في نصفه الأعلى

وحكمة ذلك أن كلا للردع والزجر وهذا إنَّما يكون للمعاند المستكبر فهو مناسب لمخاطبة المشركين في مكة.

٢ ـ كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية[2]. وهي أربع عشرة سجدة هي الأعراف والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وفي الحج سجدتان، والفرقان، والنمل، والسجدة، وفصلت، والنجم، والانشقاق، واقرأ باسم ربك، وأما سورة ص فيستحب السجود، وليست من عزائم السجود وزاد بعضهم آخر الحجر[3] وفي الرعد خلاف.

٣ ـ كل سورة مبدؤه بقسم وهي خمس عشرة سورة هي الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر.

٤ ـ كل سورة مفتتحة بأحرف التهجي مثل (الۤم) (حۤم) وغيرها سوى البقرة وآل عمران، فإنهما مدنيتان بالإجماع وفي الرعد خلاف.

---

(١) البرهان للزركشي ج:١ ص:٣٦٩.
(٢) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:١٧.
(٣) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:١١٠.

٥ ـ كل سورة فيها يأيها الناس وليس فيها يأيها الذين آمنوا فهي مكية إلا سورة الحج فإنها مكية مع أنَّ في آخرها يأيها الذين آمنوا.

مميزات السور المكية:

من المعلوم أنَّ ما نزل من القرآن في مكة كان يُخاطب مجتمعاً وثنياً فشا فيه الشركُ، وانتشرت فيه الأصنام، ولم يتلق الدعوة الإسلامية بالقبول والتسليم، بل أخذ يُناوِؤها العداء، ويضطهد أتباعها، ويحارب رسولها.

وفي المدينة كان القرآن الكريم غالباً يخاطب أتباعه المؤمنين يأمرهم فينقادون إليه، وينهاهم فينتهون عما نهى عنه.

وإذا كان الأمر كذلك فلا شك أنَّ البلاغة تقتضي الاختلاف في الأسلوب والاختلافَ في المعاني والموضوعات بين ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، فمن مميزات السور المكية:

١ ـ تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس بالدعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالة محمد ﷺ، وباليوم الآخر، وإبطال المعتقدات الوثنية الجاهلية وعبادة غير الله وإيراد الحجج والبراهين على ذلك.

٢ ـ تشريع أصول العبادات والمعاملات والآداب والفضائل العامة ففي مكة فرضت الصلوات الخمس مثلاً وحُرِّمَ أكلُ مال اليتيم ظُلماً، كما حُرِّمَ الكِبرُ والخيلاء ونحوها.

٣ ـ الاهتمام بتفصيل قصص الأنبياء والأمم السابقة، وبيان ما دعا إليه الأنبياء السابقون من عقائد، ومواقف أممهم منهم وما نزل بالمكذبين من عذاب دنيوي جزاء تكذيبهم وإيراد الحوار بين الأنبياء وخصومهم وإبطال حججهم بما يُوحي إلى أهل مكة بوجوب أخذ العبرة من هؤلاء وفي هذا بسطٌ أيضاً للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

٤ ـ قِصَرُ السور والآيات مع قوة جرسِ الألفاظ ووقعها. وإيجازُ

العبارة مع بلاغة المعنى ووفاءه، وذلك أن القوم في مكة كانوا معاندين مستكبرين لا يُريدون سماع القرآن، بل كانوا إذا شرع الرسول ﷺ في القراءة يتنادون ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1].

ولا يناسب هذا المقام طول الآيات والمقاطع، بل يناسبه إيجازها وقوة معانيها.

ضوابط السور المدنية:

١ ـ كل سورة فيها يأيها الذين آمنوا وليس فيها يأيها الناس فهي مدنية، قال السيوطي عن علقمة عن عبد الله (يعنى ابن مسعود رضي الله عنه) قال: ما كان يأيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان يأيها الناس فبمكة.. ثم قال: قال ابن عطية وابن الفرس وغيرهما: هو في يأيها الذين آمنوا صحيح، وأما يأيها الناس فقد يأتي في المدني»[2].

٢ ـ كل سورة فيها ذكر للمنافقين قال مكي بنُ أبي طالب القيسي: «كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدينة وزاد غيره سوى العنكبوت»[3].

والصحيح أنَّ أوَّل العنكبوت الذي ورد فيه ذكر المنافقين مدنيّ لِمَا أخرجه ابن جرير في سبب نزولها[4].

٣ ـ كل سورة ورد فيها حدٌّ أو بيان فريضة، قال عروة بن الزبير: «ما كان من حدّ أو فريضة فإنَّه أنزل بالمدينة»[5]. وقال محمد بن السائب الكلبي: «كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية»[6].

---

(١) سورة فصلت: من الآية: ٢٦.

(٢) الإتقان: السيوطي جـ:١ ص:١٧.

(٣) المرجع السابق جـ:١ ص:١٦.

(٤) جامع البيان: الطبري جـ:٢٠ ص:٨٦.

(٥)(٦) البرهان: الزركشي جـ:١ ص:١٨٨ ـ ١٨٩.

مميزات السور المدنية:

١ ـ يخاطب القرآن في المدينة ـ غالباً ـ مجتمعاً إسلامياً فكان الغالب تقرير الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات والحدود والفرائض، وأحكام الجهاد وغيرها.

٢ ـ نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين فتحدث القرآن الكريم عن طبائعهم وهتك أستارهم، وبيَّنَ خطرهم على الإسلام والمسلمين وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخباياهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين، ولم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين فكان الكفار يُحاربونهم جهاراً.

٣ ـ عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود، وكانوا يمكرون مكراً سيئاً، ويكيدون للإسلام وأهله فكشف القرآن في المدينة سرائرهم وأبطل عقائدهم، وكشف تحريفهم لديانتهم، وبيَّن بُطلان عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والدليل والبرهان.

٤ ـ الغالب على الآيات والسور المدنية طولُ المقاطع والسور لبسط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية، فقد كان أهلُ المدينة مسلمين يُقبلون على سماع القرآن، وينصتون حتى كأنَّ على رؤسهم الطير، فالمقام ليس مقارعة ولجاجاً يُناسبه الإيجاز بل المقام مقام إقبال وإنصات وإذعان يُناسبه الاسترسال والإطناب.

فوائد معرفة المكي والمدني:

١ ـ تمييز الناسخ من المنسوخ فإنَّ المتأخر ناسخ للمتقدم.

٢ ـ الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم، فإنَّ معرفة مكان النزول يُعين على فهم المُراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها وما يَردُ فيها من إشارات أحياناً.

٣ ـ معرفة تاريخ التشريع وتدرجه في التكليف ويترتب على هذا

الإيمان بأنَّ هذا التدرج لا يكون إلا من عليم خبير، عزيز حكيم، رحمن رحيم.

٤ ـ الاستفادة من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى فهو أسلوب يشتد ويلين ويُفصِّل ويُجمِل، ويَعِدُ، ويتوَعَّدُ، ويُرغِّبُ، ويُرَهِّبُ ويُوجز ويُطنِبُ حسب أحوال المخاطبين، وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم(١).

٥ ـ استخراج سيرة الرسول ﷺ وذلك بمتابعة أحواله في مكة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها واقتداء الدعاة بهذا المنهج النبوي الحكيم في الدعوة.

وقد عنى بعض المؤرخين بهذا الجانب فوضعوا المؤلفات في سيرة النبي ﷺ على ضوء القرآن الكريم(٢).

٦ ـ بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حتى إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني بل تتبعوا مكان نزوله ومعرفة ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالليل وما نزل بالنهار وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء ويَتْبَعُ هذا الاقتداء بهم في دراسة القرآن وعلومه.

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح ص٢٣٣.

(٢) منهم الدكتور/ عبد الصبور مرزوق في كتابه (السيرة النبوية في القرآن الكريم) ومنهم د. محمد علي الهاشمي في كتابه: (شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم) والأستاذ/ حسن ضياء الدين عتر وكتابه (نبوة محمد ﷺ في القرآن) والأستاذ (حسن الملطاوي في كتابه: (رسول الله في القرآن الكريم). والأستاذ محمد إبراهيم شقرة في كتابه «السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة» والشيخ جلال الحنفي البغدادي في كتابه «شخصية الرسول الأعظم قرآنياً» وغيرهم.

أسباب النزول

من المعلوم أنَّ سبب نزول آيات القرآن الكريم كلها هو هداية الناس إلى الحق والصراط المستقيم، لكن هناك آيات تزيد على هذا السبب العام بسبب خاص مرتبط بها وحدها دون غيرها وهذا السبب الخاص هو الذي يبحثه العلماء تحت هذا الموضوع. وعلى هذا فإنَّ آيات القرآن الكريم تنقسم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

ـ **الأول**: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة وإنَّما هو مرتبط بالسبب العام وهو هداية الناس، وهذا القسم هو أكثر آيات القرآن الكريم.

ـ **الثاني**: قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة يُسميه العلماء (سبب نزول الآية) وآيات هذا القسم هي الأقل ولأهميتها أفردها العلماء بالدراسة والبيان.

عناية العلماء بأسباب النزول:

اعتنى العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ عناية فائقة بدراسه أسبابه النزول وتظهر عنايتهم في ثلاث صور:

الأولى: أنَّهم أفردوا أسباب النزول بباب مستقل من أبواب علوم القرآن الكريم في مؤلفاتهم.

الثانية: أنَّ المفسرين يُوردون أول ما يُوردون في تفسير الآية سبب نزولها ـ إن كان لها سبب نزول ـ ويعتنون بذلك ويستندون إليه في تفسير الآية.

الثالثة: أنَّ العلماء أفردوا أسباب النزول بمؤلفات مستقلة وهي مؤلفات كثيرة، وأول من أفرده، بالتأليف علي بن المديني ت (٢٣٤هـ) وممن ألَّف فيه عبد الرحمن بن محمد المعروف بمطرف الأندلسي ت (٤٠٢هـ) فقد ألف كتابه (القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن). ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت (٤٦٨هـ) واسم كتابه (أسباب النزول)، وطُبع مراراً[١] وقد اختصر الجعبري هذا الكتاب بحذف أسانيده[٢] ومنهم ابن الجوزي ت (٥٩٧هـ) واسم كتابه (أسباب نزول القرآن) ومنهم ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) واسم كتابه (العُجَابُ في بيان الأسباب) وقد ذكر السيوطي أنَّه اطلع على مسودة هذا الكتاب وأنَّ ابن حجر مات قبل أن يبيضه[٣].

ومنهم السيوطي ت (٩١١هـ) الذي ألف كتاباً سماه (لباب النقول في أسباب النزول) وطبع في مجلد واحد، ولا أعرف أحداً اعتنى بتحقيقه.

ومن المؤلفات الحديثة كتاب «جامع النقول في أسباب النزول» وشرح آياتها للأستاذ ابن خليفة عليوي وهو في جزئين.

ومنها كتاب «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

ومنها كتاب «نهاية السول فيما استدرك على الواحدي والسيوطي من أسباب النزول» تأليف د.أبو عمر نادي بن محمود الأزهري.

تعريف سبب النزول:

هو «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه» كحادثة تقع حين نزول القرآن الكريم فتنزل آية أو آيات من القرآن تبيِّن الحُكمَ فيها أو كسؤال يُوجَّه إلى

---

(١) حقق عدة مرات وممن حققه السيد أحمد صقر وأيمن صالح شعبان وكمال بسيوني زغلول وعصام الحميدان في أطروحته للماجستير في جامعة الإمام.

(٢) وهو مخطوط ويحتاج إلى من يقوم بتحقيقه في أطروحة علمية.

(٣) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٢٨، وقد صدر بتحقيق أ.عبد الحكيم محمد الأنيس في مجلدين وهو إلى الآية ٧٨ من سورة النساء.

الرسول ﷺ فتنزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليه.

ويُفيد قولنا «وقت وقوعه» أنّه لا بدّ أن يكون نزول الآيات وقت وقوع الحادثة أو توجيه السؤال فإن كانت الحادثة قبل نزول الآيات بزمن طويل خرج ذلك عن هذا الباب وصار من باب الإخبار عن الوقائع الماضية والأمم السابقة كالآيات التي تتحدث عن خلق آدم عليه السلام، وقصته مع إبليس، وقصة إبنيّ آدم، وقصص الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، فإن الحديث عن ذلك ليس من هذا الباب.

ولا يلزم أن يكون نزول الآيات بعد الحادثة أو السؤال مباشرة، بل يصح أن يتأخر زمناً يسيراً فإن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[1]. قد نزل بعد خمس عشرة ليلة من الحادثة وكذا الآيات المتعلقة بحادثة الإفك إنّما نزلت بعد نحو شهر منها.

والحادثة: التي ينزل القرآن لأجلها قد تكون من الرسول ﷺ كما حدث في سبب نزول سورة عبس حين جاء ابن أمّ مكتوم إلى الرسول ﷺ وهو يُناجي بعض زعماء قريش ويدعوهم إلى الإسلام، فجاءه ابن أمّ مكتوم وقال: يا رسول الله علِّمني مما علَّمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء والرسول ﷺ مشغول عنه ومقبل على هؤلاء النفر فنزلت سورة عبس. فكان الرسول ﷺ إذا رأى ابن أمّ مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»[2].

وقد تكون الحادثة من جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كأولئك الصحابة الذين كانوا يُصَافون المنافقين ويواصلون رجالاً من اليهود لِمَا كان بينهم من القرابة والصداقة والحِلف والجوار والرضاع فأنزل الله تعالى:

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) أسباب النزول: الواحدي: ص:٢٩٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[1][2].

وقد تكون الحادثة من المشركين أو من اليهود أو من المنافقين والأمثلة على ذلك كثيرة.

كما أن السؤال قد يكون عن ماض كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[3]، أو عن حاضر كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[4]. وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[5] أو عن مستقبل كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[6]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[7].

طريق معرفة سبب النزول:

سبب النزول حادثة من أحداث التاريخ الواقعة في عهد الرسول ﷺ ولهذا فلا طريق لمعرفته إلا طريق الرواية الصحيحة عمن شاهده وحضره ولا يمكن الاجتهاد في معرفة ذلك، بل لا يجوز لأنه من القول في القرآن بغير علم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[8].

وقال ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**» رواه الترمذي. وقال هذا حديث حسن[9].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١١٨.
(٢) أسباب النزول: الواحدي: ص:٧٩.
(٣) سورة الكهف: من الآية: ٨٣.
(٤) سورة البقرة من الآية: ١٨٩.
(٥) سورة الإسراء من الآية: ٨٥.
(٦) سورة البقرة من الآية: ٢١٥.
(٧) سورة النازعات من الآية: ٤٢.
(٨) سورة الإسراء من الآية: ٣٦.
(٩) جامع الترمذي: ج:٥ ص:١٩٩.

وروى الواحدي عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: إتقِّ الله، وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن[1]. وقال الواحدي: «ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب»[2].

وإذا ورد سبب النزول عن صحابي فلا تَخْلُو عبارته: أن تكون جازمة وصريحة في السببية فلها حكم الحديث المرفوع. وإمَّا أن تكون العبارة غير صريحة كأن يقول: (نزلت هذه الآية في كذا) فإنَّها تحتمل أنَّ المراد بها سببُ النزول وتحتمل أنَّ هذا داخلٌ في الآية وإن لم يكن السبب، بل يرادُ بيانُ حُكم من الأحكام الواردة في الآية.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وقد تنازع العلماء في قول الصاحب: «نزلت هذا الآية في كذا» هل يجري مجرى المسند ـ كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يُدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسند، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره وبخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه، فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند»[3].

وإذا ورد سببُ النزول عن تابعي فيشترط لقبوله أربعة شروط:

١ ـ أن تكون عبارته صريحة في السببية: بأن يقول: «سبب نزول هذه الآية كذا» أو أن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر حادثة أو سؤال، كأن يقول حدث كذا وكذا أو سئل رسولُ الله ﷺ عن كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية أو فنزلت هذه الآية.

---

(١) أسباب النزول: الواحدي، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور ص٤٨، وانظر الإتقان للسيوطي ج:١ ص:٣١.

٢ ـ أن يكون الإسناد صحيح.

٣ ـ أن يكون التابعي من أئمة التفسير الذين أخذوه عن الصحابة.

٤ ـ أن يعتضد برواية تابعي آخر تتوافر فيه نفس الشروط وإذا اكتملت هذه الشروط في رواية تابعي قبلت وصار لها حُكمُ الحديث المرسل.

قال السيوطي رحمه الله تعالى عن سبب النزول إذا ورد عن تابعي أنه «قد يُقبل إذا صَحَّ المُسند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك»[1].

وبهذا ندرك الحيطة الشديدة التي اتخذها العلماء رحمهم الله تعالى لصيانة تفسير القرآن من الدخيل والتحريف والتبديل.

فوائد معرفة سبب النزول:

لمعرفة سبب النزول فوائد كثيرة من أهمها:

١ ـ معرفة حكمة التشريع. وأنّه قام على رعاية مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها وجلب الخير لها والرحمة بها وذلك كحادثة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها حين جاءت إلى الرسول ﷺ تشتكي زوجها وهي تقول: يا رسول الله أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[2] وهو أوس بن الصامت[3]. فشرع الله تعالى الكفارة رحمة بها وبأمثالها وصيانة للأسرة في المجتمع الإسلامي من التفكك وحماية للأبناء من التشرد.

٢ ـ معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد بالآية وتفسيرها التفسير الصحيح ودفع اللبس والإشكال عن معناها قال الواحدي عن أسباب النزول

---

(١) الإتقان للسيوطي: جـ:١ ص:٣١.

(٢) سورة المجادلة: الآية الأولى.

(٣) لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي ص:٢٠٦.

«هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرَفُ العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[1]. وقال أبو الفتح القشيري: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز»[2]. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومعرفة سبب النزول يُعينُ على فهم الآية فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ولهذا كان أصح قولي الفقهاء، أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها»[3].

ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4].

فظاهر هذه الآية يدل على أن للإنسان أن يصلي إلى أية جهة شاء ولا يجب عليه استقبال القبلة لا في سفر ولا في حضر ولا في فرض ولا في نافلة وهذا مخالف لما هو معلوم من الأدلة الأخرى في الكتاب والسنة بوجوب التوجه إلى شطر المسجد الحرام. ويزول الإشكال إذا عرف سبب نزول هذه الآية كما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها فأصبتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا؛ القبلة هي ها هنا قِبَل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطاً، وقال بعضنا: القبلة ها هنا قِبَل الجنوب، فصلوا وخطوا خطوطاً، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ عن ذلك، فسكت فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[5].

---

(١) أسباب النزول: الواحدي، ص٤.

(٢) البرهان للزركشي، ج:١ ص:٢٢.

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص٤٧.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١١٥.

(٥) أسباب النزول: الواحدي، ص٢٣.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1].

وبهذا ندرك أنَّ هذه الآية خاصة بمن صلى وهو لا يعرف القبلة ثم يتبين له خطؤه فإنه لا يعيد الصلاة، وكذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر لا يلزم التوجه إلى القبلة. وبمعرفة سبب النزول زال الإشكال.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[2].

فظاهر هذه الآية نفي الجناح عمَّن طاف بالصفا والمروة مع أنَّ الطواف بهما فرض، والتعبير بنفي الإثم لا يدل على الفرضية، وإذا عرف سبب النزول زال الإشكال:

فقد كان للمشركين أصنام على الصفا والمروة وكانوا يطوفون بهما فلما جاء الإسلام تحرج هؤلاء عن الطواف بهما فنزلت هذه الآية وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سُئل: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم، لأنها كانت من شعار الجاهلية حتى أنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[3].

فدل سبب النزول على أنَّ المراد بالآية نفي ما وقر في أذهان بعض الصحابة من التحرج من السعي بين الصفا والمروة والاعتقاد بتحريم ذلك لأنه من عمل الجاهلية فنزلت الآية نافية لهذا الإثم ورافعة للتحرج.

٣ ـ ومن فوائد معرفة سبب النزول تيسير الحفظ وتسهيل الفهم

---

(١) صحيح مسلم ج:١ ص:٤٨٦.
(٢) سورة البقرة: الآية: ١٥٨.
(٣) صحيح البخاري ج:٢ ص:١٧١.

وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية، إذا عرف سبب نزولها لأنَّ ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث، والحودث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل ذلك من دواعي ثبوت المعلومات في الذهن وسهولة استذكارها عند تذكر بعضها وذلك ما يُعرف في علم النفس بقانون «تداعي المعاني»[1].

٤ ـ معرفة من نزلت في الآية بعينه حتى لا يُبرّا المُتَّهم أو يتهم البرئ وحتى لا يزعم أحد أنَّ المراد بالذم في تلك الآية فلان من الصحابة وهو بريء، أو ينسب إلى آخر صفات مدح في آية، والمراد بها غيره، وفي تفاسير الشيعة كثير من هذا النوع، فلا تكاد تجد آية فيها مدح وثناء على أحد أيًا كان إلا وألصقوها بأحد أئمتهم، ولا يدعون آية فيها ذم إلا وألصقوها بمخالفيهم أو بأحد صحابة رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم[2].

---

(١) مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) والأمثلة على هذا كثيرة جداً، أقتصر على ذكر أمثلة من تفسير واحد من تفاسيرهم وهو المسمى: (تفسير نور الثقلين) تأليف عبد علي الحويزي فمنها تفسير قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ قالوا: هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام (يقصدون عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه) يقول: «ما لله عز وجل آية هي أكبر مني. ولا لله من نبأ أعظم مني» نور الثقلين ج:٥ ص:٤٩١، وفسّروا التراب في قول الكافر يوم القيامة ﴿يَلَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ بقولهم: «أي من شيعة علي» ج:٥ ص:٤٩٧، وزعموا أنَّ قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ نزلت في عثمان وأنه عبس في وجه ابن أم مكتوم حين رأى الرسول ﷺ يقدمه عليه ج:٥ ص:٥٠٨.
وفسّروا السماء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ والطَّارِقِ﴾ بأنّها أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب والطارق هو الروح الذي مع الأئمة و ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ رسول الله ﷺ ج:٥ ص:٥٥٠. أما الشفع والوتر في قوله تعالى: ﴿والشَّفْعِ والوَتْرِ﴾ فالشفع الحسن والحسين والوتر أمير المؤمنين عليه السلام ج:٥ ص:٥٧١، وفي قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ ومَاوَلَدَ﴾ قالوا: أمير المؤمنين عليه السلام وما ولد من الأئمة ج:٥ ص:٥٧٨، وزعموا أنَّ قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً﴾ زعموا أنها في عثمان رضي الله عنه والمال اللبد يعني الذي جهّز به النبي ﷺ في جيش العسرة ج:٥ ص:٥٨٠، وفي قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ قالوا: «ولاية أمير المؤمنين» ج:٥

وقد روى البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ مروان بن الحكم كان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنَّ هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾[1]. فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري[2].

٥ ـ ومن فوائد معرفة أسباب النزول:

معرفة أنَّ سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها.

وبيان ذلك أنَّ اللفظ قد يكون عاماً ويقوم دليل على تخصيصه فلا يجوز إخراج السبب من حكم الآية بالاجتهاد والإجماع لأن دخول السبب قطعي. وإخراجه بدليل التخصيص اجتهادي، والاجتهاد ظني، ولا يجوز إخراج القطعيّ بالظني.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

= ص:٥٨١. وقالوا: عن أصحاب الميمنة هم أصحاب أمير المؤمنين يعني علي بن أبي طالب جـ:٥ ص:٥٨٤، وقالوا: والشمس وضحاها. الشمس رسول الله، والقمر إذا تلاها، أمير المؤمنين جـ:٥ ص:٥٨٥، وقوله تعالى: ﴿يأَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ﴾ الآيات نزلت في عثمان حين اشترى بئر رومة للمسلمين لكنهم يقولون: المراد بها الحسين بن علي عليه السلام جـ:٥ ص:٥٧٧. وكذا قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ التي نزلت في أبي بكر رضي الله عنه قالوا: إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام جـ:٥ ص:٥٩٣. وحادثة الإفك المشهورة ونزوله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُم..﴾ الآيات، زعموا أنها نزلت في مارية القبطية وزادوا إفتراء فزعموا أنَ عائشة هي التي رمت مارية بالزنا جـ:٣ ص:٥٨١.

والأمثلة كما قلت كثيرة جداً ومعرفة أسباب النزول تكشف تحريفهم وإلحادهم في القرآن الكريم.

(١) سورة الأحقاف: من الآية: ١٧.

(٢) صحيح البخاري، جـ:٦ ص:٤٢.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[1].

وسبب نزول هذه الآية حادثة الإفك المشهورة ولفظ الآية عام بالوعيد يشمل التائب وغير التائب. لكن الآية الأخرى استثنت من تاب فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[2].

فلفظ الآية هنا عام ثم خصص بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

وبهذا التخصيص نخصص عموم الآية الأولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ﴾ الآية، لكن التخصيص للآية الأولى لا يشمل سبب نزولها وهو قذف عائشة رضي الله عنها فيبقى على عمومه بعدم قبول توبة من قذفها لأنَّ دخوله في لفظ الآية الأولى العام قطعي وإخراجه بما ورد في الآية الثانية إجتهادي ظني والقطعي لا يخرج بالظني.

وبهذا يبقى حكمُ عدم قبول توبة القاذف خاصاً بقذف عائشة وأمَّهات المؤمنين، ويكون قبول التوبة في قذف غيرهن، ولذا قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ﴾ نزلت في عائشة خاصة[3].

وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: «هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة وجعل لمن رمى إمرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة النور: الآية ٢٣.

(٢) سورة النور: الآيتين: ٤ ـ ٥.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه جـ:٤ ص:١٠ ـ ١١، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

﴿يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾.

فجعل لمن قذف إمرأة من المؤمنين التوبة ولم يجعل لمن قذف إمرأة من أزواج النبي ﷺ توبة[1].

والخلاصة أنَّ الثانية خصصت عموم الآية الأولى إلا سبب النزول فلا تخصصه لأنَّ دخوله قطعي وتخصيصها ظني.

٦ ـ تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

ومثاله قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾[2].

فقد أشكل عموم هذه الآية على مروان بن الحكم فقال لبوَّابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقال: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحبَّ أن يُحمد بما لم يفعل مُعذَّباً، لنُعَذَّبَنَّ أجمعون فقال ابن عباس: ومالكم ولهذا إنَّما دعا النبيُّ ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إيَّاه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[3]. كذلك حتّى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾[4][5].

٧ ـ ومن فوائد معرفة سبب النزول كشف وجه من وجوه بلاغة القرآن الكريم حيث مراعاة الكلام لمقتضى الحال وذلك بالمطابقة والمقارنة بين الحادثة والنص القرآني الذي نزل فيها.

---

(١) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج:٧ ص:٧٩ ـ ٨٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٨٨.
(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٨٧.
(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٨٨.
(٥) صحيح البخاري ج:٥ ص:١٧٤، ومسلم ج:٤ ص:٢١٤٣.

الإستفادة من معرفة سبب النزول في مجال التربية والتعليم:

نقل المعلومات من ذهن إلى ذهن يحتاج إلى أمرين مهمين:

- أولهما: القدرة من المدرس.

- ثانيهما: الاستعداد من الطالب.

ولا نَجَاح للعملية التعليمية ما لم يكن عند مدرس المادة قدرة على التعبير الصحيح عما يُريد إيصاله إلى أذهان الطلاب.

ولا نَجَاح للعملية ما لم يكن ذهن الطالب مُهيئاً ومُشرعاً أبوابه لدخول المادة العلمية. وفتح ذهن الطالب عملية مشتركة بين الطالب والمدرس.

فالمدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يثير مشاعر الطلاب ويجذب انتباههم، ويُهيء نفوسهم لتقبُّل المادة العلمية، وليست هذه المَهمة بالمهمة السهلة، بل تحتاج إلى جهد كبير، وفطنة لمَّاحة.

والتمهيدُ للدرس من أهمّ مراحله، وهي مرحلة تحتاج إلى خبرة ودراية:

١ ـ للربط بين المعلومات.

٢ ـ لتأسيس قاعدة يقف عليها ذهن الطالب للإنطلاق من معلومة إلى معلومة أو من الكُلّ إلى الجزء، إلى أن يُدرك عناصر الدرس ويستوعبها.

٣ ـ لإثارة انتباه الطلاب وجذب مشاعرهم.

وعرضُ سبب النزول سبيل ناجح لتحقيق هذه الأمور في تدريس تلاوة القرآن الكريم، وتدريس تفسير القرآن الكريم، إذ أن سبب النزول ـ كما أشرنا في التعريف ـ لا يخلو من أن يكون حادثة أو سؤالاً، ومثل هذا كاف لجذب انتباه الطلاب وربطهم بالمادة العلمية، وتزويدهم بمعلومة عامة ينطلقون منها إلى التفصيل ومعرفة ما يتعلق بالآية من تفسير لمفرداتها. وبيان لأحكامها وإدراك لأسرار التشريع فيها، وتوثيق صلتهم بالآية.

وإذا كان عرضُ سبب النزول طريقة ناجحة للتمهيد لدرس التلاوة ودرس التفسير مثلاً فإنه يُمكن الاستفادة من هذا الأسلوب في سائر المواد بأن يبدأ المدرس بعرض قصة مناسبة تلائم المادة العلمية التي يُريد عرضها، أو يوجه سؤالاً يجذب به انتباه الطلاب، ثم ينطلق إلى درسه بعد أن يطمئن إلى إقبال الطلاب عليه وتوجه أذهانهم إليه فيسهل حينئذ تلقيهم للدرس، واستيعابهم له.

التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

تعريف التفسير:

اختلف علماء اللغة في لفظ التفسير:

١ ـ فقيل: هو تفعيل من (الفَسْر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المُشكِل[١]. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[٢]. أي تفصيلا[٣].

٢ ـ وقيل: هو مقلوب من «سَفَر» ومعناه أيضاً الكشف يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح: أضاء وإنمّا بنوا «فسر» على التفعيل فقالوا: «تفسير» للتكثير[٤].

وقال الراغب الأصفهاني: (الفَسْر) و (السَّفر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفَسر لإظهار المعنى المعقول... وجعل السَّفر لإبراز الأعيان الأبصار فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[٥].

---

(١) تهذيب اللغة: الأزهري ج:١٢ ص:٤٠٧.

(٢) سورة الفرقان: الآية: ٣٣.

(٣) البرهان: الزركشي ج:٢ ص:١٤٨.

(٤) المرجع السابق ج:٢ ص:١٤٧.

(٥) المرجع السابق ج:٢ ص:١٤٨.

وفي الاصطلاح:

التفسير: علم يُفهَمُ به كتابُ الله تعالى المُنزَّل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[1].

مناهج التفسير:

لم يكن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا الناس من بعدهم أيضاً على درجة واحدة في فهم القرآن الكريم، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، فقد كان يُشكِلُ على بعضهم ما لا يُشكِل على بعضهم الآخر.

ويرجع ذلك إلى تفاوتهم في معرفة اللغة ومعرفة ما يحيط بنزول الآية من أحداث وملابسات كأسباب النزول، زد على ذلك تفاوتهم في القدرة العقلية شأن البشر كلهم.

ولو تساوت الأذهان في إدراك معاني القرآن لبطل التنافس وخمدت الهمم لزوال ما يحملهما على القدح وإعمال الذهن والتفكير والتدبر، لكن الله جلت حكمته جعل ألفاظ القرآن تحتمل أحياناً معاني كثيرة وأمر الناس بالتدبر والتفكر فيها وحث على ذلك فتنافس الصحابة وسائر المسلمين من بعدهم في تفسيرها لينالوا الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وسلك العلماء منهجين أساسين لتحصيل معاني القرآن هما:

١ ـ التفسير بالمأثور.

٢ ـ التفسير بالراي.

---

(١) المرجع السابق ج:١ ص:١٣ وانظر الإتقان: السيوطي ج:٢ ص:١٧٤.

التفسير بالمأثور وأهم المؤلفات فيه

تعريفه:

هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

فهو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته.

مكانته:

هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها لأن التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسير للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسير للقرآن بكلام الرسول ﷺ، فهو المُبيِّنُ لكلام الله تعالى. وإما أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

لكن ينبغي أن يُعلمَ أنَّ هذا مشروط بصحة السند عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة رضي الله عنهم.

وينبغي أن نتفطن إلى أن التفسير بالمأثور قد دخله الوضع وسرى فيه الدس والخرافات ويرجع ذلك إلى أمور منها:

١ ـ ما دسه أعداء الإسلام مثل زنادقة اليهود الذين تظاهروا بالإسلام لدس الأخبار المحرفة التي يجدونها في كتبهم.

٢ ـ ما دسه أصحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة كالرافضة الذين افتروا الأحاديث ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى الرسول ﷺ أو إلى أصحابه رضي الله عنهم.

٣ ـ نقل كثير من الأقوال المنسوبة إلى الصحابة بغير إسناده مما أدى إلى اختلاط الصحيح بغير الصحيح والتباس الحق بالباطل.

لذا فإنه ينبغي التثبت عند الرواية للتفسير بالمأثور، وعلى هذا فإن التفسير بالمأثور نوعان:

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله.

ثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة وهذا يجب رده ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به إلا لتمحيصه أو التنبيه إلى ضلاله حتى لا يغتر به أحد[١].

مصادر التفسير بالمأثور:

وتسمى (طرق التفسير بالمأثور) وهي:

١ ـ القرآن:

تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير ومن أمثلته تفسير الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[٢]. بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣].

٢ ـ السنة:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني: ج:١ ص:٤٩٣.
(٢) سورة البقرة: الآية: ٣٧.
(٣) سورة الأعراف: الآية: ٢٣.

يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «السنة تفسر القرآن وتبينه»[2].

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى. وتفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

٣ ـ أقوال الصحابة:

وإذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن ولا في السنة فعليك بتفسير الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أعلم بذلك لما اختصوا به من مجالسة الرسول ﷺ ومشاهدة القرائن والأحداث والوقائع.

٤ ـ أقوال التابعين:

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الرجوع إلى أقوال التابعين إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فمنهم من عدَّ أقوال التابعين مصدراً من مصادر التفسير بالمأثور ومنهم من عدَّها كسائر أقوال العلماء.

أسباب الاختلاف في التفسير بالمأثور:

وقد وقع الاختلاف بين السلف في التفسير بالمأثور، لكنه اختلاف يسير ومع قلته فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد وهو أيسر أنواع الاختلاف.

ومن أسباب وقوع الاختلاف بين السلف في التفسير:

١ ـ أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على قراءة مخصوصة. ومثاله اختلافهم في معنى سكرت من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا

---

(١) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١ ص: ٣٩.

عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾[١]. فقد قال قتادة: من قرأ (سُكِّرت) مشدَّدة يعني سُدَّت ومن قرأ (سُكرت) مخَّففة فإنه يعنى سُحرت[٢].

٢ ـ ومنها الاختلاف في الإعراب، فإن للإعراب أثره في تفسير الآية: ومثاله اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٣]. فقد اختلفوا في ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ فقيل: عطف نسق على لفظ الجلالة، وقيل مبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ فعلى القول الأول أن الراسخين يعلمون تأويله وعلى القول الثاني لا يعلمون وسبب هذا الاختلاف الاختلاف في الإعراب.

٣ ـ ومن أسباب الاختلاف احتمال اللفظ أكثر من معنى كالاشتراك اللغوي، فإن بعض الكلمات لها أكثر من معنى في اللغة كلفظ «قسورة» الذي يُطلق على الرامي وعلى الأسد ولفظ «النكاح» الذي يُطلق على العقد وعلى الوطء ولفظ «القرء» الذي يُطلق على الحيض وعلى الطهر، وهناك أسباب أخرى غير ذلك[٤].

حكم التفسير بالمأثور:

قلنا: أن التفسير بالمأثور ينقسم إلى قسمين:

١ ـ ما توافرت الأدلة على صحته. فهذا يجب قبوله، ولا يجوز العدول عنه.

٢ ـ ما لم يصح فيجب رده ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به إلا للتحذير منه.

---

(١) سورة الحجر: الآيتان: ١٤ ـ ١٥. (٢) تفسير ابن جرير الطبري جـ: ١٤ ص: ١٠.

(٣) سورة آل عمران من الآية: ٧.

(٤) انظر ما ذكرته من أسباب أخرى في كتابي (بحوث في أصول التفسير ومناهجه) وقد أفرد هذه الأسباب بالتأليف الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان بكتابه (اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره) والدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع في كتابه (أسباب اختلاف المفسرين).

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في التفسير بالمأثور كثيرة ومن أهمها:

أولاً: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

مؤلفه:

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في (آمُل) في طبرستان سنة ٢٢٤ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠[١].

كان عالماً بالقراءات، وإماماً في التفسير، بارعاً في الحديث، وشيخاً للمؤرخين، إنفرد في الفقه بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات، وله أتباع ومقلدون[٢]. وقال ابن خزيمة: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد ابن جرير»[٣]، وله مؤلفات كثيرة منها: كتاب في القراءات و (تاريخ الرجال) في الصحابة والتابعين و (لطيف القول) جمع في مذهبه الذي اختاره، (وتهذيب الآثار) ومن أهم كتبه (تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم).

تفسيره:

أما تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) فلم يُؤلَّف قبله ولا بعده مثله في موضوعه ولا يزال المفسرون عالة على تفسيره في التفسير بالمأثور، ويتميز تفسيره بمزايا منها:

١ ـ اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين.

٢ ـ التزامه بالإسناد في الرواية.

٣ ـ عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

٤ ـ ذكره لوجوه الإعراب.

٥ ـ دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

---

(١) طبقات المفسرين: الداودي ج:٢ ص:١١٤.

(٢) طبقات المفسرين: السيوطي ص:٩٦.

(٣) طبقات المفسرين: الداودي ج:٢ ص:١١١.

وكان هذا التفسير مفقوداً إلى وقت قريب حيث عُثر على نسخة مخطوطة منه عند أحد أمراء حائل وهو حمود بن عبيد الرشيد[١]. وقد تم طبعه على هذه النسخة في ثلاثين جزء سنة ١٣١٩.

ثم قام الشيخان الفاضلان محمود وأحمد شاكر بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ومراجعته وتخريج أحاديثه وصدر منه ستة عشر جزءاً إلى نهاية تفسير الآية ٢٧ من سورة إبراهيم، ثم توقف العمل، نسأل الله أن يهيئ من عباده العلماء من يُتمّه.

قال الخطيب: «وكتاب التفسير لم يصنف أحد مثله»[٢] وقال الذهبي: «وله كتاب في التفسير لم يصنف مثله»[٣] وقال النووي: «أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري»[٤].

وقال أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»[٥].

وقال ابن تيمية: «وأمَّا التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة. وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبي»[٦].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسهر. ترجمة د. عبد الحليم النجار ص:١٠٩ والتفسير والمفسرون: الذهبي ج:١ ص:٢٠٧.
(٢) تاريخ بغداد: ج:٢ ص:١٦٣. (٣) سير أعلام النبلاء: ج:١٤ ص:٢٧٠.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات: ج:١ ص:٧٨.
(٥) طبقات المفسرين: الداودي ج:٢ ص:١٠٩.
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ج:١٣ص:٣٨٥.أما مقاتل بن بكير فلم أجده في كتب الرجال ولعله (مقاتل بن سليمان بن بشير)وتصحف إلى بكير ويؤيد هذا أن تفسيره وتفسير الكلبي متشابهان حتى قيل: «أنَّ مقاتلاً أخذ التفسير عن الكلبي» التهذيب جـ:١٠ ص:٢٨٠ وقال إبراهيم: «تفسير الكلبي مثل تفسير مقاتل سواء» التهذيب جـ:١٠ص: ٢٨١.وابن جرير لم يرو عن مقاتل هذا، أما الكلبي وهو محمد بن السائب فقد روى عنه نادراً مع وصفه له بأنه ممن لا يحتج بنقله. جـ ١ ص: ٦٦ والله أعلم.

ثانياً: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير:

مؤلفه:

هو أبو الفِدَاء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ولد في بُصْرى في الشام سنة ٧٠٠، طلب العلم في صغره ورحل في طلبه، وكانت له صلة وثيقة مميزة بابن تيمية ومناضلة عنه[1] (ت٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى.

ومن مؤلفاته: البداية والنهاية، والاجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد العشرة، والكواكب الدراري، وغير ذلك.

تفسيره:

يُعَدُّ تفسير ابن كثير من أشهر ما دوِّن في التفسير بالمأثور ويُعتبر في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري.

قال السيوطي في ترجمة ابن كثير: «له التفسير الذي لم يؤلف على نمط مثله»[2].

وقال الشوكاني: «هو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها»[3].

وطريقته في التفسير أن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة ويجمع الآيات المناسبة لها، ويقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد[4].

ثم يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية، ثم يُردِف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

وينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات إجمالاً أحياناً وبالتفصيل حيناً آخر[5].

---

(١) طبقات المفسرين: الداودي ج:١ ص:١١١.

(٢)(٣) مقدمة تحقيق تفسير ابن كثير ج:١ ص:١٩ تحقيق سامي السلامة.

(٤) التفسير والمفسرون: الذهبي ج:١ ص:٢٤٤.

(٥) المرجع السابق ج:١ ص:٢٤٥.

وبالجملة يُعدُّ تفسيره ـ رحمه الله تعالى ـ من أفضل المؤلفات في التفسير، وقد طبع مرات كثيرة مع تفاسير أخرى، ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار واختصره عدد كبير من العلماء، منهم الأستاذ أحمد شاكر، ومحمد نسيب الرفاعي وغيرهما.

ثالثاً: الدر المنثور: السيوطي:

مؤلفه:

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ولد سنة ٨٤٩، وتوفي سنة ٩١١ وبعد أن تلقى العلوم وحَصَّلَ منها حظّاً وافراً انصرف إلى التأليف في وقت مبكر من حياته، ثم تجرد للتأليف في أواخر عمره فاعتزل الناس وترك وظائفه من تدريس وإفتاء.

تفسيره:

ألف السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه (ترجمان القرآن) ثم أراد أن يختصره وعلَّل هذا بقوله: رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر مُصدِّراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسميته بالدُّر المنثور في التفسير بالمأثور[1].

وطبع هذا التفسير في ستة مجلدات وهو بحاجة ماسة إلى عناية طلبة العلم، وخدمته بالتحقيق والتخريج والفهرسة والإخراج.

رابعاً: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي:

المؤلف:

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي[2]. ولد رحمه الله تعالى في شنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن، سنة ١٣٢٥.

---

(١) الدر المنثور: السيوطي: ج:١ ص:٢.

(٢) ترجم له تلميذه الشيخ عطية سالم في آخر تفسير الشيخ الشنقيطي.

تلقى العلوم الشرعية واللغة العربية، وحين أدّى الحج اتصل بعلماء المملكة فأعجب بهم وعَزم على البقاء في هذه البلاد فأذن له الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى بالتدريس في المسجد النبوي، وحين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة عُيِّن مُدرِّساً فيها، وعُيِّن عضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٣ بمكة. وله مؤلفات كثيرة منها (منع جواز المجاز في المُنزَّل للتعبد والإعجاز) و (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) وغير ذلك.

التفسير:

وصل المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره هذا إلى آخر سورة المجادلة، ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطية محمد سالم وصدر التفسير في عشرة مجلدات.

تميز هذا التفسير بميزتين:

(إحداهما) تفسير القرآن بالقرآن، وقد التزم أن لا يُبين القرآن إلا بقراءة سَبْعِيَّة ولم يعتمد البيان بالقراءات الشاذَّة

(والثانية) بيانُ الأحكام الفقهية ودقة الاستنباط، وحسنُ التفصيل وقوة الاستدلال.

كما تضمن هذا التفسير تحقيق بعض المسائل اللغوية وما يُحتاج إليه من صرف وإعراب، وتحقيق بعض المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث.

يُعَدُّ هذا التفسير بحق من خير المؤلفات في التفسير قديماً وحديثاً ومن أتبعها للسُّنَّة وأبعدها عن البدعة، والقارئ فيه يجد رائحة علماء السلف ونقاء سريرتهم، وصفاء عقيدتهم، ودقة استنباطهم، وسعة علمهم رحم الله مؤلفه رحمة واسعة.

التفسير بالرأي وأهم المؤلفات فيه:

تعريفه: هو تفسير القرآن بالاجتهاد.

أقسامه: ينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:

الأول: التفسير بالرأي المحمود:

وهو التفسير المُستَمدُّ من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها.

حكمه:

أجاز العلماء رحمهم الله تعالى هذا النوع من التفسير ولهم أدلة كثيرة على ذلك منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[(١)]. وغيرها من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن.

٢ ـ دعاء الرسول ﷺ لابن عباس بقوله: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» ولو كان التفسير مقصوراً على النقل ولا يجوز الاجتهاد فيه لما كان لابن عباس مزية على غيره.

٣ ـ أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في التفسير على وجوه، فدلَّ على أنه من اجتهادهم.

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز. والله أعلم.

الثاني: التفسير بالرأي المذموم:

هو التفسير بمجرد الرأي والهوى.

وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل الأهواء والبدع الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل ففسروا آيات القرآن بما يوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفة وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى.

---

(١) سورة محمد: الآية: ٢٤.

حكمه:

وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[1]. والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[3].

٢ ـ حديث: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[4].

وحديث: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[5].

أهم المؤلفات في التفسير بالرأي:

والمؤلفات في التفسير بالرأي كثيرة منها:

أولاً: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري.

المؤلف:

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري[6] المعتزلي، الملقب بجار الله ولد سنة ٤٦٧ في زمخشر من قرى خوارزم، بعد أن تلقى العلم رحل إلى مكة وألف فيها تفسيره الكشاف، ثم عاد إلى خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨ وهو إمام من أئمة اللغة، لا يأنف من انتمائه إلى الاعتزال بل يجاهر به، ويدعو إليه، ومن مؤلفاته: (أساس البلاغة) و(الفائق في غريب الحديث) و (المُفصَّل) في النحو.. وغيرها.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص:١٠٥.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٦٩.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ٣٦.

(٤) مسند الإمام أحمد: جـ:١ ص:٢٣٣ سنن الترمذي جـ:٥ ص:١٩٩ وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥) سنن الترمذي جـ:٥ ص:٢٠٠ وأبو داود جـ:٣ ص:٣٢٠.

(٦) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ:٣ ص:٣١٤ ـ ٣١٦، وطبقات المفسرين: للسيوطي، ص: ١٢٠ ـ ١٢١.

تفسيره:

اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم وبلاغته، وخلا هذا التفسير من الحشو والتطويل، وإيراد الإسرائيليات إلا القليل.

والزمخشري قليل الاستشهاد بالحديث، ويورد أحياناً الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

وملأ تفسيره بعقائد المعتزلة والاستدلال لها وتأويل الآيات وَفْقَها ويدس ذلك دسّاً لا يدركه إلا حاذق حتى قال البلقيني: «استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش»[١].

وهو شديد على أهل السنة والجماعة ويذكرهم بعبارات الاحتقار ويرميهم بالأوصاف المقذعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء[٢].

ولهذه الأمور وغيرها نبَّه كثير من العلماء إلى أخذ الحيطة والحذر عند المطالعة في تفسيره أو النقل منه، فقال الإمام الذهبي: «محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله. فكن حذراً من كشافه»[٣].

وقال علي القاري: «وله دسائس خفيت على أكثر الناس فلهذا حرَّم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره لما فيه من سوء تعبيره في تأويله وتعبيره»[٤].

وينبغي لمن أراد أن يقرأ فيه أن يرجع لكتاب (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) لابن المنير وهو مطبوع مع الكشاف وفيه كشف لاعتزالياته وضلالاته.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج:٢ ص:١٩٠.

(٢) التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ج:١ ص:٤٦٥.

(٣) ميزان الاعتدال: الإمام الذهبي ج:٥ ص:٢٠٣.

(٤) مناهج المفسرين: د. مساعد آل جعفر ومحي هلال ص:٢١٦ عن طبقات الفقهاء الحنفية: لأبي علي القاري ورقة ٤٩ ب (مخطوط).

ثانياً: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي:

المؤلف:

أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين[1]. ولد في الرَّي سنة ٥٤٤ وتوفي في هَرَاة سنة ٦٠٦ جمع كثيراً من العلوم فكان إماماً في التفسير، وعلوم الكلام. وكان طبيباً حاذقاً، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام، وكان يقول: ليتني لم أشتغل بعلم الكلام. ثم يبكي[2].

ومن مؤلفاته: مفاتيح الغيب، والمحصول في علم الأصول، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ومسائل الطب وغير ذلك.

التفسير:

يُعدُّ تفسير (مفاتيح الغيب) أوسع التفاسير في علم الكلام فقد تأثر كثيراً بالعلوم العقلية فتوسع فيها وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعة والفلكية والمسائل الطبية، وملأ تفسيره بهذه العلوم حتى قيل عنه:(فيه كل شيء إلا التفسير)[1] ومما يعاب عليه أنه يبسط دلائل أهل البدع والفرق المخالفة لأهل السنة بسطاً لا مزيد عليه ثم يرد عليها رداً غاية في الوهاء حتى قال بعض العلماء: إنه «يورد الشبه نقداً ويحلها نسيئة»[3].

ولم يتم الرازي تفسيره هذا، بل قيل: أنه بلغ في التفسير إلى سورة الأنبياء، ثم جاء تلميذه الخُوَيِّي فشرع في تكملته ولم يتمه، وأتمه نجم الدين القَمُولي، وقيل: إن الخُوَيِّي أكمله، وكتب القَمُولي تكملة أخرى غيرها، ولا يكاد القارئ يلحظ تفاوتا بين أساليبهم[4].

---

(١) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ:١ ص:٢١٣ ـ ٢١٧ وطبقات المفسرين ـ السيوطي ص:١١٥ ـ ١١٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي جـ:٢ ص:٢٩٠.

(٣) لسان الميزان: ابن حجر جـ:٤ ص:٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٤) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ:١ ص:٢٩٣.

وقد طبع هذا التفسير في ٣٢ جزءاً وتقع في ١٦ مجلداً كبيراً.

ثالثاً: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: لابن سعدي:

المؤلف:

هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي[(١)] ولد في عنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧ توفي والده وهو صبي فكفلته زوجة أبيه وأدخلته مدرسة تحفيظ القرآن، فحفظه في الرابعة عشرة من عمره، واشتغل في طلب العلم فقرأ الكتب، وحفظ المتون ثم تصدّى للتعليم ونشر العلم حتى ذاع صيته.

ومن مؤلفاته، (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهو خلاصة لهذا التفسير و (القواعد الحسان لتفسير القرآن) و (التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة) و (الفواكه الشهية في الخطب المنبرية).. وغير ذلك. توفي رحمه الله تعالى في عنيزة سنة ١٣٧٦.

التفسير:

يقع هذا التفسير في سبعة مجلدات ثم طبع في مجلد واحد، ومع هذا فهو تفسير يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، ويعتمد المعنى الإجمالي للآيات حيث يورد مجموعة من الآيات، ثم يفسرها آية آية، وقد يتحدث عنها إجمالاً ثم تفصيلاً موجزاً. ويعرض عن الإسرائيليات، ويستطرد أحياناً في ذكر فوائد الآيات وما تدل عليه من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

رابعاً: في ظلال القرآن: سيد قطب:

المؤلف:

هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم[(٢)] ولد سنة ١٩٠٦م تخرج في

---

(١) انظر ترجمته في كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبد اللطيف آل الشيخ.

(٢) صدر عن سيد قطب رحمه الله تعالى عدد كبير من المؤلفات من أهمها: (سيد قطب الشهيد الحي) للأستاذ صلاح الخالدي.

كلية دار العلوم سنة ١٩٣٣م فزاول مهنة التدريس سنوات، ثم موظفا في وزارة المعارف ثم أوفد إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم فيها لتطبيقها في مصر، وكان القصد من إيفاده التخلص من نشاطه في الدعوة، وعاد من أمريكا وقد زاد حماسه ونشاطه للدعوة، حيث انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وكان يُردِّد (لقد ولدت عام ١٩٥١م) وهو عام إنضمامه إليهم.

وحين وقع الصدام بين الأخوان وقادة ثورة يوليو في مصر كان سيد في مقدمة المعتقلين، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ألَّف خلالها في السجن تفسيره (في ظلال القرآن) وكان هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن حيث قرأه الرئيس العراقي عبد السلام عارف فتوسط عند جمال عبد الناصر لإخراجه بطلب من علماء العراق، وأفرج عنه سنة ١٩٦٤م فواصل مسيرة الدعوة فأعيد إلى السجن وصدر ضده حكم بالإعدام ونفَّذَ الحكم سنة ١٩٦٦م رغم نداءات العالم الإسلامي واحتجاجاتهم، وقد طُلب من سيد أن يكتب اعتذاراً من جمال عبد الناصر ووعدوه بالعفو إن فعل فرفض وقال: «إن أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يُقِرُّ به حكم طاغية». وقال حين طلب منه الاعتذار «لن أعتذر عن العمل مع الله» وقال: لماذا استرحم؟ إن سُجنتُ بحق فأنا أرضى حُكْمَ الحقِّ وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل».

وله مؤلفات كثيرة منها: «معالم في الطريق» وهو من أهم كتبه ومن أسباب إعدامه ومنها «التصوير الفني في القرآن» و «مشاهد القيامة في القرآن» و «المستقبل لهذا الدين».. وغير ذلك.

التفسير:

والكتاب وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يسبق إليه سيد من قبل فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات ومطابقته مع المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة إلى الله، ثم دراسة

الإيقاع الصوتي والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب منهج لم يسبق له مثيل في علم التفسير.

أما طريقته في ذلك فخلاصتها أنه يُقدِّم لكل سورة بمقدمة يبين فيها موضوع السورة ومحورها، وأهم سِمَاتها، ثم يعرض لمقاطعها ويربط بينها ببيان المناسبة وهكذا.. مع الأعراض عن المباحث اللغوية والنحوية وذكر الخلافات الفقهية وتاركاً الخوض فيما أبهمه القرآن مهملاً للإسرائيليات.

وطبع التفسير مرات عديدة آخرها وأشهرها في ستة مجلدات كبار.

شروط المفسر وآدابه

ورد النهي عن القول في القرآن بغير علم والوعيد الشديد على من اجترأ على ذلك، ولذلك وضع العلماء شروطاً لمن أراد أن يفسر القرآن ليخرج من هذا الوعيد ويصبح من أهل التفسير والتأويل.

ولا عجب أن يكون للمفسر شروطاً بل العجب أن يجترئ على كلام الله كلٌ من هبَّ ودَبَّ.

وكم يحز في النفس حين نرى كثيراً من الناس يجترئون على تفسير القرآن بغير علم ولا يحسبون لذلك حساباً فلا تتلكأ ألسنتهم، ولا تَوْجَفُ قُلوبُهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علماً، وأصبح من مداركهم القريبة، ومن معارفهم الدانية.

وكم من رجلٍ منهم فسر آية لو عرضت على أبي بكر رضي الله عنه لقال: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم»، وإن أحدهم ليفسر الآية ولو سمعه عمر رضي الله عنه لقرعه بدرته.

وقد يقول قائل لِمَ وضع العلماء هذه الشروط؟ أليس القرآن للناس كافة وتدبره واجب على الجميع؟ ونقول لهذا وأمثاله نعم إن تلاوة القرآن حق لكل مسلم، لكنّ تفسيره للناس وبيانه لهم ليس حقاً لكل إنسان، كأي علم آخر فالطب مثلاً حق لكل إنسان أن يدرسه لكن علاج الناس ليس حقاً لكل إنسان إلا إذا درس علم الطب وحذقه، فما بالنا نصرخ في وجوه

أدعياء الطب ونستعدي عليهم السلطة، ولا ننهر المجترئين على تفسير كلام الله وهم ليسوا من أهل التفسير.

ومجمل الشروط التي وضعها العلماء للمفسر هي:

أولاً: سلامة العقيدة:

فإن من انحرفت عقيدته يعتقد رأيا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين[١]، فإذا فسر القرآن أوَّل الآيات التي تخالف مذهبه الباطل، وحرَّفها حتى توافق مذهبه، ومثل هذا لا يطلب الحقَّ فكيف يُطلبُ منه! ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والمعتزلة وغلاة الصوفية وغيرهم.

ثانياً: التجرد عن الهوى:

فإنَّ الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلاً، ويصرفه عن غيره ولو كان حقاً.

ثالثاً: أن يكون المفسر عالماً بأصول التفسير:

وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالماً بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها.

رابعاً: أن يكون عالماً بالحديث رواية ودراية:

إذْ أنَّ أحاديث الرسول ﷺ هي المُبيِّنة للقرآن، بل قد قال الإمام الشافعيُّ رحمه تعالى «كلُّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[٢]. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «السنة تفسر القرآن وتبينه»[٣].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص:٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص٩٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ج:١ ص:٣٩.

خامساً: أن يكون عالماً بأصول الدين:

وهو (علم التوحيد) حتى لا يقع في آيات الأسماء والصفات في التشبيه أو التمثيل أو التعطيل.

سادساً: أن يكون عالماً بأصول الفقه:

إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، ودلالة النص وإشارته ودلالة الأمر والنهي.. وغير ذلك[1].

سابعاً: أن يكون عالماً باللغة وعلومها:

كالنحو والصرف والاشتقاق والبلاغة بأقسامها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع).

ذلكم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وهذه العلوم مما يتوصل بها إلى معرفة المعنى وخواص التركيب ووجوه الإعجاز فيه.

وهذه الشروط ـ كما ترى ـ عزيزة المنال ولهذا تحَرَّج كثير من السلف من القول في القرآن بغير علم لتمكن الإيمان من قلوبهم واستحضارهم الخوف من الله تعالى، وإذا رأيت من يجترئ على القول في القرآن بغير علم فاعلم أنَّه من نقص إيمانه والله المستعان.

آداب المفسر:

وكما أن للمفسر شروطاً فإنَّ له آداباً ينبغي عليه الالتزام بها وهي كثيرة منها:

١ ـ الإخلاص:

بأن يريد بعمله وجه الله، وأن يطلب رضاه، ولا يبتغي بذلك جاها ولا منصبا، فإن ابتغى غير ذلك ضلَّ وأضلَّ.

---

(١) أصول التفسير وقواعده: خالد العك ص:١٨٧.

٢ ـ العمل:

فإنه إذا دعا إلى خير فعليه أن يكون أول المؤدين له حتى يلقى القبول من الناس، وإذا نهى عن أمر وجب أن يكون تاركاً له نابذاً إياه فإنَّ الناس إذا رأوه يأمر ولا يفعل وينهى ولا يمتثل نفروا عنه وعن أقواله وإن كانت حقاً.

٣ ـ حسن الخلق:

في قوله وفي فعله وفي سمته، فإن هذا مما يجذب النفوس إليه وإذا انجذبت إليه أقبل عليه السمع والبصر.

فعليه أن يلتزم حسن الخلق في قوله وعباراته فيلزم الكلمة الطيبة ويحذر الكلمات النابية التي ينفر منها السامع ويفزع. وأن يتحرى الصدق في سائر أقواله حتى يطمئن الناس إليها فإنهم إذا جربوا عليه كذباً اضطرب عندهم سائر كلامه.

وعليه أن يلتزم حسن الخلق في فعله فيتواضع لمن هم دونه مقاماً ولا يتعالى فلا تطاله أيديهم فلا يستفيدون من علمه، وأن تكون نفسه عزيزة فيترفع عن سفاسف الأمور والتذلل لأصحاب المال أو الجاه فإن العامة إذا رأوا تهافته على ذلك سقط من أعينهم. وعليه أن يجهر بالحق ولا يكتمه فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

ومن حسن الخلق أن يقدم من هو أولى منه وأن يوقرهم حضوراً كانوا أو غائبين فلا يغمط أقوالهم حقّها بل يظهرها ويعترف بفضلها ومزيتها، ولا يقدم قوله عليها، لا يُنكر سبقهم له إلى رأي رآه، أو قول يقول به.

وعليه أن يلتزم حسن الخلق في سمته بأن يلبس لباس العلماء ويتزيا بزيهم، ويلتزم الوقار في جلوسه ووقوفه ومشيته دون تكلف، ولا يحضر مجالس لهوهم، وأن يتأنى في حديثه حتى يفهم الناس عنه قوله فلا يضطرهم إلى كثرة الاستفسار والجرأة على قطع حديثه. والله المستعان.

الوحي

حاجة البشر إليه:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم وركبه أحسن تركيب وجعله من:

١ ـ جسد.

٢ ـ روح.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾[١].

وحين نتأمل في غذاء كل من هذين العنصرين (الروح والجسد) نجد أن الجسد خلق من تراب وأن غذاءه من التراب (نبات أو حيوان يتغذى بالنبات). وأنه إذا مات يتحلل ويعود إلى التراب؟! ولذلك يتمنى الكافر يوم القيامة لو أنه بقي على أصله الترابي الأول فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[٢].

أما الروح فمن الله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٣].

وإن كانت النسبة إضافة تشريف فلا بد أن يكون غذاؤها من الله وليس من التراب ولا ممن خُلِقَ من التراب فإن التَزَمَتْ بالغذاء الرباني

(١) سورة ص: الآيتان ٧١ ـ ٧٢.
(٢) سورة النبأ: الآية ٤٠.
(٣) سورة الحجر: الآية ٢٩ وسورة ص: الآية ٧٢.

صعدت بعد الموت إلى عليين وفتحت لها أبواب السماء ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1]، وإن حادت وأبت إلا الغذاء الترابي أغلقت في وجهها أبواب السماء قال تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[2]، قال كعب: «أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت جند إبليس»[3].

وغذاء الجسد فيه النافع والضار فإذا غذى الإنسان جسده بالغذاء الجيد صح وقوي بناؤه وظل حياً طريّاً متماسكاً، وإذا غذاه بالغذاء الرديء أو أهمل غذاءه ضعف وانحرف مزاجه، وساءت صحته، وخارت قواه، وهزل وذبل.

وكذا غذاء الروح فيه النافع والضار أيضاً فإذا غذى الإنسان روحه بالغذاء السليم سمت وارتفعت وصحت وسلمت من الأمراض. وغذاؤها صحة الاعتقاد، وسلامتها باتصالها بالله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[4].

وإذا أهمل الإنسان غذاء روحه أو غذاها بالغذاء البشري بأن جعل صلتها بالمبادئ الوضعية والمعتقدات الزائفة أو انقادت لملذات الجسد الترابي فتغذت بغذاءه واستغنت به عن غذاءها الرباني ضعفت وخارت وتاهت وانحرف مزاجها ولم يقر لها قرار وضاقت عليها الأرض على سعتها.

---

(١) سورة الفجر: الآيتين ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٠.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز جـ:٢ ص:٥٨٣. والروح: ابن القيم: ص:٩١.

(٤) سورة الرعد: الآية ٢٨.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[2]. وقد تطلب الخروج من هذا الجسد الذي ضاقت به وضاق بها فتؤدي بصاحبها إلى الانتحار...

إذن فإن على الإنسان أن يحرص على اختيار غذاء الروح كما يحرص على اختيار غذاء الجسد، وأن يسأل أطباء الأرواح عن غذاءها النافع كما يحرص على سؤال أطباء الأبدان عن غذاء الجسد الفاني، وعليه أن يعرض روحه على أهل الذكر كما يعرض جسده على أهل الطب وأن يعالج روحه كما يعالج بدنه، وأن يتفقدها كما يتفقد بدنه، وأن يحاسبها دورياً كما يجري الفحوص الدورية لجسده.

وإذا كان غذاء هذه الأجساد الترابية السفلية الفانية من أصلها الترابي يستمد، فإن غذاء هذه الأرواح السامية الباقية من الله العلي الباقي الدائم يستمد[3].

وقد هيأ الله ـ عز شأنه ـ الطعام المناسب لكل من هذين العنصرين فجعل غذاء هذا الجسد من التراب الذي خلق منه يحرث الأرض ويزرعها فينبت الطعام أو يحفرها فيخرج الماء أو يجده أقرب من ذلك فوقها.

وهذه الروح من الله فجعل غذاءها من عنده ينزل به الروح الأمين على الرسل فتنشره بين الناس وتدعوا إليه فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه ومن ضل فعليها.

فإذا كان الله سبحانه يهيئ الطعام لهذه الأجساد فلا عجب أن يهيئ الطعام لهذه الأرواح ومن الجهل كل الجهل والضلال كل الضلال الاعتقاد

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٣) من كتابي (قصة عقيدة) من ص:٤٦ ـ ٤٨.

أن الإنسان بعقله أصبح يعرف الحق من الباطل فليس هو بحاجة إلى من يخبره بذلك، لا يصح هذا لأن الروح لا تزال بحاجة إلى غذاءها العلوي ما بقيت في الجسد كما أن الجسد لا يزال بحاجة إلى غذاءه السفلي ما بقيت فيه روح.

وإن من رحمة الله تعالى بعباده أن أنزل جبريل عليه السلام بغذاء الأرواح إلى الأنبياء عليهم السلام كما خلق لهذه الأجساد غذاءها، ولا ينكر هذه الحاجة إلا مكابر معاند أو جاهل أحمق.

فالوحي من الله رحمة بعباده لتتغذى به الأرواح، وخلق الطعام رحمة من الله بعباده لتتغذى به الأجساد وببقاء العنصرين يبقى الإنسان وبفقد أحدهما يهلك.

والقرآن وحي ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1]، وسنة الرسول ﷺ وحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2].

تعريف الوحي:

الوحي لغة: أصل الوحي في اللغة إعلام في خفاء[3]، وقال الحرَّالي: هو إلقاء المعنى في النفس في خفاء[3] قال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا والكتابة تسمى وحيا[3] وقال الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل: أمر وحيّ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة[4] وقال الزبيدي: أوحى إليه: كلمه

---

(١) سورة الشورى: الآية ٦.

(٢) سورة النجم: من الآية (٣ ـ ٤).

(٣) تاج العروس: الزبيدي ج:١٠ ص:٣٨٥ مادة (وحي).

(٤) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ص:٥٣٦ مادة (وحي).

بكلام يخفيه[1] وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: الوحي الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام[2].

وبهذا يظهر أن الوحي في الأصل: الخفاء والسرعة وعلى هذا فالوحي في اللغة: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره[3].

وطرقه كما أشار إليها الراغب الأصفهاني آنفاً:

١ ـ الكلام على سبيل الرمز والتعريض.

٢ ـ الصوت المجرد عن التركيب.

٣ ـ الإشارة ببعض الجوارح.

٤ ـ الكتابة.

أنواعه بالمعنى اللغوي:

للوحي أنواع بالمعنى اللغوي وأنواع بالمعنى الشرعي وقد يشتركان في بعضها من حيث الكيفية لكنهما يختلفان من حيث الاعتبار فالوحي بالمعنى الشرعي خاص بالأنبياء عليهم السلام. وأنواعه بالمعنى اللغوي[4]:

١ ـ إلهام الخواطر أو الإلهام الفطري للإنسان وهو ما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ...﴾[5] الآية.

---

(١) تاج العروس: الزبيدي ج:١٠ ص:٣٨٥ مادة (وحي).

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية: ج:١٢ ص:٣٩٨.

(٣) الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا ص٣٧.

(٤) انظر الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا ص:٣٧ ـ ٣٨ والقرآن الكريم تاريخه وعلومه: د. محمد البدري ص:٥٠ ومباحث في علوم القرآن: القطان ص:٣٢ ـ ٣٣.

(٥) سورة القصص: الآية ٧.

ومنه الوحي إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111)﴾[1].

٢ ـ الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)﴾[2].

٣ ـ الأمر الكوني للجمادات، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (5)﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[4].

٤ ـ ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[5] وقال سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10)﴾[6] فالإيحاء الأول من الله سبحانه إلى جبريل عليه السلام والثاني من جبريل إلى محمد ﷺ.

٥ ـ الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح كإيحاء زكريا عليه السلام إلى قومه ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)﴾[7].

٦ ـ وسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[8] وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ

(١) سورة المائدة: الآية ١١١.
(٢) سورة النحل: الآية ٦٨.
(٣) سورة الزلزلة: الآيات ١ ـ ٥.
(٤) سورة فصلت: الآية ١٢.
(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.
(٦) سورة النجم: الآية ١٠.
(٧) سورة مريم: الآية ١١.
(٨) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1].

الوحي شرعاً:

اختلف العلماء في تعريف الوحي فمنهم من يعرفه بمعنى (الموحى) فيقول هو: كلام الله تعالى المنزل على أحد أنبيائه وقيل: هو ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع[2].

ومنهم من يعرفه بمعنى (الإيحاء) فيقول هو إعلام الله لأحد أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه.

وقولنا: (إعلام) يشمل أنواع الوحي بمعناه الشرعي كما سيأتي بيانها. وقولنا: (الله) قصر للوحي الشرعي بأنه من الله لا من غيره سبحانه. وقولنا: (لأحد أنبيائه) قصر للوحي بالمعنى الشرعي على الوحي للأنبياء. وقولنا: (بحكم شرعي) بيان للموحى به. وقولنا: (أو نحوه) يراد به القصص والأخبار ونحوها الواردة في القرآن أو السنة مما لم يرد فيها حكم شرعي فهي من الوحي أيضاً.

وظاهر أن الوحي بالمعنى الشرعي لا يخرج عن حد المعنى اللغوي والفرق بينهما هو الفرق بين العام والخاص. فالوحي بالمعنى اللغوي عام يشمل كل (إعلام في خفاء) والوحي بالمعنى الشرعي خاص لا يتناول إلا ما كان من الله تعالى لنبي من الأنبياء فالوحي بالمعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده فقد خص المصدر بأنه من الله وخص المورد بالأنبياء[3][4].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٢) عمدة القاري: شرح صحيح البخاري: البدر العيني ج:١ ص:١٤.

(٣) الوحي والقرآن: محمد حسين الذهبي ص٨ والمدخل لدراسة القرآن الكريم: د. محمد أبو شهبة ص٨٤.

(٤) ومما يؤسف له أن كثيراً من الكتب المؤلفة في علوم القرآن في العصر الحديث تنقل=

أنواع الوحي بالمعنى الشرعي:

١ ـ ما يكون مناما.

وهو أول مراتب الوحي كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ـ وعند مسلم الصادقة ـ في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح الحديث»[1].

وليست الرؤيا خاصة بالفترة الأولى من الوحي بل وقعت بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[2] الآية.

ووقع الوحي بالمنام لإبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن عنه قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[3].

ومبادرة إبراهيم عليه السلام للامتثال وقول إسماعيل عليه السلام: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ وقول الله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ دليل قاطع على أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي وأمر من الله سبحانه لهم عليهم السلام.

وفي ابتداء النبي ﷺ من الوحي بالرؤيا الصالحة في المنام تهيئة

= تعريف الوحي عن كتاب (رسالة التوحيد) للأستاذ محمد عبده من غير إدراك للأخطاء العلمية والعقدية فيه فهو يعرفه بأنه (عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت) وقد نقدت هذا التعريف في كتابي (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ج:٢ ص:٤٨٦ ـ ٤٨٩).

(١) رواه البخاري ج:١ ص:٣ ومسلم ج:١ ص:١٤٠.

(٢) سورة الفتح: الآية: ٢٧.

(٣) سورة الصافات: الآيات ١٠٢ ـ ١٠٥.

واستعداد لتلقي الوحي في اليقظة ويدل على هذا حديث علقمة بن قيس صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة»[1].

ولم ينزل من القرآن شيء عن طريق الوحي بالمنام وقد ظن بعضهم أن سورة الكوثر نزلت في المنام مستدلاً بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «أنزلت علي آنفاً سورة» فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر. . . الحديث» [2].

والصحيح أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم فقد حكى السيوطي عن الرافعي قوله: «وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ويقال لها برحاء الوحي ا.هـ. قلت - يعني السيوطي - الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه[3]. ونقل القسطلاني عن أمالي الرافعي قوله: «الأشبه أن القرآن نزل كله يقظة»[4]. وبهذا يظهر أنه لم ينزل قرآن على الرسول ﷺ في المنام والله أعلم.

٢ - ما كان مكالمة بين العبد وربه:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية[5]. ومن هذا النوع تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[6].

---

(١) فتح الباري: ابن حجر ج:١ ص:١٠ وقال رواه أبو نعيم في الدلائل إسناد بحسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود.

(٢) صحيح مسلم ج:١ ص:٣٠٠.

(٣) الاتقان: السيوطي ج:١ ص:٢٣.

(٤) شرح القسطلاني على صحيح البخاري: ج:١ ص:٦١.

(٥) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٦) سورة النساء: الآية ١٦٤.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[1] ومنه تكليم الله لنبينا محمد ﷺ في المعراج حيث قال: **(فأوحى الله إلي ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة)**[2].

٣ ـ ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً، ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن روح القدس نفث في رُوعي[3] أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب»**[4].

٤ ـ ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ وهذا النوع أشهر الأنواع وأكثرها، وهو المصطلح عليه بـ (الوحي الجلي) ووحي القرآن كله من هذا القبيل ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكليم بلا واسطة يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[5] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٢) صحيح مسلم: جـ:١ ص:١٤٦ كتاب الإيمان.

(٣) الرُوع بضم الراء القلب والخَلَد والخاطر وهو المراد هنا وبالفتح الخوف والفزع.

(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ١١٥١ ـ ١١٥٢ والبغوي في شرح السنة جـ:١٤ ص:٣٠٤ وابن عبد البر في التمهيد جـ:١ ص:٢٨٤ والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح جـ:٣ ص:١٤٥٨ قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ وحديث أن روح القدس نفث في روعي أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود (فتح الباري جـ:١ ص:٢٧) وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر ص:١٩.

(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٦) سورة النحل: الآية ١٠٢.

والوحي بجميع أنواعه بالمعنى الشرعي يصحبه علم يقيني ضروري من النبي بأن ما ألقي إليه حق من عند الله ليس من خطرات النفس ولا وسوسة الشياطين وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقدمات وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش[1].

وقد ذكرت هذه الأقسام الأربعة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[2] وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسيرها: «(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) يوحي إليه في المنام أو بالإلهام (أو من وراء حجاب) يسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عليه السلام (أو يرسل رسولاً) إما جبريل أو غيره من الملائكة»[3].

كيفية وحي الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة عليهم السلام:

ورد ذكر إيحاء الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4] وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[5] وغير ذلك.

وقد ورد وصف وحي الله إلى الملائكة في السنة النبوية في أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير... الحديث»[6].

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم: د. محمد محمد أبو شهبة ص:٨٧.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٣) معالم التنزيل: البغوي ج:٤ ص:١٣٢ وانظر تفسير الطبري ج:٢٥ ص:٤٥ وابن كثير ج:٤ ص:١٢٨.

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٦) رواه البخاري: في تفسير سورة سبأ ج:٦ ص:٢٨.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا قال: فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا أتاهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك؟ قال: يقول الحق، قال: فينادون الحق الحق»[2].

وعلى هذا فإن القرآن الكريم كلام الله أسمعه جبريل وبلغه جبريل ـ عليه السلام ـ كما سمعه إلى الرسول ﷺ وليس لجبريل ولا للرسول إلا البلاغ كما دلت على ذلك النصوص القرآنية مثل قوله تعالى: مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝﴾[3]

---

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص١٤٤ والطبري في تفسيره جـ:٢٢ ص:٩١ والبيهقي في الأسماء والصفات ص٢٠٣ ورواه ابن أبي حاتم، انظر تفسير ابن كثير جـ:٣ ص:٥٩١ وقال الألباني (إسناده ضعيف) السنة: ابن أبي عاصم جـ:١ ص:٢٢٧.

(٢) رواه أبو داود جـ:٢ ص:٥٣٦ ـ ٥٣٧ ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص:١٤٥ والبيهقي في الأسماء والصفات ص٢٠١ وقال الألباني (وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين) الصحيحة حديث ١٢٩٣، وأخرجه البخاري تعليقاً وموقوفاً على ابن مسعود ج:٨ ص١٩٤.

(٣) سورة النمل: الآية ٦.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[4]

فالوحي من حيث التبليغ قسمان:

١ ـ قسم يبلغه جبريل كما سمعه بحروفه وحركاته من غير زيادة ولا نقصان ويبلغه الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك وهذا ما أجمع عليه العلماء.

٢ ـ وقسم بلغه جبريل ـ عليه السلام ـ أو الرسول ﷺ أو هما معاً بالمعنى على خلاف بين العلماء.

كيفية وحي الله ـ سبحانه ـ إلى الرسل ـ عليهم السلام ـ:

وحي الله سبحانه إلى رسله عليهم السلام إما أن يكون بواسطة أو بدونها وما يكون بدون واسطة فهو ثلاثة أنواع:

١ ـ ما يكون مناماً.

٢ ـ ما يكون كلاماً.

٣ ـ ما يكون إلهاماً. وسبق بيان هذه الأنواع.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٣.

(٢) سورة يونس: الآية ١٥.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٧.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦.

وما يكون بواسطة هو النوع الرابع وهو ما يكون بواسطة جبريل عليه السلام ويسمى الوحي الجلي.

كيفية وحي الملك إلى الرسول:

وهذا الوحي يقوم على اتصال بين جبريل عليه السلام وهو (مَلَك) وبين الرسول ﷺ وهو (بَشَر) وحين يكون حديث بين اثنين عربي وعجمي ـ مثلاً ـ فإن التفاهم بينهما يحتاج إلى أن يتعلم أحدهما لغة الآخر والوحي اتصال بين (ملك) و (بشر) فالأمر يحتاج إلى غلبة البشرية على الملك فيفهم البشر كلامه أو غلبة الروحانية على البشر فيسهل على الملك تبليغه.

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن حجر رحمه الله تعالى حيث قال: «إن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني»[1].

وقال الزركشي في البرهان والسيوطي في الاتقان: «وفي التنزيل طريقان: أحدهما: أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والأول أصعب الحالين»[2].

ووصف ابن خلدون الحالة الأولى بأنها «انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانية، والحالة الأخرى عكسها لأنها انتقال الملك من الروحانية المحضة إلى البشرية الجسمانية»[3].

وبهذا يتبين أن وحي الملك جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ يكون بإحدى حالتين:

---

(١) فتح الباري: ابن حجر ج:١ ص:٢٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج:١ ص:٢٢٩. والإتقان: السيوطي ج:١ ص:٥٨.

(٣) بتلخيص من مقدمة ابن خلدون ص٩٥-٩٩ حيث فصل القول في ذلك

الحالة الأولى:

أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، والصلصلة في الأصل: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين[1]. ومن صفات هذه الحالة:

١ ـ أنها الأشد على الرسول ﷺ كما وصفها عليه الصلاة والسلام.

٢ ـ أنها شديدة على الرسول ﷺ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «سألت النبي ﷺ هل تحس بالوحي فقال: أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تفيض»[2] وفي مجمع الزوائد: «إلا ظننت أن نفسي تقبض»[3].

٣ ـ أنه ﷺ يعرق عرقاً شديداً في هذه الحالة من الوحي كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[4] وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: «كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته بُرَحَاءُ[5] شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان[6] ثم سري عنه»[7].

---

(١) فتح الباري ج:١ ص:٢٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ج:٢ ص:٢٢٢ وقال الأستاذ أحمد شاكر إسناده صحيح ج:١٢ ص:٢٧. قال: والفيض الموت.

(٣) مجمع الزوائد: الهيثمي ج:٨ ص:٢٥٦.

(٤) صحيح البخاري: ج:١ ص:٣ والفصد: قطع العِرْقِ لإسالة الدم، شبه جبينه بالعِرْقِ المفصود مبالغة في كثرة العرق. فتح الباري ج:١ ص:٢٩.

(٥) البرحاء قال ابن الأثير في النهاية: ج:١ ص:١١٢ «(البُرَحاء) أي شدة الكرب من ثقل الوحي».

(٦) الجمان قال ابن منظور في لسان العرب ج١٣: ص:٩٣: «هو اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ».

(٧) مجمع الزوائد: الهيثمي ج:٨ ص:٢٥٧.

٤ ـ أن جسمه يثقل ثقلاً شديداً كما روى البيهقي في الدلائل في وصفه للوحي «إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على ناقته فتضرب على جرانها من ثقل ما يوحى إلى رسول الله ﷺ وإن كان جبينه ليطف بالعرق في اليوم الشالي إذ أوحى الله إليه»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها»[٢] أي تمد عنقها من التعب.

وكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وهو متكئ على رجل زيد بن ثابت رضي الله عنه قال زيد: «حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً»[٣].

٥ ـ أن الرسول في هذه الحالة من الوحي يغط غطيط النائم ويغيب غيبة كأنها غشية أو إغماء وليست كذلك وقد روى البخاري أن صفوان بن يعلى رضي الله عنه قد جاء إلى الرسول ﷺ وهو يوحى إليه (وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به فأدخل رأسه فإذا رسول الله محمر الوجه وهو يغط»[٤] الحديث.

وأخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه» أي يتغير لونه[٥].

٦ ـ أن للوحي صوتاً يسمعه الرسول ﷺ مثل الصلصلة ويسمعه الصحابة رضي الله عنهم مثل دوي النحل[٦] وفي حديث عمر بن الخطاب

---

(١) دلائل النبوة: البيهقي ج:٧ ص:٥٣.
(٢) مجمع الزوائد ج:٨ ص:٢٥٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
(٣) مجمع الزوائد: ج:٨ ص:٢٥٧ وقال: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات.
(٤) صحيح البخاري: ج:٢ ص:١٤٤.
(٥) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٦٠.
(٦) فتح الباري: ابن حجر ج:١ ص:٢٧.

رضي الله عنه قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل»[1].

الحكمة من صوت الصلصلة:

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره»[2].

فائدتها:

قال القسطلاني: «وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات»[3].

(قلت): ولعل هذه الشدة لأن الأجسام أوعية للأرواح ولكل جسم روح تنا سب كثافته وحجمه فإذا غلبت الروحانية على الجسم فإن الجسم ينوء بها فيعاني شدة ويعرق نتيجة الجهد، ويثقل لأن أجسام البشر خلقت لأرواح البشر فإذا سمت الروح وعلت فإن هذا الجسد لا يكاد يحتملها، والله أعلم.

الحالة الثانية:

أن يأتي جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ في صورة رجل كدحية الكلبي أو أعرابي مثلاً فيكلمه كما يكلمه البشر.

وقد ورد ذكر هاتين الحالتين في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها أن الحارث ابن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم

---

(١) مسند الإمام أحمد: تحقيق أحمد شاكر ج:١: ص:٢٢٣ ـ ٢٢٤ ورواه البيهقي في الدلائل: ج:٧ ص:٥٥ وقال أحمد شاكر (إسناده صحيح).

(٢) فتح الباري: ابن حجر ج:١ ص:٢٨.

(٣) إرشاد الساري: القسطلاني ج:١ ص٥٨.

عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ـ ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[1].

إمكانية وقوع الوحي:

من المعلوم أن العالم ينقسم إلى قسمين:

١ ـ عالم الغيب (أو ما وراء المادة).

٢ ـ عالم الشهادة:

وقد ضاقت عقول فئة من الناس فلم تؤمن إلا بعالم الشهادة وأنكرت عالم الغيب وهذا بلا شك قصور في الإدراك وفي وسائله.

ولو تأمل هؤلاء لأدركوا أن فيما أنكروا ما لا يخفى على ذي لب وأن في عالم الغيب ما هو أقوى ثبوتاً من بعض ما في عالم الشهادة.

أرأيتم ذلك العقل الذي يؤمنون به هل يستطيعون إثبات وجوده بوسائل الإدراك عندهم وهل يجرؤ أحدهم على إنكار وجوده.

وتلكم الروح التي تسري في أجسادهم هل يدعي أحدهم إنكارها ولو مجرد دعوى.

هل يجرؤ أحدهم على التسوية بين الجسد الميت والجسد الذي تدب فيه الروح وهل يستطيع بوسائل إدراكه إثبات وجودها.

ألا فليراجع أولئك وسائل الإدراك عندهم وليعلموا قصورها وليبحثوا عن الخلل فيها. وليعلموا ـ أيضاً ـ أن هناك عالماً آخر أوسع من العالم الذي يعيشون فيه.. هو عالم الغيب.

وللمتأمل في عالم الشهادة علامات بارزة وأدلة ثابتة لذوي الألباب تدل دلالة قاطعة على عالم الغيب.

(١) صحيح البخاري ج:١ ص:٢ ـ ٣.

والوحي من عالم الغيب الذي يجب الإيمان به ومن صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب، ولمن طلب الأدلة العلمية ـ للطمأنينة القلبية ـ على إمكانية وقوع الوحي نذكر منها:

١ ـ الحالة الإنسانية نفسها: فالإنسان نفسه أول ما يولد لا يملك من أمر نفسه شيئاً فلا يملك التحكم في تحريك يده، ولا رأس، ولا رجله، ولا تحريك بصره يمنة أو يسرة، حتى برازه يخرج بغير إرادته، فلا حول له ولا قدرة ولا سلطان إلا القدرة على تحريك شفتيه للرضاعة!! لأن هناك من كفاه الحاجة إلى كل حركة وهي أمه التي تقوم بكل حاجته إلا تلك الحركة فلا يمكن أن تقوم بها ولا يمكن أن يستغني عنها فمن الذي ألهمه هذه الحركة، ومن الذي علمه!! لا ريب أن قيوم السماوات والأرض هو الذي ألهمه وعلمه فلا عجب إذا أن يلهم بعض البشر ما تقوم به حياة البشر عامة وصلاح أمرهم.

٢ ـ أن بعض الحشرات كالنحل والنمل وغيرهما تأتي بعجائب الأنظمة ودقائق الأمور مما يطول شرحه وبسطه ويدرك المتأمل أنه من المستحيل أن يكون ذلك صادر عن تفكير لها أو منبثق عن غريزتها المجردة بل يوقن أنها لم تصدر في ذلك إلا عن إلهام رباني ووحي إلهي.

فإذا اقتضت رحمة الله الإلهام إلى تلك الحيوانات والحشرات بما تقوم به حياتها هل يستبعد أحد أن يلهم الله أحداً من البشر ما تقوم به حياتهم وسعادتهم وهم أعز وأكرم. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1].

٣ ـ وفي المخترعات الحديثة والمكتشفات العلمية ما يقرب إلى الأذهان إمكانية الاتصال فإذا كان الهاتف مثلاً ـ يمكن للإنسان بواسطته أن يخاطب من في أقصى الأرض وأن يسمع حديثه لا يخفى عليه منه شيء ولا يسمع الحاضرون إلا دوياً كدوي النحل!! فضلاً عن الإذاعة التي تنقل

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

الأصوات إلى ما هو أعم وأوسع والتلفاز الذي ينقل الصوت والصورة، إذا كان هذا بعض شأن البشر وقدرتهم التي أعطاهم الله هل يجرؤ أحد على إنكار إمكانية اتصال الله بأحد أنبيائه وإسماعه كلامه بواسطة أو بغير واسطة لا ينكر هذا إلا مكابر معاند.

أدلة وقوع الوحي:

وإذا ثبتت إمكانية وقوع الوحي فإن الأدلة على وقوعه وتحققه كثيرة:

١ ـ فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٤]. وغير ذلك من الآيات.

٢ ـ ومن السنة:

حديث عائشة رضي الله عنها «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ـ وفي رواية ـ الصادقة في المنام... الحديث[٥].

وحديث عائشة رضي الله عنها ـ أيضاً ـ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس... الحديث[٦]. وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣ ـ ٤.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٩.
(٤) سورة النساء: الآية ١٦٣.
(٥) رواه البخاري ج:١ ص:٣ ومسلم ج:١ ص:١٤٠.
(٦) رواه البخاري ج:١ ص:٢ ـ ٣.

٣ ـ والدليل العقلي:

أن النبوة والرسالة ثابتة بأدلة كثيرة وبراهين عديدة وثبوت ذلك يقتضي ثبوت الصدق والعصمة للنبي وقد أخبر الصادق المعصوم بأنه يوحى إليه فيلزم من ذلك ثبوت وقوع الوحي فكل ما أخبر به الصادق المعصوم فهو حق وثابت فلا يبقى بعد ذلك شبهة ولا نحوها في إمكانية وقوع الوحي ووقوعه، والله أعلم.

نزول القرآن الكريم

هذا المبحث من أهم مباحث علوم القرآن بل هو أهمها لأن الإيمان بنزول القرآن من أصول الإيمان، وكل مباحث علوم القرآن الأخرى مترتبة على هذا المبحث ومبنية عليه فهي:

١ - إما أن تكون دراسة لنزول القرآن من الناحية الزمانية كأول ما نزل وآخر ما نزل والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

٢ - وإما أن تكون دراسة لنزول القرآن من الناحية المكانية كالمكي والمدني ومواضع نزول القرآن الأخرى..

٣ - وإما من الناحية السببية كعلم أسباب النزول.

٤ - أو من الناحية الموضوعية كالناسخ والمنسوخ، وإعجازه، والمحكم، والمتشابه، والمنطوق والمفهوم وغير ذلك.

٥ - أو من الناحية اللفظية كالقراءات والأحرف السبعة والتجويد والوقف والابتداء.

٦ - أو من الناحية التدوينية كرسم المصحف وغيره.

فحق لهذا البحث أن يكون أول ما يدرس من علوم القرآن بعد معرفة طريق نزوله وهو الوحي.

نزول القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم آيات ورد فيها النص على نزول القرآن الكريم:

١ ـ فمنها ما يدل على نزول القرآن الكريم جملة واحدة:

١ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[1].

٢ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾[2].

٣ ـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[3].

٢ ـ ومنها ما يدل على نزوله مفرقاً.

١ ـ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ⑩⑥﴾[4].

٢ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ③②﴾[5].

أقوال العلماء في نزول القرآن الكريم:

ولتنوع دلالة هذه الآيات فإن للعلماء في نزول القرآن الكريم أقوال:

الأول: أن للقرآن الكريم نزولين: الأول جملة والثاني منجماً:

النزول الأول: من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا. وعلى هذا النزول تحمل الآيات التي تدل على نزوله جملة واحدة وهي:

١ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾[6].

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣.
(٢) سورة القدر: الآية ١.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٤) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٣٢.
(٦) سورة القدر: الآية ١.

٢ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[١].

٢ ـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٢].

والنزول الثاني: من بيت العزة في السماء الدنيا إلى الرسول ﷺ. وعلى هذا تحمل الآيات التي تدل على نزوله منجماً وهي:

١ ـ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[٣].

٢ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[٤].

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١ ـ أن عطية بن الأسود سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «إنه قد وقع في قلبي الشك في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٥] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾[٦] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٧] وقد أنزل في شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول فقال ابن عباس رضي الله عنهما إنه أنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام»[٨].

٢ ـ ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فُصِلَ القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي ﷺ ويرتله ترتيلاً[٩].

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٣٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٦) سورة القدر: الآية ١.
(٧) سورة الدخان: الآية ٣.
(٨) الأسماء والصفات البيهقي ص٢٣٦، والطبري في تفسيره ج:٣ ص:٤٤٨، وقال ابن كثير في تفسيره ج:١ ص:٢٣١ رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه.
(٩) المستدرك: الحاكم ج:٢ ص:٢٢٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٣ ـ وما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه، أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه»[١].

٤ ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[٢] قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله ﷺ بعضه في إثر بعض..»[٣].

٥ ـ وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة وقرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾[٤] ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾[٥]»[٦].

٦ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا جملة ثم أنزل نجوماً»[٧].

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، جـ:٢ ص:٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة القدر: الآية ١.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة، جـ:٧ ص:١٣١ ورواه الحاكم في مستدركه جـ:٢ ص:٢٢٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

(٦) رواه البيهقي في الدلائل، جـ:٧ ص:١٣٢ وأبو عبيد في فضائل القرآن، جـ:٢ ص:٢٠٢، والحاكم في مستدركه جـ:٢ ص:٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير، جـ:١١ ص:٣١٢ برقم ١١٨٣٩ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ:٧ ص:١٤٠: «فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

فهذه الأحاديث كلها موقوفة على ابن عباس وأغلب أسانيدها صحيحة.

القول الثاني: وقال به الشعبي[١] ومحمد بن إسحاق[٢] وهو أن للقرآن الكريم نزولاً واحداً بدأ في ليلة القدر وهي ليلة مباركة في شهر رمضان وعلى هذا تدل الآيات الثلاث: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾[٥] ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة فليس للقرآن إلا نزول واحد منجم على الرسول ﷺ.

القول الثالث: أن للقرآن الكريم نزولين منجمين.

الأول: من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا وذلك في ثلاث وعشرين ليلة قدر ينزل في كل ليلة ما سينزل في عامها.

الثاني: من بيت العزة في السماء الدنيا إلى الرسول ﷺ وذلك في ثلاث وعشرين سنة.

وقد قلل بعض الباحثين المعاصرين من هذا القول وقلده آخرون وزعم أنه لا دليل عليه والحق أن هذا القول لعدد من العلماء المعتبرين كالفخر الرازي الذي توقف في الترجيح بينه وبين القول الأول بل أوجب التوقف[٦] وقال بهذا القول أيضاً مقاتل بن حيان[٧] وابن جريج[٨].

---

(١) النكت والعيون: الماوردي، ج:٦ ص:٣١٢ والإتقان: السيوطي ج:١ ص:٥٤.
(٢) تفسير الرازي: ج:٥ ص:٨٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٤) سورة الدخان: الآية ٣.
(٥) سورة القدر: الآية ١.
(٦) تفسير الرازي، ج:٥ ص:٨٥.
(٧) تفسير القرطبي: ج:٢ ص:٢٩٧ والوسيط: الواحدي ج:٤ ص:٥٣٢.
(٨) تفسير الطبري: ج:٣ ص:٤٤٧.

وقال الحليمي في المنهاج: «أن جبريل كان ينزل منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى السماء الدنيا قدر ما ينزل به على النبي ﷺ في تلك السنة إلى ليلة القدر التي تليها إلى أن أنزله كله في عشرين ليلة من عشرين سنة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا»[1].

القول الرابع: ما رواه الماوردي[2] وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما[3] أنه قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام».

وقد استغرب بعض العلماء هذا القول وأنكره فقال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة وهذا أيضاً غريب»[4] بل احتد ابن العربي رحمه الله تعالى فقال: «ومن جهالة المفسرين أنهم قالوا: إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل إلى محمد عليهما السلام في عشرين سنة. وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة»[5].

وأما أبو شامة المقدسي فقد وصف ما حكاه الماوردي بقوله: «وكأنه قول ثالث غير القولين المقدمين أو أراد الجمع بينهما فإن قوله نزل جملة

---

(١) فتح الباري: ابن حجر، ج:٨ ص: ٦٢٠.

(٢) النكت والعيون: الماوردي، ج:٦ ص:٣١١.

(٣) الإتقان: السيوطي: ج:١ ص:٥٤.

(٤) فتح الباري: ابن حجر، ج:٨ ص:٦٢٠ ـ ٦٢١.

(٥) أحكام القرآن: ابن العربي، ج:٤ ص:١٩٤٩ ـ ١٩٥٠.

واحدة هو القول الأول، وقوله: فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة. هو القول الثاني. كأنه فسر قول من قال: نزل في عشرين ليلة بأن المراد بهذا الإنزال تنجيم السفرة ذلك على جبريل» إلى أن قال عن هذا القول: أنه بعيد مع ما قد صح من الآثار عن ابن عباس أنه نزل جملة إلى سماء الدنيا[١].

القول الراجح:

هو القول الأول أن للقرآن الكريم نزولين الأول من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة في ليلة واحدة هي ليلة القدر وهي ليلة مباركة في شهر رمضان. والنزول الثاني من بيت العزة في السماء الدنيا إلى الرسول ﷺ في ثلاث وعشرين سنة.

قال ابن حجر عن هذا القول «هو الصحيح المعتمد»[٢] بل حكى القرطبي الإجماع على أن القرآن أنزل جملة واحدة[٣].

وقال في موضع آخر: لا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر ـ على ما بيناه ـ جملة واحدة فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم كان جبريل ﷺ ينزل به نجماً نجماً في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة»[٤]. ووصف السيوطي هذا القول بأنه (الأصح الأشهر)[٥].

(قلت): وتشهد لصحة هذا القول الأحاديث المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما وهي كلها صحيحة كما قال السيوطي ولا أثر لكونها

---

(١) المرشد الوجيز: أبو شامة المقدسي، ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، ج:٨ ص:٦٢٠.

(٣) تفسير القرطبي: ج:٢ ص:٢٩٨.

(٤) تفسير القرطبي: ج:٢ ص:٢٩٧.

(٥) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٥٣.

موقوفة على ابن عباس لأن قول الصحابي في الأمور الغيبية التي لا مجال للاجتهاد فيها له حكم الرفع قال ابن حجر رحمه الله تعالى «والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا منقولاً عن لسان العرب فحكمه الرفع، وإلا فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن والبعث وصفه الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها، فيحكم لها بالرفع» ثم قال: «وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري وأبي جعفر الطحاوي وابن مردويه في تفسيره المسند والبيهقي وابن عبد البر وآخرين إلا أنه يستثني من ذلك إذا كان المفسر له من الصحابة ممن عرف بالنظر في الإسرائيليات كمسلمة أهل الكتاب»[1].

وإذا كان الرأي الراجح أن للقرآن الكريم نزولين فلنفصل القول في كل نزول على حِدَة.

النزول الأول: نزول القرآن الكريم جملة:

كيفيته:

من المعلوم أن هذا من الأمور الغيبية التي لا يجوز القول فيها إلا بدليل من الكتاب أو السنة ولا نعرف نصاً خاصاً في كيفية هذا النزول وإنما وردت النصوص العامة في بيان كيفية وحي الله إلى ملائكته وقد سبق بيانها في مبحث الوحي.

ومع هذا فقد نقل أبو شامة المقدسي عن بعض التفاسير كيفية ذلك فقال: ورأيت في بعض التفاسير. قال: وقال جماعة من العلماء: نزل

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح: ابن حجر، ج:٢ ص:٥٣٠، وانظر نزهة النظر: له أيضاً، ص:٤٣.

القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزة فحفظه جبريل عليه السلام وغشي على أهل السموات من هيبة كلام الله فمرَّ بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾[1] يعني القرآن، وهو معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[2] فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه جبريل على السفرة الكتبة يعني الملائكة وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾[3] ثم قال أبو شامة: «نقلته من كتاب «شفاء القلوب» وهو تفسير علي بن سهل النيسابوري»[4].

دليله:

أما الدليل على نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا فمن القرآن:

أ - قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[5].

ب - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[6].

ج - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾[7].

والمراد بالنزول في هذه الآيات كما مرَّ بنا نزول القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا. ومن السنة الأحاديث المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سبق بيانها.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٣.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٣.
(٣) سورة عبس: الآيتين ١٥ - ١٦،.
(٤) المرشد الوجيز: أبو شامة المقدسي، ص:٢٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٦) سورة الدخان: الآية ٣.
(٧) سورة القدر: الآية ١.

واسطته:

وهذا أيضاً من الأمور الغيبية التي لم أجد نصاً صحيحاً صريحاً في بيانها ومن المعلوم أن جبريل عليه السلام هو الملك الموكل بالوحي كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[2].

وقد مر بنا قول ابن العربي «ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد عليهما السلام واسطة»[3] والله أعلم.

مدته:

أما المدة التي تم فيها النزول الأول نزول القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا فهي ليلة واحدة هي ليلة القدر وهي ليلة مباركة من شهر رمضان قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾[4] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[5] وقال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[6].

وليس هناك دليل صحيح على تحديد وقت هذه الليلة غير أنها ليلة القدر في شهر رمضان من غير تحديد للعام الذي كانت فيه هل كانت قبل ظهور نبوة محمد ﷺ أم بعدها ومع هذا فقد قال أبو شامة (الظاهر أنه قبلها وكلاهما محتمل)[7] وخالفه السيوطي وقال: (الظاهر هو الثاني وسياق الآثار

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٣) أحكام القرآن: ابن العربي، ج:٤ ص:١٩٥٠.

(٤) سورة القدر: الآية ١.

(٥) سورة الدخان: الآية ٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٧) المرشد الوجيز: أبو شامة المقدسي، ص:٢٥.

السابقة عن ابن عباس صريح فيه)[1].

(قلت): سياق الآثار المذكورة لا يدل على ذلك ولو من بعيد فضلاً عن أن تكون صريحة فيه.

حكمته:

ولنزول القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا حكم عديدة منها ما ذكره أبو شامة المقدسي بقوله: «فإن قلت: ما السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا؟ قلت: فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهما منجماً بحسب الوقائع لهبط به[2] إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ولكن الله تعالى باين بينه وبينها فجمع له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقاً وهذا من جملة ما شرف به نبينا ﷺ»[3].

وقال السخاوي: فإن قيل: ما في إنزاله جملة إلى سماء الدنيا؟ قلت: في ذلك تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله عز وجل بهم ورحمته لهم. ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة لما أنزل سورة الأنعام أن تزفها[4] وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة عليهم السلام وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له.

---

(١) الإتقان: السيوطي، ج:١ ص:٥٢.

(٢) في المرشد الوجيز (لم نهبط به) وقد صححتها من الإتقان ج:١ ص:٥٤ الذي نقل عبارة أبي شامة.

(٣) المرشد الوجيز: أبو شامة، ص: ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) انظر المعجم الكبير: الطبراني، ج:١٢ ص:١٦٦، رقم ١٢٩٣٠ وسيأتي تخريجه.

وفيه أيضاً: إعلام عباده من الملائكة وغيرهم أنه علام الغيوب لا يعزب عنه شيء، إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها.

وفيه أيضاً: التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجماً ليحفظه، قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ⑥﴾[2].

وفيه أيضاً: «أن جناب العزة عظيم ففي إنزاله جملة واحدة وإنزال الملائكة له مفرقاً بحسب الوقائع، ما يوقع في النفوس تعظيم شأن الربوبية»[3].

(قلت): وبهذا يظهر أن لنزول القرآن الكريم جملة واحدة حكماً عديدة منها:

١ ـ تعظيم شأن القرآن الكريم وتفخيم أمره.

٢ ـ تعظيم شأن الرسول ﷺ وتشريفه وتفضيله.

٣ ـ تكريم أمة محمد ﷺ وتعريف الملائكة بفضلها ومكانتها.

٤ ـ إعلام أهل السموات أن هذا آخر الكتب المنزل على خاتم الأنبياء.

٥ ـ إعلام الملائكة وغيرهم بأن الله يعلم ما كان وما سيكون وأنه علام الغيوب ففي القرآن ذكر للأشياء قبل وقوعها وبيان لأحداث قبل حدوثها.

٦ ـ بيان منزلة محمد ﷺ وفضله على سائر الأنبياء عليهم السلام.

(فإن قلت) وما أثر بيان عظمة القرآن ومكانة الرسول ﷺ وأمته عند الملائكة وما فائدة ذلك؟

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأعلى: الآية ٦.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء: السخاوي، ج:١ ص:٢٠ ـ ٢١.

(قلت): إن المسلم ليفرح فرحاً شديداً بدعوة أخيه المسلم الصالحة وتعظم مكانتها بقدر صلاح الداعي واستقامته فإذا كانت الدعوة ممن لم يعص الله طرفة عين وهم الملائكة كانت من أفضل الدعاء وأحراها بالإجابة.

والملائكة يصلون على النبي ﷺ ويستغفرون لأمة محمد ﷺ ويدعون لهم ويحضرون مجالس الذكر ويكثرون في الأزمنة والأماكن الفاضلة وحضورهم كله خير ودعاؤهم حري بالإجابة فعلمهم بمنزلة الرسول ﷺ ومكانة أمته وعظمة كتابه من أسباب إكثارهم ومداومتهم على ذلك. واختصاصهم بزيادة الدعاء والله أعلم.

اختصاص القرآن الكريم بالنزول الأول:

وهو النزول من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وذلك أن الكتب السابقة كانت تنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى الأنبياء إلا القرآن الكريم، والله أعلم.

النزول الثاني: نزول القرآن الكريم منجماً:

كيفيته:

سبق في مبحث (الوحي) بيان كيفية وحي الملك إلى الأنبياء عليهم السلام وأنواعه وأن القرآن كله نزل بالوحي الجلي ولم ينزل منه شيء بالمنام أو الإلهام أو التكليم بلا واسطة.

واسطته:

والقرآن كله نزل بواسطة جبريل عليه السلام، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1] وقال عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[2].

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٢.

دليله:

من الأدلة على نزول القرآن الكريم منجماً:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾[1].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾[2].

٣ ـ ما هو معلوم بالضرورة من سيرة الرسول ﷺ من نزول القرآن عليه مفرقاً من بعثته إلى وفاته عليه الصلاة والسلام.

مقدار ما ينزل في كل مرة:

ليس هناك مقدار ثابت لما ينزل من القرآن الكريم في كل مرة ونفصل الحديث على النحو التالي:

١ ـ الآيات.

٢ ـ قصار السور.

٣ ـ طوال السور.

أما بالنسبة للآيات فقد ينزل خمس آيات أو أكثر أو أقل بل قد ينزل بعض آية كقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[3][4] وكقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾[5] ولعل غالب ما ينزل خمس آيات وعشر آيات لما

---

(١) سورة الإسراء: الآية١٠٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٤) انظر صحيح البخاري ج:٢ ص:٢٣١ وصحيح مسلم ج:٢ ص:٧٦٧.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٥.

رواه أبو نضرة قال: كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات[1] وما رواه أبو خلدة عن أبي العالية قال: قال عمر رضي الله عنه: تعلموا القرآن خمساً خمساً فإن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً[2] وقال أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً[3].

أما قصار السور فمنها ما كان ينزل جملة واحدة كالفاتحة والمعوذات ومنها ما ينزل مفرقاً كسورة العلق والمدثر والضحى.

وأما السبع الطوال فلم ينزل منها سورة جملة واحدة إلا سورة الأنعام كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح»[4].

مدته:

اختلف في مدة نزول القرآن منجماً على الرسول ﷺ تبعاً للاختلاف في مدة بعثة الرسول ﷺ وهو في مكة فقيل عشرين سنة وقيل ثلاث وعشرين سنة وقيل خمس وعشرين سنة.

فمن المعلوم أن مدة الوحي بالرؤيا الصالحة كانت ستة أشهر ثم فتر

---

(١) رواه ابن عساكر، انظر الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٥٧.

(٢) شعب الإيمان: البيهقي ج:٤ ص:٥١٣.

(٣) المرجع السابق: ج:٤ ص:٥١٢.

(٤) المعجم الكبير: الطبراني ج:١٢ ص:١٦٦ رقم ١٢٩٣ وقال محققه الأستاذ حمدي عبد المجيد السلفي في سنده علي بن زيد وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن، ص:١٢٩ وفضائل القرآن: ابن الضريس، ص٩٤ والإتقان للسيوطي ج:١ ص:٥٠.

الوحي في سنتين ونصف قال السهيلي رحمه الله تعالى: «جاء في بعض الروايات المسندة أن مدة الفترة سنتان ونصف، وفي رواية أخرى أن مدة الرؤيا ستة أشهر، فمن قال مكث عشر سنين حذف مدة الرؤيا والفترة ومن قال ثلاث عشرة أضافهما»(١).

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين»(٢).

وروى عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: «لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً»(٣) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وهذا ظاهره أنه ﷺ عاش ستين سنة إذا انضم إلى المشهور أنه بعث على رأس الأربعين لكن يمكن أن يكون الراوي ألغى الكسر» ثم قال: «ويمكن أن يجمع بينه وبين المشهور بوجه آخر وهو أنه بعث على رأس الأربعين فكانت مدة وحي المنام ستة أشهر إلى أن نزل عليه الملك في شهر رمضان من غير فترة، ثم فتر الوحي، ثم تواتر وتتابع فكانت مدة تواتره وتتابعه بمكة عشر سنين من غير فترة»(٤).

وعلى هذا يظهر أن القول أن مدة النزول عشرون عاماً أو ثلاثة وعشرون عاماً كالقول الواحد وهو الصواب والله أعلم.

---

(١) فتح الباري: ابن حجر، ج:١ ص:٣٧.
(٢) صحيح البخاري، ج:٤ ص:٢٥٣.
(٣) صحيح البخاري: ج:٦ ص:٩٦.
(٤) فتح الباري: ابن حجر، ج:٨ ص:٦٢٠.

الحكمة في نزول القرآن الكريم منجماً:

ولنزول القرآن منجماً حكم عديدة وفوائد كثيرة منها:

أولاً: تثبيت قلب الرسول ﷺ[1]:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[2].

حين بعث الله عز شأنه عبده ورسوله محمداً ﷺ بعثه في أمة صلبة كصلابة أرضها، قاسية كقسوتها، شامخة كشموخ جبالها، بعثه لهذه الأمة ليس لأمر تافه، أو شأن حقير، بل في شأن عظيم وأمر خطير، بعثه ليسفه أحلامها ويحطم أوثانها، ويهدم أصنامها، وهي أعز ما يملكون وأقدس ما يعتقدون. ومن ذا الذي يجرؤ على بعض هذا فضلاً عنه كله وأكثر منه.

تصدى محمد بن عبد الله ﷺ لهذه المهمة فكان أصلب منهم وأقوى، وأحكم منهم وأهدى، جمع بين الصلابة والهدى، والقوة والحكمة حتى اشتكوه إلى عمه أبي طالب الذي قال له: يا ابن أخي إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم فانته عن ذلك قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: **ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة (يعني الشمس)»**[3].

نعم إنها قوة إيمان، وصلابة عقيدة، وهذه القوة وتلك الصلابة بحاجة إلى من يسوسها ويدعمها، ويرعاها ويحفظها، حتى لا تضعف أمام التيارات العاصفة أو تنهار أمام الضربات المتتابعة فتعهدها الله القوي الحكيم بقوته

---

(١) في هذا الموضوع كتب الشيخ عبد الرحمن هوساوي رسالته للماجستير وعنوانها (منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه) وطبعت في مجلد سنة ١٤١٣هـ.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٣) قال الألباني: في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث (٩٢) (إسناده حسن) وقال: وأما حديث «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، فليس له إسناد ثابت ولذلك أوردته في الأحاديث الضعيفة.

وحكمته وكان في إنزال القرآن منجماً دعماً لتلك القوة، وتثبيتاً لتلك الصلابة، وترسيخاً لتلك الحكمة.. ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1].

والأنبياء عليهم السلام كلهم بشر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[2] يأكلون كما نأكل ويمشون في الأسواق كما يمشي البشر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[3] ويتزوجون ويولد لهم ذرية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[4] ويعتريهم ما يعتري البشر، من الخوف، والحزن والهم، والفرح والسرور، والضحك، والبكاء ونحو ذلك وهم بحاجة إلى من يواسيهم، ويثبتهم.

وكان لتثبيت قلب الرسول ﷺ صور متعددة منها:

١ ـ إخباره أن ما جرى له من الأذى والتكذيب قد جرى للأنبياء السابقين من قبله ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾[5] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[6] ومن طبيعة البشر أن المصيبة تخف إذا كانت عامة وتكون أشد إذا كانت خاصة هذا في الدنيا دون الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾[7].

وإعلام الله تعالى لنبيه ﷺ بأن ما جرى له قد جرى للأنبياء السابقين من أسباب تثبيت قلبه وتجدد عزمه.

٢ ـ أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالصبر:

فمن المعهود أن الإنسان إذا أصابته مصيبة وكان بجانبه أحد أصحابه

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٢.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٩.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٠.
(٤) سورة الرعد: الآية ٣٨.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٣٤.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.
(٧) سورة الزخرف: الآية ٣٩.

يربت على كتفه ويأمره بالصبر والاحتساب ويواسيه ويسليه أن هذا من أقوى الأسباب لسلوانه.

فأمر الله عز وجل لنبيه ﷺ بالصبر من أقوى الأسباب لتثبيت قلبه سيما أن الأمر بالصبر كان مقترناً أحياناً بإخباره أن ما جرى له قد جرى للأنبياء السابقين وأنهم صبروا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[1] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2].

٣ ـ نهيه عن الحزن والضيق:

وذلك أن حبس النفس بالحزن والتضييق عليها بالهم من أقوى الدواعي لفتورها ويأسها فنهى الله نبيه عن الحزن والضيق من مكرهم وما يلاقيه من أذاهم ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[4] وقال سبحانه: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾[5] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾[6].

ولا شك أن للحزن تأثيراً على صاحبه ولو كان صابراً فيعقوب عليه السلام حين فقد ابنه يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[7] وحين فقد ابنه الآخر قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[8] إلا أنه حزن وتأسف على يوسف ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ فكان أثر الحزن ﴿وَابْيَضَّتْ

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٤.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.
(٣) سورة النحل: الآية ١٢٧.
(٤) سورة النمل: الآية ٧٠.
(٥) سورة يس: الآية ٧٦.
(٦) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٧) سورة يوسف: الآية ١٨.
(٨) سورة يوسف: الآيتان ٨٣ ـ ٨٤.

عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1].

وبهذا ندرك الحكمة من نهي الرسول ﷺ عن الحزن والضيق مما يمكرون لما لهذا من أثر في إعاقة مسار الدعوة ولما في أمره بالصبر ونهيه عن الحزن من شد لأزره وتجديد لعزمه.

٤ ـ إخباره بأن الله يعصمه من الناس:

وذلك أنه إذا علم أن ما جرى له قد جرى للأنبياء السابقين من قبله وأنهم صبروا فوطن نفسه على الصبر واستمر في الدعوة ولم يُصِبْهُ الهم ولا الحزن لكنه يخشى أن يقتله قومه قبل أن يتم دعوته وهو الحريص عليهم الرحيم بهم فأخبره الله بالعصمة من ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] فكانت هذه البشرى من أعظم الدوافع إلى الاستمرار في الدعوة.

أرأيتم ذلك الرجل الذي يتردد في فعل أمر ما فيجد من يشجعه ويطمئنه بأنه لن يصيبه أي مكروه ولا ضرر وأنه سيكون معه ويأخذ بيده ويشد أزره ولا يزال به حتى يجد الطمأنينة فكيف إذا كانت البشرى من الله والعصمة من عنده عز شأنه.

ويجد الرسول ﷺ أثر هذه البشرى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ في كثير من الصور والمشاهد:

أ ـ حين اجتمع صناديد قريش وقبائل العرب عند بابه ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فخرج من بين صفوفهم وجعل فوق رؤوسهم التراب ولم يره أحد[3] ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

---

(١) سورة يوسف: الآيتان ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) سيرة ابن هشام، ج:١ ص:١٢٧ وتفسير ابن كثير ج:٣ ص:٦٢٠، ودلائل النبوة البيهقي، ج:٢ ص:٤٦٦ ـ ٤٧٠.

ب ـ ويذهب مع صاحبه إلى الغار ويمر به المشركون يبحثون عنهما حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال الرسول ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[1] ومع هذا القرب لم يرهما أحد ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

جـ ـ ويلحق بهما سراقة بن مالك ممتطياً جواده ومعه رمحه حتى إذا اقترب منهما ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين وعندما أخرجت يديها إذا لأثرهما عثان ساطع في السماء مثل الدخان فأدرك سراقة أنه منع عنهما[2] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

د ـ ويأكل ﷺ من شاة مسمومة أهدته إليه يهودية فيموت صاحبه وينجو من الموت[3] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

هـ ـ وحاول اليهود قتل النبي ﷺ بإلقاء حجر من جدار كان ﷺ جالساً تحته فجاءه الوحي بذلك فقام من مجلسه[4] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

والصور كثيرة والمشاهد عديدة لحفظ الله تعالى لنبيه من محاولات الاغتيال[5] ولا شك أن هذه البشرى[6] من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ ورؤية الرسول ﷺ لفشل هذه المحاولات من أقوى الدوافع للطمأنينة والاستمرار في الدعوة وتجدد العزم.

---

(١) صحيح البخاري، جـ:٤ ص:١٩٠.
(٢) انظر صحيح البخاري، جـ:٤ ص: ص:٢٥٧.
(٣) سنن أبي داود، جـ:٤ ص:١٧٣ ـ ١٧٥.
(٤) سيرة ابن هشام جـ:٣ ص:١٩٩ ـ ٢٠٠ والبداية والنهاية، ابن كثير، جـ:٤ ص:٧٥.
(٥) لمزيد من هذه الصور انظر كتاب «والله يعصمك من الناس» للأستاذ أحمد الجدع.
(٦) كانت ﴿والله يعصمك من الناس﴾ عند نزولها مجرد بشرى ثم أصبحت بشرى ومعجزة لثبوتها وعدم وقوع ما يخالفها وهي من الأخبار الغيبية المستقبلية.

٥ ـ تبشيره بالنصر والتمكين:

قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[1] وقال جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[3] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[4] وقال عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[5] ووعده سبحانه بالنصر ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾[6] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[7] وقد تحقق نصر الله فقد نصر عبده وأعز جنده ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾[8] السورة.

والوعد بالنصر والتمكين بعد الإخبار بالعصمة من أدعى الدواعي لتثبيت القلب وتجدد العزم.

تلكم بعض صور تثبيت قلب الرسول ﷺ وهي الحكمة الأولى من حكم نزول القرآن منجماً متتبعاً مسار الدعوة وسيرة الرسول ﷺ ينزل عليه بين حين وآخر ما يثبت قلبه ويجدد عزمه.

وقد أشار أبو شامة إلى هذه الحكمة من نزول القرآن منجماً فقال: «إن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه. ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك عليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢١.
(٢) سورة يوسف: الآية ٢١.
(٣) سورة المائدة: الآية ٥٦.
(٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.
(٥) سورة غافر: الآية ٥١.
(٦) سورة الفتح: الآية ٣.
(٧) سورة الروم: الآية ٤٧.
(٨) سورة النصر: الآية ١.

تقصر عنه العبارة. ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام عليه فيه»[1].

ثانياً: تيسير حفظه وفهمه:

من المعلوم أن الأمة التي بعث فيها الرسول ﷺ كانت أمية وكان الرسول ﷺ أمياً ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[2] وقال عن نبيه ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[3] وقال جل جلاله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[4].

وليس من السهل على الأمي وعلى الأميين تلقي كتابٍ كاملٍ دفعة واحدة بل الحكمة في التدرج في تنزيل القرآن والتدرج في تعليمهم إياه فكان ينزل كما مر بنا خمس آيات أو سورة سورة. وهذا ما يناسب أحوالهم ولو نزل عليهم جملة واحدة لشق عليهم حفظه وفهمه فضلاً عن العمل به قال أبو شامة المقدسي رحمه الله تعالى في بيان هذه الحكمة «وكان النبي ﷺ أمياً لا يكتب ولا يقرأ ففرق عليه القرآن ليتيسر عليه حفظه، ولو نزل جملة لتعذر عليه حفظه في وقت واحد على ما أجرى الله تعالى به عوائد خلقه، والتوراة نزلت على موسى عليه السلام مكتوبة وكان كاتباً قارئاً وكذا كان غيره والله أعلم».

ثم أورد سؤالاً وأجاب عليه فقال: «فإن قلت: كان في القدرة إذ أنزله جملة أن يسهل عليه حفظه دفعة واحدة. قلت: ما كل ممكن في القدرة بلازم وقوعه، فقد كان في قدرته تعالى أن يعلمه الكتابة والقراءة في

---

(١) المرشد الوجيز: أبو شامة، ص:٢٧ ـ ٢٨.
(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

لحظة واحدة، وأن يلهمهم الإيمان به، ولكنه لم يفعل، ولا معترض عليه في حكمه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[1] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[2][3].

ثالثاً: مسايرة الحوادث:

فمن المعلوم أن عجلة الحياة تدور، والحوادث تتجدد، وتقع الوقائع، والمسلمون في معمعة هذه الأحداث ووسط هذه الوقائع بحاجة إلى من يرشدهم إلى الحق ويدلهم إلى الصواب.

فكان في نزول القرآن الكريم منجماً مسايرةً لهذه الحوادث والوقائع وعلاج لما يطرأ في حياة المسلمين من قضايا ومشاكل ولهذه الحوادث والوقائع صور متعددة نذكر منها[4]:

١ ـ الإجابة على ما يطرأ من أسئلة:

وهذه الأسئلة تقع من الكفار والمشركين للتثبت من رسالته وامتحانه أو لتعجيزه بزعمهم، وتقع من المسلمين لغرض معرفة الحق والعمل به.

وتكون هذه الأسئلة أيضاً عن أمور ماضية وأحداث سابقة أو حاضرة أو مستقبلة.

فمن الأسئلة عن أمور ماضية ما روي أن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله: سلوا محمداً عن الروح، وعن فتية فقدوا في أول الزمان وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها، فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي، وإن لم يجب في ذلك كله فليس بنبي وإن أجاب

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٣) المرشد الوجيز: أبو شامة المقدسي، ص٢٨ ـ ٢٩.

(٤) انظر مناهل العرفان: الزرقاني، جـ:١ ص:٥١ ـ ٥٣.

في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي فسألوه عنها، فأنزل الله تعالى في شأن الفتية ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾[1] إلى آخر القصة؛ وأنزل في الرجل الذي بلغ شرق الأرض وغربها ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ﴾[2] إلى آخر القصة وأنزل في الروح قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[3] [4].

وقد تكون الأسئلة عن أمور حاضرة ومشاهدة كقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾[5] وقوله سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[6] وقوله سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[7] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[8] وقوله عز وجل: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾[9] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[10] وغير ذلك من الأسئلة.

وقد تكون الأسئلة عن أمور مستقبلة كقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾[11] وقوله جل جلاله: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾[12].

وفي نزول القرآن منجماً تتبع لتلك الأسئلة وما يجد منها والإجابة عليها في حينها.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٩.
(٢) سورة الكهف: الآية ٨٣.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٥.
(٤) أسباب النزول: الواحدي. تحقيق عصام الحميدان، ص٢٩٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٩.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٥.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢١٧.
(٨) سورة البقرة: الآية ٢١٩.
(٩) سورة البقرة: الآية ٢٢٠.
(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.
(١١) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.
(١٢) سورة طه: الآية ١٠٥.

٢ ـ مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها:

وذلك أن الأقضية والأحداث لم تقع جملة واحدة وإنما حدثت متفرقة في أوقات مختلفة وأماكن متعددة فالمناسب أن ينزل القرآن كذلك منجماً مفرقاً في أوقات مختلفة وأماكن متعددة معالجاً لكل قضية في حينها فمن ذلك:

أ ـ حادثة الإفك وهي الحادثة التي رمى فيها نفر من المنافقين وتبعهم بعض المسلمين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه في القصة المشهورة فأنزل الله قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[(١)]... الآيات.

ب ـ وقصة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فشكت ذلك إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله، أبلى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(٢)(٣)].

٣ ـ تنبيه المسلمين إلى أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب والكمال:

وقد يقع ذلك من أحد أفراد الصحابة أو جماعة منهم أو من الرسول ﷺ. فيرشده ربه إلى الأكمل والأتم لمقامه ﷺ.

فهذا ثابت بن قيس رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[(٤)] قال: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي وأنا من أهل النار، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «هو من أهل الجنة»[(٥)].

---

(١) سورة النور: الآية ١١.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه جـ:٢ ص:٤٨١ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وانظر أسباب النزول: الواحدي. ص٤٠٨.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٢.

(٥) أسباب النزول: الواحدي. ص٣٨٦. وانظر صحيح البخاري، جـ:٦ ص:٤٦، وصحيح مسلم جـ:١ ص:١١٠.

ولما تزوج الرسول ﷺ زينب بن جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون قال: فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام. فلما قام قام من قام من القوم... فقعد ثلاثة وأن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس...»[1] فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾[2].

وقد يقع من الرسول ﷺ ما يوجهه الله بعده إلى ما فيه الخير والكمال كما وقع من الرسول ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم وهو يخاطب أحد عظماء المشركين قالت عائشة رضي الله عنها فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا. ففي هذا أنزلت عبس وتولى»[3].

٤ ـ كشف حال المنافقين وهتك أستارهم حتى يحذرهم المسلمون ويأمنوا مكرهم وشرهم.

وذلك أن ركب الدعوة جاد في سيره في مأمن من شر عدوه الظاهر لكن الخطر يكمن فيمن يندس بين المسلمين يخالطهم ويخالطونه، ويسمع حديثهم، ويعلم أسرارهم، ويكيد لهم وهم يحسبونه منهم فاقتضت حكمة الله تعالى أن يكون في نزول القرآن منجماً كشف لهؤلاء المنافقين وهتك لأستارهم وتشنيع عليهم.

فإذا نطق أحدهم قولاً مناوئاً للرسول ﷺ نزل فيه القرآن وكشف نفاقه حتى يحذره المسلمون ويرتدع.

---

(١) صحيح مسلم، ج:٢ ص:١٠٥٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٣) المستدرك: الحاكم. ج:٢ ص:٥١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

والآيات في هذا الموضوع كثيرة ففي أول سورة البقرة ثلاث عشرة آية متتالية في المنافقين.

وسورة التوبة تسمى (الفاضحة) كما روى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة. قال: التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها»[1].

ويريد ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «ومنهم ومنهم» الآيات الكثيرة في سورة التوبة التي تحدثت عن المنافقين كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[4] وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ﴾[5] وغير ذلك..

بل أنزل الله في المنافقين سورة كاملة سماها باسمهم سورة «المنافقون».

وفي نزول القرآن منجماً تتبع لهذه الحالات في المجتمع الإسلامي وتنقية لطريق الدعوة.

٥ ـ رد شبهات أهل الكتاب وإبطال كيدهم للإسلام والمسلمين:

فقد كان المسلمون يعيشون في المدينة ويخالطهم اليهود وهم أهل كيد ومكر وخبث وحقد على الإسلام والمسلمين بذلوا كل ما يستطيعون لبث الفرقة بين المسلمين وبث الشبهات والشكوك في عقائد الإسلام فكان

---

(١) صحيح البخاري. ج:٦ ص:٥٨ ومسلم ج:٤ ص:٢٣٢٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ٥٨.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦١.

(٥) سورة التوبة: الآية ٧٥.

في نزول القرآن منجماً تتبع لخططهم وكشف لمآربهم ومحق لشبهاتهم والآيات في هذا المعنى كثيرة كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾[1] وحذر المسلمين منهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[2] ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾[3] ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[4] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾[5] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[6] ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾[7] وغير ذلك من الآيات..

رابعاً: التدرج في التشريع وتربية الأمة:

لو تدبر الإنسان في نفسه لوجد أنه في كل شأن من شؤونه يبدأ من الأدنى إلى الأعلى بالتدرج فحين يولد أول ما يولد لا يستطيع أن يتحكم بحركات يديه ولا رجليه ثم يبدأ التحكم باليدين وهكذا إلى أن يبدأ بالقدرة على الجلوس ثم القيام ثم السير ثم الجري والقفز، وفي الأكل شرابه أول ما يشرب حليب أمه الخفيف ثم تزداد كثافته ويرتقي بالأكل من السوائل إلى اللحوم وغيرها. وفي نطقه يولد لا يحسن غير البكاء ثم التبسم ثم الصوت

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٢.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٥.
(٦) سورة آل عمران: الآية ١١٨.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١١٩.

غير المركب وهكذا إلى أن يصبح متكلماً وهكذا في التعلم وفي كل شأن من شؤونه.

والمجتمعات في رقيها تشبه إلى حد كبير حالة الأفراد ليس من السهل تحولها من حال إلى حال دون تدرج. وقد اقتضت حكمة الله تعالى مراعاة حال الأمة في قدرتها وطاقتها فجاءت الأحكام والتشريعات متدرجة حسب طاقة الأمة وما تقتضيه الحكمة الإلهية فجاء نزول القرآن الكريم منجماً مطابقاً تمام المطابقة لما فيه الحكمة.

وأخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن هذا حين قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً»[١].

فبدأ أولاً بتنقيتهم من أدران الشرك بنبذ الأوثان والأصنام وبيان أنها لا تضر ولا تنفع ثم غرس في قلوبهم العقيدة الصحيحة وهي توحيد الله وإفراده بالعبادة.

ثم تدرج في فرض العبادات فبدأ بأصلها وعمودها وهي الصلاة التي شرعت في وقت مبكر ثم الزكاة والصيام ثم الحج ونزل بعد ذلك مزيد تفصيل لهذه العبادات وغيرها من أنواع العبادة.

ولم يزل يتدرج بهم في معالي الأمور وسامي الآداب والأخلاق حتى أصبحت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس وحتى أصبح هذا القرن من أصحابه خير القرون.

خامساً: استمرار التحدي والإعجاز:

وتجدد ثبوت الإعجاز عند تجدد عجزهم عن الإتيان بمثل كل آية تنزل على مر الأيام والسنون مدة نزول القرآن.

---

(١) صحيح البخاري: جـ٦: ص:١٠١.

وذلك أن تكرر نزول القرآن مرات عديدة في أماكن مختلفة وأزمان متغايرة ومتباعدة مدة نزول القرآن وفي كل مرة يتحداهم أن يأتوا بمثله فهذا دليل على تكرر الإعجاز واستمرار التحدي ولو نزل القرآن جملة واحدة وتحداهم به عند النزول لكان التحدي وقع مرة واحدة والإعجاز كذلك. فكان في تنجيم نزوله وتكرره استمرار للتحدي وتكرار للإعجاز.

ولا شك أن الذي يستطيع تكرار عمل ما يعجز عنه الناس أقوى إعجازاً ممن يفعله مرة واحدة لا يعيدها أخرى.

سادساً: الدلالة على مصدر القرآن وأنه من الله تعالى وليس في قدرة البشر:

وقد أوضح الشيخ الزرقاني رحمه الله تعالى هذه الحكمة فقال: وبيان ذلك: أن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك، ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخره.

وهنا نتساءل: كيف اتسق للقرآن هذا التآلف المعجز؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ على حين أنه لم ينزل جملة واحدة، بل تنزل آحاداً مفرقة، تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين سنة.

الجواب: أننا نلمح هنا سراً جديداً من أسرار الإعجاز، ونشهد سمة فذة من سمات الربوبية، ونقرأ دليلاً ساطعاً على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديان ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1][2].

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) مناهل العرفان: الزرقاني. ج:١ ص:٥٣ ـ ٥٤.

وبين الأستاذ حيدر قفة هذا الوجه من الإعجاز فقال: «إن القرآن نزل منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة تقريباً وهذه مدة طويلة يعجز أي أديب أو كاتب أو بليغ أن يحتفظ بأسلوبه وبيانه، وخصائصه البلاغية والفنية هذه السنوات الطوال، ومهما كانت درجته ومقدرته البلاغية فلا بد أن نجد في أسلوبه اختلافاً ولو للأحسن والأرقى، مما يظهر الضعف والركاكة والإسفاف في بداية الأمر، والجزالة وحسن السبك في نهايته. فهل وجدوا ذلك في القرآن؟ حاشا لله وصدق الله العظيم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1][2].

ويتحدث الشيخ الزرقاني عن الانفصال الزماني واختلاف أسباب النزول لآيات القرآن اللذين يستلزمان في مجرى العادة التفكك والانحلال، ولا يدعان مجالاً للارتباط والاتصال بين نجوم الكلام أما القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضاً فقد نزل منجماً ولكنه تم مترابطاً محكماً ثم قال: «أليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنه كلام خالق القوى والقدر، ومالك الأسباب والمسببات، ومدبر الخلق والكائنات، وقيوم الأرض والسموات، العليم بما كان وما سيكون، الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شؤون.

ثم قال: «لاحظ فوق ما أسلفنا أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية أو آيات قال: ضعوها في مكان كذا من سورة كذا وهو بشر لا يدري (طبعاً) ما ستجيء به الأيام، ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان ولا يدرك ما سيحدث من الدواعي والأحداث فضلاً عما سينزل من الله فيها، وهكذا يمضي العمر الطويل والرسول على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن نجماً بعد نجم وإذا القرآن كله بعد هذا العمر الطويل يكمل ويتم، وينتظم ويتآخى، ويأتلف ويلتئم، ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت، بل

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) مع القرآن الكريم: حيدر قفة. ص:٥٥.

يعجز الخلق طراً بما فيه من انسجام ووحدة وترابط ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1][2].

الاستفادة من نزول القرآن الكريم منجماً في مجال التربية والتعليم:

ينبغي أن يستفاد في العملية التعليمية من منهج القرآن الكريم في تربية هذه الأمة وتهذيب أخلاقها وتصحيح معتقداتها وتحويلها من أمة الجهل والجاهلية إلى أمة الكتاب والقلم.

فقد كان الناس في غاية من الجهل والانحطاط في كثير[3] من شؤون حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فأنزل الله عليهم القرآن ولم يزل يرتقي بهم في سامي المبادئ وعالي الأخلاق حتى أصبحوا في أعلى الدرجات بل صاروا خير أمة أخرجت للناس بعدما كانوا ما كانوا.

وسلك القرآن الكريم في ذلك منهجاً فريداً، ومسلكاً حميداً فبدأ بتصحيح العقيدة وغرس المبادئ الصحيحة ثم تدرج في أحكام العبادات حتى تمامها وكمالها.

وفي التربية والتعليم ينبغي الاستفادة من هذا المنهج الحكيم فمن المعلوم أن العملية التربوية تقوم عل أمرين أساسيين[4]:

الأول: معرفة المستوى الذهني للطلاب:

فلا بد قبل التعليم من معرفة المستوى الذهني لديهم حيث يكون نقطة الانطلاق بهم وأعطاءهم ما يتناسب مع قدراتهم الذهنية وطاقاتهم الفكرية.

---

(١) سورة هود: الآية ١.

(٢) مناهل العرفان: الزرقاني ج:١ ص:٥٤ ت٥٥.

(٣) نعم كان عندهم بعض العادات الحميدة والأخلاق الفاضلة لكنها تضمحل في صور الجاهلية.

(٤) انظر مباحث في علوم القرآن: مناع القطان. ص:١١٦ ـ ١١٧.

فإنهم إن أُعطُوا أقل من مستواهم الذهني ملوه وهجروه وإن أعطوا ما هو فوق مستوى إدراكهم وفهمهم عجزوا عنه ونفروا منه.

الثاني: تنمية قدراتهم:

أ ـ الذهنية　　　ب ـ النفسية　　　ج ـ الجسمية.

فإذا عرف مستواهم الذهني وما يناسبهم من المادة العلمية بدأ التدرج في تلقينهم وتعليمهم ما يراد تعليمه مراعياً النواحي الذهنية والجسمية والنفسية.

فالمنهج الدراسي الذي يوضع من غير معرفة للمستوى الذهني للطلاب ثم تنمية مداركهم العامة ببناء الجزئيات على الكليات والتفصيل بعد الإجمال منهج فاشل.

والكتاب المدرسي الذي لا يبنى على معرفة دقيقة لمستوى الطلاب الذهني وما سبق لهم من مادة علمية وما يحتاجون إليه بعدها وتتدرج المعلومات فيه من السهل إلى الصعب مع وضوح في الأسلوب، وبساطة في العبارة بعيدة عن التعقيد والغموض في الألفاظ كتاب لا يرجى نفعه.

والمدرس وهو العمود الأساس في العملية التعليمية إذا لم يدرك هذين الأمرين الأساسيين في العملية التعليمية إدراكاً تاماً، فيعرف مستوى طلابه الذهني ويضع ما يمدهم به من معلومات على قواعد وأسس المعلومات السابقة فإن بناءه سينهار ويسقط.

فعلى المعلم أن يدرك تماماً المستوى الذهني لطلابه ويمدهم بما يلائم قدراتهم الذهنية. ويخطئ من يعتقد أن مهمته التلقين أو حشو أذهانهم بالمادة العلمية فحسب بل عليه أن يراعي مع الناحية العلمية أيضاً الناحيتين الجسمية والنفسية فلا يستمر في شرح الدرس مثلاً والطلاب في حالة رعب أو فزع لأمر ما، أو حين يرى أحد طلابه في حالة نفسية تستدعي تدخله وعلاجه.

المعلم الناجح يراعي الناحية الجسمية للطلاب فيكتشف حالات من في بصره أو سمعه ضعف فيلتمس علاجه الطبي والفصلي بتقديمه إلى الصفوف الأولى وزيادة الاهتمام بما يناسب حالة ولا يؤثر على الآخرين.

المعلم الناجح يوازن بين الترغيب والترهيب فلا يقسو قسوة تنفر منه الطلاب، ولا يضعف حتى يصبح ألعوبة بين طلابه وتسقط هيبته واحترامه.

المعلم الناجح الذي يعرف كيف يعطي طلابه القدر المناسب من الواجبات المدرسية فلا يثقل كاهلهم بأدائها، ولا يشغل بقية نهارهم وليلهم في الحفظ أو الكتابة فهم بحاجة إلى الراحة.

المعلم الناجح هو الذي يستطيع المزج بين نظرة الأب لأبنائه ونظرة المعلم لطلابه فيتفقد شؤونهم ويلاطفهم ويعالج مشاكلهم فيشعرهم بعطفه ويظهر لهم محبته ويريهم حرصه على مصلحتهم.

ولنا في منهج القرآن الكريم في تربية الأمة والتدرج بها بلطف، ورحمة، وحكمة، أسوة حسنة.

أول ما نزل وآخر ما نزل

منذ أن نزل أول شعاع من نور القرآن الكريم والمسلمون يولونه عنايتهم واهتمامهم إلى يومنا هذا بل إلى يوم الدين، حتى بلغت عنايتهم أن عرفوا ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وما نزل بالطائف وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالحديبية وما نزل في الليل ومانزل بالنهار وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاءر وما نزل في السفر وما نزل في الحضر ومن ذلك معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل.

ومعرفة ذلك علم توقيفي يعتمد على النقل عن الصحابة أو التابعين ولا مجال للاجتهاد فيه إلا للترجيح بين الأدلة والنقول.

ويرجع الاختلاف في معرفة أول ما نزل ومعرفة آخر ما نزل إلى أن صاحب كل قول يخبر عن حد علمه أو عما بلغه من الدليل أو أنه أراد أولية مخصوصة ففهمت على غير ما أراد ونحو ذلك.

وبحث العلماء أول وآخر ما نزل من القرآن على الإطلاق وأول وآخر ما نزل في معاني خاصة كأول وآخر ما نزل في الأطعمة وأول وآخر ما نزل في الأشربة وأول وآخر ما نزل في الخمر وأول وآخر ما نزل في القتال وأول وآخر ما نزل في الربا وأول وآخر سورة نزلت كاملة وغير ذلك.

أقوال العلماء في أول ما نزل من القرآن على الإطلاق:

للعلماء في ذلك أقوال كثيرة منها:

القول الأول: إن أول ما نزل من القرآن (صدر سورة اقرأ).

وهو قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1] وهذا القول أصح الأقوال وأرجحها ومن أدلته:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: إقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: إقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾[1]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده... الحديث[2].

٢ ـ ما رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[3].

٣ ـ ما رواه الحاكم والطبراني عن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى الأشعري يقرئنا فيجلسنا حلقاً وعليه ثوبان أبيضان، فإذا تلا هذه السورة

---

(١) سورة العلق: الآيات ١ ـ ٥.

(٢) صحيح البخاري ج:١ ص:٣، ومسلم ج:١ ص:١٤١ واللفظ للبخاري.

(٣) المستدرك: الحاكم ج:٢ ص:٢٢٠ ـ ٢٢١ وص:٥٢٩ والبيهقي في دلائل النبوة: ج:٢ ص:١٥٥ وقال: هذا إسناد صحيح.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾. قال: هذه أول سورة نزلت على محمد ﷺ[1].

٤ ـ ما رواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن مجاهد قال: إن أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ و ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[2].

القول الثاني: أول ما نزل سورة المدثر:

ودليل هذا القول الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القران أُنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ. قال جابر: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري، نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثم نوديت. فنظرت فلم أر أحداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[3][4].

وأجيب عن هذا الحديث:

١ ـ أن المراد بالأولية في هذا الحديث محمول على أولية مخصوصة وليست أولية مطلقة[5] فيحتمل:

أ ـ أن المراد أول سورة نزلت بعد فترة الوحي ويشهد لهذا قول جابر في رواية أخرى «سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي... الحديث»[6].

---

(١) المستدرك: الحاكم ج:٢ ص: ٢٢٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال السيوطي في الإتقان ج:١ ص: ٣١ (أخرجه الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح).

(٢) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣١، فضائل القرآن لأبي عبيد ٢:١٩٩ رقم ٨١٠.

(٣) سورة المدثر: الآيات ١ ـ ٤.

(٤) رواه البخاري ج:٦ ص:٧٥ ومسلم ج:١ ص:١٤٤ واللفظ له.

(٥) فتح الباري: ابن حجر ج:٨ ص:٥٤٦.

(٦) رواه البخاري: ج:٦ ص:٧٥.

ب ـ أن أول ما نزل للنبوة سورة اقرأ وللرسالة سورة المدثر.

جـ ـ أن المدثر أول سورة كمل نزولها أي أن باقيها نزل قبل نزول بقية سورة اقرأ وغيرها.

د ـ أن سورة المدثر أول سورة تنزل لسبب خاص حيث إن الرسول ﷺ، قال: دثروني دثروني فنزلت، أما سورة اقرأ فلغير سبب خاص بل نزلت ابتداء[1]. قال ابن حجر: «ولا يخفى بُعْدُ هذا الاحتمال»[2].

٢ ـ أن جابر رضي الله عنه استنبط هذا الرأي باجتهاده وفهمه وليس بنَصٍّ ما رواه عن الرسول ﷺ، فتقدم عليه رواية عائشة رضي الله عنها. قال الكرماني: استخرج جابر «أول ما نزل يأيها المدثر» باجتهاد وليس هو من روايته، والصحيح ما وقع في حديث عائشة[3].

ويشهد لهذا أن جابر رضي الله عنه اخبر عما سمع، ولم يسمع كُلَّ ما حَدَّثَ به رسولُ الله ﷺ قبل فترة الوحي الذي روته عائشة، فاقتصر على ما سمع ظاناً أنه ليس هناك غيره.

٣ ـ أن في حديث جابر رضي الله عنه ما يدل على أن الرسول ﷺ، رأى جبريل قبل ذلك حيث جاء في حديث جابر رضي الله عنه «فإذا هو على العرش» وإشارته إليه بالضمير تدل على أنه سبق ذكره وفي رواية أصرح» (فإذا الملك الذي جاءني بحراء..).

ولهذا فإن هذا الدليل غير كاف لإثبات أولية النزول لسورة المدثر بل وصف النووي رحمه الله تعالى القول بأن أول ما نزل سورة المدثر بأنه «ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ كما صرح به في حديث عائشة»[4].

---

(١) انظر الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٢.

(٢)(٣) فتح الباري: ابن حجر ج:٨ ص:٥٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم: النووي ج:٢ ص:٢٠٧.

القول الثالث: إن أول ما نزل سورة الفاتحة.

واستدل أصحاب هذا القول بـ:

١ ـ ما رواه البيهقي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر...» الحديث وفيه أن خديجة قالت لأبي بكر: أذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا إليه فقصا عليه فقال: «إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلقَ هارباً في الأرض فقال: لا تفعل، فإذا أتاك فأثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين» الحديث[1].

وقد زعم الزمخشري أن «أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم»[2] ورد عليه ابن حجر: «والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول»[3] ويعني بالأول صدر سورة إقرأ.

ويرد على أصحاب هذا القول بردود منها:

أ ـ أن هذا الحديث لا يدل على أن الفاتحة كانت أول ما نزل بل فيه دلاله على أن جبريل خاطب الرسول ﷺ غير مرة وليس فيه نفي بنزول شيء من القرآن في بعضها فلا يصح الاستدلال بهذا على الأولية.

ب ـ أن الحديث مرسل فلا يقوى على مناهضة حديث عائشة المرفوع

---

(١) دلائل النبوة: البيهقي ج:٢ ص:١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) تفسير الكشاف: الزمخشري ج:٤ ص:٢٢٣.

(٣) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٢، فتح الباري: ٨:٧١٤.

وقد عقب البيهقي على هذا الحديث بقوله: «فهذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ والله أعلم»[1].

وأورد ابن كثير حديث البيهقي ثم عقب عليه بقوله: «هذا لفظ البيهقي وهو مرسل، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل»[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم»[3].

القول الرابع: إن أول ما نزل «بسم الله الرحمن الرحيم».

ولأصحاب هذا القول أدلة منها:

١ ـ حديث أبي ميسرة السابق وقلنا إنه حديث مرسل لا يقوى على مناهضة المرفوع.

٢ ـ ما أخرجه الواحدي عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فهو أول ما نزل من القرآن بمكة وأول سورة اقرأ باسم ربك[4] وهو أيضاً حديث مرسل لا يقوى على مناهضة حديث عائشة المرفوع.

٣ ـ ما أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عن الضحاك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نزل جبريل على محمد. قال: «يا محمد استعذ، قل استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم» ثم قال: «قل» بسم الله الرحمن الرحيم» ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾» قال

---

(١) دلائل النبوة: البيهقي ج:٢ ص:١٥٩.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير ج:٣ ص:١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم: النووي ج:٢ ص:٢٠٨.

(٤) أسباب نزول القرآن: الواحدي ص:٨ تحقيق السيد أحمد صقر.

عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل»[1] قال ابن كثير: «وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً»[2].

«قلت» ومع ضعفه وانقطاعه فهو حجه عليهم لا لهم إذ أن ابن عباس رضي الله عنهما صرح فيه بأولية نزول اقرأ ولم يعتد بأولية ذكر البسملة.

ثم إن البسملة فاتحة لكل سورة تنزل فلا يعتد بأوليتها أولية مطلقة. وبهذا كله يظهر بطلان هذا القول.

وقد جمع القاضي أبو بكر في الانتصار ـ كما نقله عنه الزركشي ـ بين هذه الأقوال فقال:

وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة[3].

أقوال العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في آخر ما نزل من القرآن.

قال البيهقي رحمه الله تعالى في بيان سبب هذا الاختلاف: (قلت: هذا الاختلاف يرجع ـ والله أعلم ـ إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم، أو أراد أن ما ذكر من أواخر الآيات التي نزلت، والله أعلم)[4].

وقال القاضي أبو بكر: «هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وكل قاله بضرب من الاجتهاد، وغلبة الظن، ويحتمل أن كلاً

---

(١) تفسير الطبري: جـ:١ ص:١١٣.

(٢) تفسير ابن كثير: جـ:١ ص:١٦.

(٣) البرهان: الزركشي جـ:١ ص:٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٤) دلائل النبوة: البيهقي جـ:٧ ص:١٣٩.

منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ، في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو، ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب»[1].

وللعلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم كله أقوال منها:

القول الأول: روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما، أن آخر ما نزل آية الربا وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[2] ومن الأدلة على ذلك:

١ ـ ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في باب «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا»[3].

٢ ـ ما رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والبيهقي عن سعيد بن المسيب قال: قال عمر رضي الله عنه «إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا وأن رسول الله ﷺ قبض ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة»[4] وفي لفظ آخر «إن من آخر ما أنزل آية الربا..»[5].

---

(١) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٨.

(٣) صحيح البخاري: ج:٥ ص: ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٤) مسند الإمام أحمد: ج:١ ص:٣٦ سنن ابن ماجه: ج:٢ ص:٣٩. دلائل النبوة: البيهقي ج:٧ ص:١٣٨ وقال الأستاذ: محمود شاكر (وهذا الحديث على جلالة رواته وثقتهم ـ ضعيف الإسناد لانقطاعه فإن سعيد بن المسيب لم يسمعه من عمر. تفسير الطبري ج:٦ ص:٣٨ (الهامش).

(٥) مسند الإمام أحمد: ج:١ ص:٤٩ ـ ٥٠.

٣ ـ ما رواه ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولاً آية الربا»[١].

٤ ـ ما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن عن ابن شهاب الزهري قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين»[٢].

القول الثاني: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ الآية[٣] واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١ ـ ما رواه النسائي[٤] والبيهقي[٥] من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر شيء نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية ورواه الطبري بلفظ آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[٦].

٢ ـ ما أخرجه ابن مردويه[٧] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن على النبي ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

٣ ـ ما أخرجه ابن جرير الطبري عن الضحاك وعن ابن جريج كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾

---

(١) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٥، وقال الأستاذ محمود شاكر: (إسناده صحيح) تفسير الطبري ج:٦ ص:٣٩.
(٢) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨١.
(٤) تفسير ابن كثير ج:١ ص:٣٥٧ وقال الأستاذ محمود شاكر: «يريد بها السنن الكبرى» تفسير الطبري ج:٦ ص:٤٠ (الهامش).
(٥) دلائل النبوة: البيهقي ج:٧ ص:١٣٧.
(٦) تفسير الطبري ج:٦ ص:٤٠ وقال شاكر: وهذا إسناد صحيح.
(٧) الدر المنثور: ج:١ ص:٣٧٠ والإتقان: ج:١ ص:٣٦ وابن كثير ج:١ ص:٣٥٧.

الآية قال ابن جريج: يقولون إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليالٍ وبدئ يوم السبت ومات يوم الاثنين[١].

٤ ـ ما أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: آخر ما أنزل من القرآن كله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ الآية. وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتامن ربيع الأول[٢].

٥ ـ ما أخرجه الطبري عن عطية العوفي قال: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ الآية[٣].

٦ ـ ما أخرجه ابن جرير الطبري عن السدي الكبير قال: آخر آية نزلت ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[٤].

القول الثالث: إن آخر ما نزل من القرآن آية الدين وهي أطول آية في القرآن الكريم وأولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ...﴾ الآية[٥] واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١ ـ ما أخرجه أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين[٦].

٢ ـ ما أخرجه ابن جرير الطبري عن ابن شهاب قال: حدثني سعيد بن المسيب: أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين[٧].

---

(١) تفسير الطبري: ج:٦ ص:٤١ ومعنى (بدئ) يعني مرض.
(٢) الدر المنثور: ج:١ ص:٣٧٠ والإتقان: ج:١ ص:٣٦.
(٣) تفسير الطبري ج:٦ ص:٤٠ ـ ٤١ وفي سنده سهل بن عامر قال الأستاذ محمود شاكر ضعيف جداً ج:٦ ص:٤١ (الهامش).
(٤) تفسير الطبري ج:٦ ص:٤١.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٦) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٦.
(٧) تفسير الطبري ج:٢ ص:٤١. وقال الأستاذ محمود شاكر: (هذا إسناد صحيح إلى ابن المسيب ولكنه حديث ضعيف لإرساله إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به) ا.هـ.

الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة:

ومن ينظر إلى هذه الأقوال الثلاثة ويتدبرها يجد أنها بمثابة قول واحد ذلك:

١ ـ أن هذه الآيات آيات متتابعة في سورة البقرة من الآية ٢٧٨ إلى الآية ـ ٢٨٢ فالقول فيها بمثابة قول واحد فكل راوٍ يذكر بعض آخر ما نزل.

٢ ـ أن ابن عباس رضي الله عنهما روي عنه القول بأن آخر ما نزل آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ وروي عنه القول بأن آخر ما نزل آية الربا. والجمع بين القولين أولى من إبطال أحدهما.

٣ ـ أن البخاري رحمه الله تعالى أورد بدقته وثاقب نظره قول ابن عباس آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا «في باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فجعل بهذه الإشارة الموضوع واحداً والروايتين متحدتين غير متعارضتين رحمه الله[1].

ولهذا قال ابن حجر: «وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية يعني ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن»[2].

وقد جمع بينهما السيوطي فقال: (قلت: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا ـ واتقوا يوماً ـ وآية الدين ـ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح)[3].

وبهذا يظهر أن هذه الأقوال الثلاثة قول واحد وهو القول الصحيح.

---

(١) قاله الأستاذ أحمد شاكر تفسير الطبري ج:٦ ص:٤٠ الهامش.
(٢) فتح الباري: ابن حجر ج:٨ ص:٥٣.
(٣) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٦.

القول الرابع: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية[1].

واستدل أصحاب هذا القول بما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت يستفتونك[2].

ولمسلم عن البراء «آخر آية أنزلت آية الكلالة وآخر سورة أنزلت براءة» وفي لفظ آخر سورة أنزلت كاملة[3].

ويجاب عن هذا بحمل المراد على أنه آخر ما نزل في المواريث وليس آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق فهي آخرية مقيدة لا مطلقة.

وجمع ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ بين هذا القول والقول بأن آخر ما نزل آية الربا وآية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾.. الآية بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً بخلاف آية البقرة ويحتمل عكسه والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول[4].

القول الخامس: إن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[5].

واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ عن

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧٦.

(٢) صحيح البخاري ج:٨ ص:٥٣.

(٣) صحيح مسلم ج:٣ ص:١٢٣٦ ـ ١٢٣٧.

(٤) فتح الباري: ابن حجر ج:٨ ص:٥٣.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٣.

سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء[1].

(قلت): ويحمل قول ابن عباس رضي الله عنهما على أنه أراد بالآخرية آخر ما نزل في قتل النفس ويشهد لهذا المعنى قوله في الحديث (وما نسخها شيء) كما يشهد له الحديث الذي رواه مسلم عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا. قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية[2]. قال هذه آية مكية. نسختها آية مدنية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[3].

(قلت): فقوله عنها أنها آخر ما نزل يعني في هذا المعنى والله أعلم وقد أشكل هذا القول على السيوطي رحمه الله تعالى فعد هذا القول من غريب ما ورد[4].

القول السادس: إن آخر ما نزل الآيتان الأخيرتان من سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[5] ويشهد لهذا القول:

١- ما رواه الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال:

---

(١) صحيح البخاري: ج:٥ ص:١٨٢ واللفظ له ورواه مسلم ج:٤ ص:٢٣١٧.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٨.
(٣) صحيح مسلم: ج:٤ ص:٢٣١٨.
(٤) الإتقان: السيوطي: ج:١ ص:٣٧.
(٥) سورة التوبة: الآيتين ١٢٨ ـ ١٢٩.

آخر ما نزل من القرآن ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[١].

٢ ـ ما أخرجه ابن مردويه عن أبي أيضاً قال: آخر القران عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٢].

٣ ـ ما أخرجه أبو الشيخ[٣] في تفسيره من طريق علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٤].

(قلت): ويجاب عن هذا القول بأن يحمل المراد بالآخرية على آخر مانزل من سورة التوبة لا آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق ويشهد لهذا ما روي أن أبي بن كعب رضي الله عنه قال للذين يجمعون القرآن في عهد أبي بكر لما بلغوا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[٥]: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقال هذا آخر ما نزل من القرآن، قال: فختم بما فتح به بالله الذي لا إله إلا هو»[٦].

القول السابع: إن آخر ما نزل من القرآن كله قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[٧]

---

(١) المستدرك: جـ:٢ ص: ٣٣٨ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢) الإتقان: السيوطي، جـ:١ ص:٣٦.
(٣) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ ت ٣٦٩ وله كتاب (العظمة) مطبوع.
(٤) الإتقان: السيوطي جـ:١ ص:٣٦.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٢٧.
(٦) الإتقان: السيوطي جـ:١ ص:٣٦.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

واستدلوا بما أخرجه ابن مردوية عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: آخر آية نزلت هذه الآية ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى آخرها[1].

ويجاب عن هذا بأن المراد آخر ثلاث آيات ذكرت النساء فقد روي عنها رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء، فنزلت ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3] ونزلت هذه الآية[4] فلعلها أرادت إن هذه الآية آخر هذه الآيات نزولاً ولهذا قال السيوطي «فهي آخر الثلاثة نزولاً أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة».

القول الثامن: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية[5].

ودليل ذلك ما أخرجه الطبري رحمه الله تعالى عن عمرو بن قيس الكندي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وقال: إنها آخر آية أنزلت من القرآن»[6].

وقد ردَّ ابن كثير رحمه الله تعالى هذا القول بقوله: «وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهف كلها مكية، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله

---

(١) الدر المنثور: السيوطي ج:٢ ص:١١٢ والإتقان: ج:١ ص:٣٧.
(٢) سورة النساء: الآية ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٤) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٧.
(٥) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٦) تفسير الطبري ج:١٦ ص:٤٠ طبعة دار الفكر.

أعلم»[1] وقد عد السيوطي رحمه الله تعالى هذا القول من غريب ما ورد في ذلك[2].

(قلت): ولعل ابن كثير رحمه الله تعالى سها عن أن هذه الآية مما لا يدخله النسخ لأنها أمر بالعمل الصالح ونهي عن الشرك ومثل هذا لا يمكن أن يدخله نسخ فلا يصح أن يحمل قصد معاوية رضي الله عنه على أنها لم تنسخ بل يحمل على أنه أراد أنها آخر آية في سورة الكهف كما مر بنا في آخر سورة التوبة والله أعلم.

هذه هي أهم الأقوال الواردة في آخر ما نزل من القرآن وهناك أقوال أخرى يوردها كثير من المهتمين في هذا المبحث مع أنها لا تدخل هنا وإنما في مبحث أوائل وأواخر مخصوصة.

إشكال ودفعه:

قد يشكل فهم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3].

فإن لم تكن هذه الآية هي آخر ما نزل بل نزل بعدها آيات فكيف يقول اليوم أكملت لكم دينكم؟

والجواب: أن هذه الآية نزلت على الرسول ﷺ وهو يخطب في يوم عرفة في حجة الوداع في السنة العاشرة وبالتحديد ظهر يوم الجمعة ٩/١٢/١٠هـ وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام توفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ١١هـ فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وفاته ﷺ بنحو واحد وثمانين يوماً وقد مر بنا أنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى

(١) تفسير ابن كثير: ج:٣ ص:١٢٢.
(٢) الإتقان: السيوطي ج:١ ص:٣٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

ٱللَّهِ ﴾[1] قد نزلت قبل وفاته عليه الصلاة والسلام بتسع ليالٍ، وبهذا يظهر أن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية[2]، ليس إكمال نزول القرآن أو أنَّ هذه الآية هي آخر ما نزل منه وقد بين العلماء المراد بإكمال الدين فمن ذلك:

١ ـ ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وهو الإسلام قال: أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله عز ذكره ـ فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً[3] وفسر قوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ بقوله: كان المشركون والمسلمون يحجون جميعاً فلما نزلت «براءة» فنفي المشركين عن البيت، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين فكان ذلك من تمام النعمة ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[4].

٢ ـ أن المراد بإكمال الدين إكمال الحج والمعنى اليوم أكملت لكم حجكم فأفردتم بالبلد الحرام تحجونه أنتم أيها المؤمنون دون المشركين لا يخالطكم في حجكم مشرك[5].

٣ ـ أن المراد بإكمال الدين إعلاء كلمته وظهوره على الدين كله وفي حجة الوداع ظهرت شوكة هذا الدين وعلت كلمته فقد كان المشركون يحجون مع المسلمين ويزاحمونهم في المشاعر فأمر الرسول ﷺ أن لا يحج مشرك فامتثل المشركون أمره وأعلى الله كلمته ولم يجرؤ أحد منهم على مخالفته.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) تفسير الطبري ج:٩ ص:٥١٨.

(٤) المرجع السابق ج:٩ ص: ٥٢١ ـ ٥٢٢.

(٥) المرجع السابق ج:٩ ص:٥١٩.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين به، أنه أكمل لهم - يوم أنزل هذه الآية على نبيه - دينهم بإفرادهم البلد الحرام وإجلائه عنه المشركين حتى حجه المسلمون دونهم لا يخالطونهم المشركون[1].

أوائل وأواخر مخصوصة:

وكما بحث العلماء أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن على الإطلاق فقد أولوا عنايتهم واهتمامهم في معرفة أوائل ما نزل وأواخر ما نزل في موضوعات خاصة كالقتال، والربا، والخمر، والأطعمة، والأشربة، وغير ذلك.

ونظراً لما في معرفة ذلك من أثر كبير في معرفة الحكم الشرعي، والذي وقع بجهله عدد من العلماء فضلاً عن من دونهم في أخطاء عظيمة فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، وأصبح كلامهم حجة عند آخرين فإني سأبين هنا بشيء من التفصيل بعض هذه الأوائل والأواخر المخصوصة وهي:

١ - أول وآخر ما نزل في الخمر.

٢ - أول وآخر ما نزل في الربا.

٣ - أول وآخر ما نزل في الجهاد.

أولاً: أول ما نزل وآخر ما نزل في الخمر:

وإنما قدمته ليكون لوضوحه وظهوره ميزاناً نعرف به مقدار الخطأ الذي وقع من بعض العلماء والمفتين في البحثين الآخرين الربا والجهاد.

وتظهر في التدرج في تحريم الخمر والمراحل التي مر بها حكمه الله

---

(١) المرجع السابق ج:٩ ص:٥٢٠.

سبحانه وتعالى، فقد كان الخمر ميسراً في الجاهلية لمبتغيه فالتمر والعنب أصناف لا يخلو منها بيت في أرض الحجاز، فالنخيل من زراعة المدينة وما حولها ولا يزال، والعنب في الطائف ولا يزال، واعتصارهما خمراً أمر معروف لا يكاد ينكره أحد، وشربه شأن مألوف لا يكاد يتركه أحد. وليس من السهل الامتثال للإقلاع عنه لأول الأمر ما لم يكن وراء ذلك عقيدة راسخة واقتناع تام.

فجاء القرآن الكريم بترسيخ العقيدة وتثبيت أركانها حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام شرع في الحلال والحرام ومنه حكم الخمر مراعياً أحوالهم فيها واعتيادهم عليها متخذاً من رسوخ العقيدة والتدرج في التحريم وسيلة حكيمة لعلاج هذا الداء وانتزاعه من جسد هذه الأمة فجاء تحريمه بالتدريج وقد وصفت عائشة رضي الله عنها هذا التدريج فقالت: «إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾»[1]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)[2].

وجاء التدرج في تحريم الخمر على النحو التالي:

المرحلة الأولى: أول ما نزل في الخمر قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾[3].

وقد ذكر ابن العربي أقوال العلماء في معنى (سكرا) ثم قال: أما هذه الأقاويل فأَسَدُّها قولُ ابن عباس: «أن السكر الخمر»[4] وهل نزلت هذه

(١) سورة القمر: الآية ٤٦.
(٢) صحيح البخاري ج:٦ ص:١٠١.
(٣) سورة النحل: الآية ٦٧.
(٤) أحكام القرآن: ابن العربي ج: ٣ ص:١١٤١.

الآية قبل تحريم الخمر أو بعده قال ابن العربي: والصحيح أن ذلك كان قبل تحريم الخمر، فإن هذه الآية مكية باتفاق من العلماء، وتحريم الخمر مدني[1].

فتقسيم هذه الآية ما يتخذون من الخمر إلى قسمين هما:

١ ـ سكراً.

٢ ـ رزقاً حسناً.

فيه إشارة إلى أن السكر ليس من الرزق الحسن وإذا لم يكن كذلك فهو من الرزق الخبيث وقد ورد وصف الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[2] وإذا كان السكر من الخبائث والرسول ﷺ يحرم الخبائث فالخمر حرام. لكن هذا ليس نصاً يوجب الامتناع والكف لكنه إشارة فَهِمَها مَنْ فَهِمَها توطئة لدرجة أعلى في التحريم وهي المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾[3].

كأن السؤال في هذه الآية نتيجة عدم التصريح بالحكم في الآية الأولى، ولهذا روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لما نزل تحريم الخمر[4]: اللهم بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ ...﴾ الآية[5].

---

(١) أحكام القرآن: ابن العربي ج:٣ ص:١١٤١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٤) يقتصر بعض الباحثين على ذكر الآيات الثلاث الأخيرة دون الأولى في تحريم الخمر وقوله في هذا الحديث أن عمر قال: لما نزل تحريم الخمر. إشارة إلى أنه سبق نزول هذه الآية آية أخرى وأنها ليست الأولى.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ج: ١ص:٥٣ والترمذي ج:٥ ص:٢٥٣ وأبو داود ج:٣ ص:٣٢٥.

وتعتبر هذه المرحلة أعلى من المرتبة التي قبلها في التحريم حيث صرحت بالإثم، وصرحت بأن الإثم أكبر من النفع، وفي ذلك إشارة إلى أن العاقل لا يقدم على فعل شيء ضرره أكبر من نفعه وأن عليه أن يفكر في ذلك ولهذا جاءت الفاصلة في الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فكان النص على الإثم توطئة للنص على التحريم ولو في أوقات مخصوصة في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[1] وهي أول نص في التحريم، وحتى التحريم كان على مرحلتين تلك المرحلة هي المرحلة الأولى منه تحريم في أوقات معينة وهناك أوقات يظل الخمر فيها مباحاً لكن هذه الأوقات تضيق حتى لا يكاد مبتغيها يجدها فإن شرب بعد الظهر فلن يدري ما يقول قبل العصر وإن شرب بعد العصر فلن يدري قبل المغرب وإن شرب بعد المغرب فلن يدري قبل العشاء ويقل الشرب بعد العشاء لمزاحمته وقت النوم وهم ليسوا أهل سمر وسهر فمن يسهر سينام في النهار وكيف يكتسب معاشه، وإن نام بعد العشاء وشرب بعد الفجر فكيف سيعمل ويكتسب وهو في هذه الحالة!! ولهذا قال ابن كثير: «وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالنهي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل والنهار فلا يتمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائماً والله أعلم»[2]، كل هذا كان إرهاصاً وتوطئة لتحريم الخمر تحريماً قاطعاً صارماً عاماً شاملاً في المرحلة الرابعة وهي:

المرحلة الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير: جـ:٢ ص: ٥٤٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٠.

وللمتدبر أن يطيل النظر فيما تحويه هذه الآية وما بعدها من تهيئة للتحريم، ومراعاة لواقع القوم وتمكن الخمر منهم فمزج النص القاطع في تحريمها ببيان آثارها وعواقب شربها الخطيرة وآثار طاعة الله وعواقب معصيته.

ثم وصف الخمر بأوصاف تكفي لتحريمها بأنها رجس وبأنها من عمل الشيطان، وكفى بهذين الأمرين إشارة للتحريم ومع هذا فقد صرح بالحكم (فاجتنبوه) وتلكم ـ والله ـ أبلغ كلمة نعم إنها أبلغ من (حرام) أو (فاتركوها) أو (لا تشربوها) لأن من لم يشرب الخمر ولكنها وجدت في بيته أو في غرفته لم يخالف النصوص الأخيرة (حرام، فاتركوه، لا تشربوه) لأنه لم يرتكب شيئاً منها لكنه خالف (فاجتنبوه) إذ الاجتناب يقتضي أن تكون في جانب والخمر في جانب آخر غير جانبك فإن كانت في غرفتك أو في دارك فأنت لم تجتنبها والخطاب ليس بالإفراد بل بالجمع للمسلمين عامة، فإذا وجد في بيت جارك وجب على المسلمين إتلافه فإن لم يفعلوا فإنهم لم يجتنبوه لأنه بينهم بل إن وجد في بلد آخر من بلاد الإسلام ولهم قدرة على إزالته ولم يفعلوا فهم لم يجتنبوه، إن الأمر بالاجتناب يقتضي أن يكون في جانب وبلاد المسلمين في جانب آخر أرأيتم إلى أي مدى وصل التحريم بهذه الكلمة.

تلكم المراحل التي مر بها تحريم الخمر، ولو قال قائل إن الخمر فيها إثم وفيها منافع قلنا تلكم مرحلة في التحريم وإن قال إن الخمر محرمة قرب الصلاة جائزة في غير أوقات الصلاة قلنا تلك مرحلة تجاوزها التشريع إلى مرحلة الحسم في التحريم فإن الحكم الشرعي إذا مر بمراحل فالحكم للمرحلة الأخيرة فيه.

أقول هذا توطئة للمرحلتين التاليتين اللتين يقع في خطأ فيهما بعض المفتين وهما مراحل تحريم الربا ومراحل تشريع الجهاد.

ثانياً: أول ما نزل وآخر ما نزل في تحريم الربا:

وذلك أن تحريم الربا أيضاً مر بمراحل أربع كالمراحل التي مر بها تحريم الخمر وهي:

المرحلة الأولى: أول ما نزل في الربا قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

وليس في هذه الآية نص على تحريم الربا وإنما إشارة إلى أن الله يمحق الربا فلا ينمو ولا يبارك الله فيه بخلاف الزكاة التي يراد بها وجه الله فإنه سبحانه يضاعف الثواب لصاحبه.

وهي مرحلة شبيهة تماماً بالمرحلة الأولى في تحريم الخمر حيث بين هناك أن السكر ليس بالرزق الحسن.

المرحلة الثانية: قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾[2].

وكما بين في المرحلة الثانية من تحريم الخمر أن فيه إثماً وفيه منافع وأن الإثم أكبر من النفع فإنه هنا في المرحلة الثانية من تحريم الربا أشار إلى أن من معاصي اليهود أكلهم الربا وقد نهوا عنه، وفي ذلك إشارة إلى أنه إذا كان أكل الربا والتعامل به محرماً على اليهود فأولى أن يكون كذلك بين المسلمين وهم خير أمة أخرجت للناس وهو تحريم بالتلويح والتعريض لا بالنص الصريح[3] وفي هذا توطئة للنص على التحريم في المرحلة التالية.

المرحلة الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦١.

(٣) منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام: مصطفى الباجقني ص:٢٧٦.

﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[1].

فحرم الربا على مرحلتين كما حرم الخمر على مرحلتين وإذا كان تحريم الخمر بدأ بتحريمه في أوقات معينة فإن تحريم الربا بدأ بتحريم نسبة منه معينة وهي ما كانت أضعافاً مضاعفة تمهيداً لتحريمه كله في المرحلة الأخيرة.

المرحلة الرابعة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[2] وكما أنه - سبحانه - غلظ في تحريم الخمر في المرحلة الأخيرة بالأمر باجتنابه ووصفه بأنه رجس وأنه من عمل الشيطان فإنه هنا في تحريم الربا غلظ في تحريمه بالتهديد والوعيد لأصحابه ووصفهم بأنهم محاربون لله ورسوله وهل بعد هذا أغلظ في التحريم وأبشع في الوصف.

ولعدم إدراك بعض الناس لهذه المراحل التي مر بها تحريم الربا وقعوا في الخطأ في الفتيا فأباح بعضهم الربا اليسير وهو الذي لا يصل إلى الأضعاف المضاعفة جهلاً منه بأن هذا كان في مرحلة من مراحل تحريم الربا وأنه بهذا كمن يبيح الخمر في غير أوقات الصلاة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[3] ولعله يظهر بهذا أهمية معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل والله المستعان.

ثالثاً: أول ما نزل وآخر ما نزل في تشريع الجهاد:

وقد مر تشريع الجهاد بمراحل هي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة المكية، حيث لم يشرع الجهاد وإنما

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٠.

(٢) سورة البقرة: الآيتين ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٣.

أمروا بالعفو والصفح فمن الآيات المكية ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾[3] ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[4] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[5] ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾[6] ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[7] والآيات المكية في هذا المعنى كثيرة فلم يؤمروا بالقتال بل بالكف عنه وقد صرح بهذا الحكم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ ﴿٧٧﴾﴾[8].

المرحلة الثانية: بعد نيف وسبعين آية مكية في النهي عن القتال[9] أذن بالقتال بمعنى إباحته لا وجوبه للمهاجرين منهم خاصة الذين أخرجوا من ديارهم، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[10].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: ولأن الله لما بعث نبيه وأمره بدعوة الخلق إلى دينه لم يأذن له في قتل أحد على ذلك ولا قتاله حتى

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٩.
(٢) سورة فصلت: الآية ٣٤.
(٣) سورة النحل: الآية ٨٢.
(٤) سورة الحجر: الآية ٨٥.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٦٣.
(٦) سورة المزمل: الآية ١٠.
(٧) سورة إبراهيم: الآية ١٢.
(٨) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٩) الكشاف: الزمخشري ج:٢ ص:١٥.
(١٠) سورة الحج: الآيتين ٣٩ ـ ٤٠.

هاجر إلى المدينة فأذن له وللمسلمين بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[1].

ورجح ابن العربي أن أول آية نزلت آية الحج ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ ثم نزل ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾[2] فكان القتال إذناً ثم أصبح بعد ذلك فرضاً، ثم أمر بقتال الكل فقال: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ . . .﴾ الآية[3].

وذلك أن قريشاً حتى بعد أن هاجر الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة لم تألوا جهداً للإيقاع بالمسلمين فأذن الله سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمهاجرين معه بالقتال فكان رسول الله ﷺ يبعث السرايا وكل أفرادها من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد[4].

وحتى هذا الإذن كان لقتال المشركين وحدهم دون غيرهم فاليهود في المدينة لم يؤمر بقتالهم مع أذاهم بل أمر بالعفو والصفح حتى يأتي الله بأمره، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[5] وفترة هذه المرحلة من الهجرة إلى غزوة بدر.

المرحلة الثالثة: الأمر بالجهاد للدفاع.

وذلك أن قريشاً تضررت من السرايا التي يبعثها الرسول ﷺ للهجوم على قوافل قريش فجمعت جمعها واتجهت إلى المدينة لحماية إحدى

---

(١) السياسة الشرعية: ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى جـ:٢٨ ص:٣٤٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٠.
(٣) أحكام القرآن: ابن العربي: جـ:١ ص:١٠٢.
(٤) السيرة النبوية: ابن هشام جـ: ٢ص:٢٤٥ وص ٢٥٢ وزاد المعاد: ابن القيم جـ:٢ ص:٨٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

قوافلها وإرهاب المسلمين فانتدب الرسول ﷺ أصحابه للدفاع والتقى الجيشان في بدر وفرض قتال الذين يقاتلون المسلمين ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[1].

فأصبح القتال مفروضاً على المسلمين كافة المهاجرين والأنصار للدفاع عن أنفسهم لا للابتداء قال الطبري رحمه الله تعالى عن هذه الآية (هذه الآية هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك وقالوا: أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين والكف عمن كف عنهم)[2].

وفي هذه المرحلة ظل القتال قاصراً على مشركي قريش وبعض اليهود وحدثت فيها عدة غزوات وسرايا منها غزوة السويق، وأحد، وحمراء الأسد، وإجلاء بني قينقاع وبني النضير واستمرت حتى غزوة الخندق[3] ومن آيات هذه الفترة[4] ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[5] و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[6].

المرحلة الرابعة: فرض الجهاد في سبيل الله:

وفي هذه المرحلة فرض الجهاد ابتداء من غير أن يبدأ الكفار بالقتال، قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[7] وقال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[8].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠.
(٢) تفسير الطبري: ج:٣ ص:٥٦١.
(٣) انظر منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام: الباجقني ص:٢٩٤.
(٤) آيات الجهاد في القرآن الكريم: د. كمال سلامة الدقس ص٢١٢.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٦١.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٦.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٩١.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

وتبدأ هذه المرحلة في السنة الخامسة للهجرة حيث زحفت جيوش الأحزاب إلى المدينة حين أَلَّبَتْ قريشٌ قبائل الجزيرة العربية ضد المسلمين بمساعدة بعض زعماء اليهود[1] ففرض جهاد الكفار كافة ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[2] وهي آخر مراحل تشريع الجهاد.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ملخصاً مراحل تشريع الجهاد «وكان محرماً ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين»[3].

وبمعرفة هذه المراحل يظهر خطأ بعض المتصدين للدفاع عن عقيدة الجهاد فيخطئون تحت وطأة الهزيمة الداخلية فيزعمون أن الجهاد للدفاع لا للطلب فيقفون به عند حد المرحلة الثالثة تماماً كأولئك الذين يزعمون أن الربا الحرام هو ما كان أضعافاً مضاعفة وهؤلاء وأولئك كمن يعتقد إباحة الخمر وأن تحريمها قرب وقت الصلاة وبمعرفة ذلك كله يظهر الحق والصواب والله المستعان.

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل:

وتشترك معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل مع معرفة المكي والمدني في فوائد كثيرة منها:

أولاً: تمييز الناسخ من المنسوخ:

وذلك حين ورود آيتين بحكمين مختلفين فإن معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل تعين على معرفة الناسخ من المنسوخ ومثال ذلك قوله تعالى في عدة المرأة المتوفى عنها زوجها ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾[4] فقد بينت هذه الآية أن العدة عام

---

(١) منهج القرآن في تقرير الأحكام: ص: ٢٩٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٦.
(٣) زاد المعاد: ابن القيم ج:٢ ص:٥٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1] جعل العدة أربعة أشهر وعشراً، وإذا عرفنا أن هذه الآية هي آخر ما نزل عرفنا أنها هي الناسخة.

ثانياً: معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه الحكيم في التشريع وقد مر بنا استعراض المراحل التي مر بها تحريم الخمر وكيف تمّت مراعاة أحوالهم حيث اعتادوا شرب الخمر لا يكاد يخلو منها بيت وكيف تدرج في علاج هذه المشكلة حتى خرجوا إلى بر الأمان والسلامة والإسلام بحكمة بالغة.

ثالثاً: الاستعانة بمعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل في تفسير القرآن التفسير السليم واستنباط الحكم الصحيح وقد عرفنا ذلك في معرفة أول وآخر ما نزل في الربا والجهاد والخطأ الذي وقع فيه بعضهم بسبب جهل معرفة أول وآخر ما نزل.

رابعاً: تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة من ذلك في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى حيث يكون بأسلوب لتقرير حكم ثم يختلف الأسلوب لتقرير حكم آخر بالوعد مرة والوعيد أخرى وبالترغيب أو الترهيب أو بالتخيير أو الإلزام حسب ما يناسب الحال.

خامساً: معرفة السيرة النبوية وترتيب أحداثها حسب حديث القرآن عنها ومتابعة أحوال الرسول ﷺ ومواقفه في الدعوة في مكة وسيرته في الدعوة إلى الله بعد الهجرة مما يوقف الدعاة خاصة والمسلمين عامة على أصدق حديث عن أفضل سيرة لأحسن قدوة عليه الصلاة والسلام.

سادساً: إظهار عناية الصحابة والعلماء من بعدهم بالقرآن الكريم حتى عرفوا أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن كله وفي كل حكم من أحكامه الذي لا يمكن الوصول إليه وإدراكه إلا بالجهد الكبير والاهتمام العظيم مما يوجب على من بعدهم الإقتداء بهم والسير على نهجهم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.

إعجاز القرآن الكريم

جرت سنة الله تعالى أن يظهر على يد كل نبي من أنبيائه معجزة يظهر بها على قومه وتكون دليلاً على صدقه في أنه مرسل من الله تعالى.

وقد كانت معجزة كل نبي من جنس ما برع فيه قومه حتى يكون تحديه لهم فيما يعرفون وفيما يتقنون ليكون التحدي أعظم وأشد.

فجاءت معجزة عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى وهي من جنس ما برع فيه قومه وهو الطب وإن لم تكن طباً.

وجاءت معجزة موسى عليه السلام العصا واليد وغيرهما وهي من جنس ما برع فيه قوم فرعون وهو السحر وإن لم تكن سحراً.

وجاءت معجزة محمد ﷺ وقد تفوق قومه في البيان والفصاحة والبلاغة فجاءت معجزته عليه السلام من جنس ما برع فيه قومه فأنزل الله القرآن وأعجزهم ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا الإتيان بمثله أو بعضه.

وقد بَيَّن العلماء هذا العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن بدراسة نصوص التحدي وإثبات العجز وما يتعلق بذلك كله في هذا المبحث (إعجاز القرآن) بل تجاوز ذلك إلى أن أصبح هذا الإعجاز علماً مستقلاً.

تعريف المعجزة:

لغة: أصلها مأخوذ من (عجز) قال ابن فارس: العين والجيم والزاء

أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء[1].

وخلاصة كلام أهل اللغة[2] في ذلك أن كلمة عجز تطلق على:

١ ـ **العجز بمعنى**: الضعف تقول «عجزت عن كذا، أعجز أي ضعفت عنه، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾[3].

٢ ـ **العجز بمعنى**: مؤخر الشيء والجمع أعجاز، وأعجاز الأمور: أواخرها، وعَجْزُ الشيء وعِجْزُه، وعُجْزُه وعَجُزُه وعَجِزُه: آخره، وعجز بيت الشعر: آخره وعجز المرأة وعجيزتها مؤخرتها، والعِجْزَة آخر ولد الرجل، وأعجاز النخل، وأعجاز الإبل، وأعجاز الليل: أواخرها والألف تسميه العرب العجوز لأنه آخر الأرقام عندها وما بعده يكرر فيقال عشرة آلاف، مائة ألف، ألف ألف.

وصار العجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾[4].

أما المعجزة في الاصطلاح فهي:

أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهداً على صدقه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس مادة (عجز)، ص:٧٣٨.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ص:٧٣٨ ولسان العرب: ابن منظور جـ:٥ ص:٣٦٩ ـ ٣٧٣ والمفردات: الأصفهاني ص:٣٢٥.

(٣) سورة هود: الآية ٧٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣١.

شرح التعريف:

ونريد بقولنا: (خارق للعادة) أنها مخالفة لأحكام العادة المألوفة كحرارة النار، وبرودة الثلج، وحدود القدرة البشرية المعتادة، فالمعجزة لا تخضع لهذه الأحكام ونؤكد أنها مخالفة لأحكام العادة وليست مخالفة لأحكام العقل.

ونريد بقولنا (مقرون بالتحدي) أن يكون مقصوداً بها تحدي القوم وإثارتهم للإتيان بمثلها حتى تقوم عليهم الحجة عند عجزهم والتحدي يكون إما بلسان المقال أو بلسان الحال من غير نطق به أو تصريح بالتحدي.

وقد أخطأ بعض الباحثين فأسقط هذا الشرط[1] معتقداً أن بعض المعجزات غير مقرون بالتحدي لاعتقاده أن التحدي لا بد أن يكون بلسان المقال.

ونريد بقولنا (سالم من المعارضة) أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها، ولهذا فإن معجزات الأنبياء لا تتكرر فلكل نبي معجزاته الخاصة به لا يأتي أحد بمثلها حتى من إخوانه الأنبياء، وإلا لاشترك الأنبياء كلهم في نوع واحد من الخوارق لا يأتي به أحد غيرهم يدل على نبوتهم ولهذا الاختلاف حكم عديدة، وهي صفة يغفل عنها كثير من الباحثين فيقصرون عدم المعارضة على عامة الناس.

ونريد بقولنا (يجريه الله على يد نبيه) أن المعجزة وإن جاء بها النبي فليست من عنده وليست في قدرته ولكنها من الله.

ونريد بقولنا (شاهداً على صدقه) أن الإتيان بالمعجزة إنما هو لإقامة الدليل على أنه مرسل من ربه وإقامة الحجة على قومه.

المعجزة في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم استعمال مشتقات كلمة (عجز) نحو ست

---

(١) البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح الخالدي ص: ٢٤.

وعشرين مرة لكنه لم يرد استعمال مصطلح (معجزة) ولا (إعجاز) في القرآن ولا في السنة.

ولم يعرف إطلاق مصطلح (معجزة) على الأمور الخارقة التي تظهر على أيدي الأنبياء عليهم السلام إلا في أواخر القرن الثاني تقريباً[١].

وأطلق القرآن على المعجزة عدة مسميات منها:

١ ـ **الآية**: في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَٰتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[٢] وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[٣] وفرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾[٤].

٢ ـ **البينة** : قال موسى عليه السلام لفرعون ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٥] وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[٦].

٣ ـ **البرهان**: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[٧] وقال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام بعدما أمره أن يلقي عصاه فإذا هي حية وأن يخرج يده فإذا هي بيضاء من غير سوء ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾[٨].

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم، ص:١٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٧٣.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٠٦.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٠٦.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٧٣.
(٧) سورة النساء: الآية ١٧٤.
(٨) سورة القصص: الآية ٣٢.

٤ ـ السلطان: كما قال الكفار لأنبيائهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وأجاب الرسل عليهم السلام ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾[2].

شروط المعجزة:

وللمعجزة شروط منها[3]:

١ ـ أن تكون من الأمور الخارقة للعادة:

سواء كانت كلاماً كالقرآن الكريم، وتسبيح الحصى بين يدي الرسول ﷺ وحنين الجذع وكلام الهدهد ونحو ذلك. أو كانت فعلاً كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثير الطعام القليل ونحو ذلك. أو كانت ترك فعل كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام وعدم إغراق البحر لموسى عليه السلام وقومه وعدم تأثير السم في جسده ﷺ.

والمعجز هو الأمر الخارق للعادة ولو فعل النبي أمراً غير خارق للعادة ولم يستطع الآخرون فعله فإن الإعجاز ليس في فعله وإنما في منعهم وحبسهم عن الإتيان بمثل فعله كما لو رفع الرسول يده أو مد رجله أو تكلم بالكلام المعتاد ثم تحدى قومه بالإتيان بمثل فعله أو قوله فلم يستطيعوا ذلك فإن الإعجاز ليس في فعله هذا أو قوله لأنه ليس خارقاً للعادة وإنما الإعجاز في هذه الحالة في منعهم وحبسهم عن ذلك لكونه هو الأمر غير المعتاد والخارق للعادة.

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتين ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي. ج:١ ص:٧٠ ـ ٧١ وانظر مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم. ص:١٥ ـ ١٧ ومنهما اقتبست هذا المبحث.

٢ ـ أن يكون الأمر الخارق للعادة من الله:

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[١] وقال الأنبياء عليهم السلام ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢] وحين قال الكفار للرسول ﷺ ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أمره الله أن يقول: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[٣].

٣ ـ سلامتها من المعارضة بالإتيان بمثلها:

إذ لو استطاع البشر الإتيان بمثلها لما صلحت علامة على أن صاحبها مرسل من ربه، فلا بد لكونها علامة على صدق صاحبها في أنه مرسل من ربه أن لا يقدر البشر كلهم بل والجن معهم على الإتيان بمثلها لأنها من قدرة الله وحده. كما قال تعالى عن القرآن ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[٤].

٤ ـ أن تقع وفق مقتضى قول صاحبها:

فلا تقع على خلاف قوله. فإذا جاءت على خلاف قوله لم تصلح دليلاً على دعواه، ولا دليلاً على صدقه لمخالفتها لمقتضى كلامه كما حدث لأدعياء النبوة.

٥ ـ أن تقترن بالتحدي عند وقوعها:

وذلك لأمرين: أولهما: إثبات عجز المخاطبين عن الإتيان بمثلها وعدم إدعائهم أو من بعدهم عدم وجود الداعي للإتيان بمثلها وثانيهما: إقامة الحجة عليهم عند عجزهم.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ١١.
(٣) سورة يونس: الآية ١٥.
(٤) سورة الطور: الآية ٣٤.

ولا يلزم أن يكون التحدي بلسان المقال كما فهمه بعض المعاصرين وإنما يكون بلسان المقال وبلسان الحال إذ المقام مقام صراع، وعناد، واحتجاج يغني فيه الحال عن المقال في بعض المقام.

٦ ـ أن يستدل بها النبي على صدقه في رسالته:

إذ الغرض من إظهارها إثبات أمرين: أولهما أنه صادق في دعوى الرسالة. ثانيهما: أنه مرسل من الله لا من غيره، فينبغي أن يكون إظهارها لإثبات ذلك لا لغيره دونهما.

٧ ـ أن يكون ظهور المعجزة أو المعجزات بعد دعوى الرسالة:

حتى يصح الاستشهاد بها، أما إذا تقدم وقوع الأمر الخارق على دعوى الرسالة فإنه لا يسمى معجزة وإنما يسمى (إرهاص) كتظليل السحابة للرسول ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة.

جواز وقوع المعجزة:

لا يشك مؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون كله صغيره وكبيره ومدبر شؤونه، وموجد نظامه والذي يوجد الشيء من العدم أقدر على تغيير سنة من سننه أو نظام من أنظمته بل أقدر على إعادة خلقه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[1].

فالذي جعل النار حارة في قدرته أن يجعلها باردة، والذي خلق القمر قادر على أن يقسمه إلى نصفين، والذي خلق في السم خاصية قادر على سلبها منه، والذي خلق الثعبان من العدم قادر على خلقه من العصا، وهكذا في بقية المعجزات. ومن ينكر هذا فقد أساء الظن بربه وقدرته واعتقد ربوبية إله عاجز عياذاً بالله تعالى.

---

(١) سورة يس: الآيتين ٧٨ ـ ٧٩.

ومما يحز في النفس ظهور بعض من ينكر الخوارق أو بعضها، ويؤولها بتكلف شديد حتى لا تكون من الأمور الخارقة، فيزعم مثلاً أن المرء إذا اعتقد اعتقاداً جازماً في أمر من الأمور، وتيقنه يقيناً قاطعاً أنه يقع وفق اعتقاده فإذا اعتقدت امرأة بكر لم تتزوج ولم يجامعها أحد أنها حامل وتيقنت ذلك فإن الحمل يقع!![1] ويريدون بذلك تعليل حمل مريم بعيسى عليه السلام فتكلفوا ما هو أغرب من المعجزة، وفروا من خارق إلى أخرق.

وفسروا فلق البحر لموسى عليه السلام بالمد والجزر، والطير الأبابيل[2] بالجراثيم والميكروبات.

ونسي أولئك أن الذي يقدر على جعل الماء سائلاً قادر على أن يجعله متجمداً أو صلباً، وما المانع أو المستغرب أن يجعل نوعاً من أنواع الطيور قادراً على حمل حجارة ورميها على أعداء الله ونحو ذلك.

المراد بإعجاز القرآن الكريم:

للعلماء في تعريف الإعجاز أقوال تختلف ألفاظها وتتحد معانيها منها تعريف الهمداني أن معناه: «أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة، فعل مثله، في القدر الذي اختص به»[3].

ويمكن تعريفه بقولنا هو: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان

(١) تفسير المنار: ج:٣ ص: ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٢) حكاية طريفة أسوقها للعظة والعبرة طفل صغير سأله والده ماذا حفظت اليوم؟ فقال: سورة العصافير فاستغرب والده وطلب منه قراءتها وحين قرأها وجد أنه فهم من ذكر الطير الأبابيل أنها طيور حقيقية وهو لا يفهم من الطيور إلا العصافير فانظر لهذا العقل الفطري وانظر لتأويلات أهل العقول الكبيرة!!.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل: ج:١٦، (إعجاز القرآن)، ص:٢٢٦.

وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث.

إثبات إعجاز القرآن الكريم:

حين نزل القرآن الكريم لم ينزل بما يوافق معتقدات الجاهلية أو يداريها بل نزل هادماً لها، مبطلاً لأصولها، منكراً لمبادئها، ساخراً من معتقداتها وأهلها أهل جاهلية، أهل عناد واستكبار، أهل طغيان وجبروت، أهل أنفة وعزة، لو كان عندهم أدنى قدرة على معارضة القرآن أو الإتيان بمثله وقد تحداهم واستثارهم لذلك ما ترددوا وما تلكؤوا ولكنهم يعلمون من فورهم أن بينهم وبين ذلك بعد ما بين المشرقين أو قل بعد ما بين السموات والأرضين.

نعم عجزوا وهم أهل اللغة وأهل البيان «أجل، لقد سجل التاريخ هذا العجز على أهل اللغة أنفسهم في عصر نزول القرآن. وما أدراك ما عصر نزول القرآن؟ هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي»[1] جمعوا الحشود في الصحراء، ورفعوا المنابر في الأسواق وعرضوا فيها أنفس بضائعهم، وأجود صناعاتهم وما البضاعة إلا بضاعة الكلام وما الصناعة إلا صناعة الشعر والخطابة، يتبارون في عرضها، ويتنافسون في نقدها، «فما هو إلا أن جاء القرآن.. وإذا الأسواق قد انفضت إلا منه، وإذا الأندية قد صفرت إلا عنه، فما قدر أحد منهم أن يباريه أو يجاريه»[2] كرروا النظر ورجعوا البصر علهم يجدون فيه فجوة ينفذون منها فعاد إليهم البصر خاسئاً وهو حسير.

«ولم يسد القرآن عليهم باب المعارضة بل فتحه على مصراعيه فدعاهم إليه أفراداً أو جماعات. بل تحداهم وكرر عليهم ذلك التحدي في صور شتى، متهكماً بهم، متنزلاً معهم إلى الأخف فالأخف...، وأباح

---

(١) النبأ العظيم: د. عبد الله دراز، ص:٨٣.

(٢) المرجع السابق: ص:٨٣ ـ ٨٤ بتصرف.

لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم كله بالعجز في غير مواربة فقال: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1] وقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2] فانظر أي إلهاب!! وأي استفزاز لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ثم هددهم بالنار، ثم سواهم بالأحجار، فوالله لو كان فيهم لسان يتحرك، لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداء الألداء وأباة الضيم الأعزاء، وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم، ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته ولا سلماً يصعدون به إلى مزاحمته، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طود شامخ، فما اسطاعوا أن يظهروه، وما استطاعوا له نقباً... حتى إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم: إلا أن ركبوا متن الحتوف، واستنطقوا السيوف بدل الحروف، وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان، وكل من لا يستطيع دفعاً عن نفسه بالقلم واللسان»[3].

سلكوا مع الرسول ﷺ كل سبيل للتوقف عن دعوته، ساوموه بالمال، وعرضوا عليه الملك، وقاطعوه ومن معه حتى يموتوا جوعاً، وتآمروا على قتله، وأخرجوه من بلده وسلكوا أصعب الطرق وأعرضوا كل الإعراض عن الطريق الوحيد الذي عرضه عليهم الرسول ﷺ لإبطال دعوته وهو أن يأتوا بمثل هذا القرآن فوجدوا أن كل سبيل أهون من هذا السبيل، وكل مشقة دون هذا المطلب فأي شيء يكون العجز إن لم يكن هذا هو العجز كل العجز[4].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٣) النبأ العظيم: ص:٨٤ ـ ٨٥ بتصرف.

(٤) المرجع السابق: ص:٨٧ ـ ٨٨ بتصرف.

ولو أثر عنهم معارضة للقرآن الكريم، أو محاولة جادة لتطاير خبرها في الأجيال ولتداولتها الألسن وسطرتها الأقلام ولكن ذلك لم ولن يكون ما دام هناك مسكة من عقل، أو ذرة من كرامة.

عناية العلماء به وأهم المؤلفات فيه:

كان للعلماء رحمهم الله تعالى عناية كبيرة واهتمام عظيم بإعجاز القرآن الكريم. وسبق أن ذكرنا أن مصطلح (المعجزة) أو (إعجاز القرآن) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم وإنما ورد التعبير عن هذا المعنى بالآية.. والبرهان والسلطان.. وغير ذلك.

وهي العبارات التي كان يتداولها العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين عند حديثهم عن إعجاز القرآن، وليس هناك تحديد دقيق لتأريخ ظهور مصطلح إعجاز القرآن.

وقد استعمل هذا المصطلح في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ويؤيد هذا أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ت (٢٤١هـ) استعمل كلمة (معجزة) للأمر الخارق المؤيد للأنبياء ولما استعمل له من بعده مصطلح (الكرامة)[1].

كما ظهر استعمال هذا المصطلح عند النظام ت (٢٣١هـ) أحد أئمة المعتزلة حين زعم أن إعجاز القرآن كان بالصرفة ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ فتصدى له علماء السنة والجماعة وردوا عليه وأبطلوا زعمه فشاع مصطلح المعجزة وقل استعمال مصطلح الآية والبرهان والسلطان وغيرها..

وللمعتزلة عناية خاصة بإعجاز القرآن ولعل عنايتهم تلك نتيجة عدم اعتمادهم في إثبات نبوة محمد ﷺ إلا على معجزة القرآن دون سواها من

(١) انظر (فكرة إعجاز القرآن): نعيم الحمصي. ص:٨.

المعجزات يقول الهمداني «لم يعتمد شيوخنا في إثبات نبوة محمد ﷺ على المعجزات[1]. ويقول عن المعجزات «فلا يصح أن يستدل بها على صحة النبوة ولذلك اعتمد شيوخنا في تثبيت نبوة محمد ﷺ على القرآن»[2] ويوضح هذا الأمر فيقول: «إن شيوخنا أثبتوها معجزة ودلالة، لكنهم لم يجوزوا الاعتماد عليها في مكالمة المخالفين»[3] ولهذا كثرت مؤلفاتهم في إعجاز القرآن وبلاغته ومناظراتهم ومجادلاتهم وشطحاتهم.

أما أول كتاب يحمل هذا المصطلح في عنوانه فهو كتاب (إعجاز القرآن) الذي ألفه محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ[4] وهو كتاب مفقود. إلا أن أقدم كتاب خاص بإعجاز القرآن وصل إلينا هو (النكت في إعجاز القرآن) لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤)[5] وهو من أئمة المعتزلة.

ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك وكثرت كثرة لا تكاد تحصى قديماً وحديثاً وليس من السهل حصرها كلها وسأذكر بعض هذه المؤلفات إجمالاً، فمن المؤلفات قديماً:

١ ـ **النكت في إعجاز القرآن**: لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ت (٣٨٤هـ) وهي رسالة مختصرة جاءت جواباً لسؤال عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج وتقع في سبع وثلاثين صفحة طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار الهمداني. جـ:١٦ ص:١٥٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الفهرست: ابن النديم ص:١٧٢ أو ص:٢٤٥ والأعلام: الزركلي جـ:٦ ص:١٣٢ وانظر فكرة إعجاز القرآن: نعيم الحمصي ص:٨، وإعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة: د/ منير سلطان ص:٥٠.
(٥) مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم ص:٤٣.

٢ ـ **بيان إعجاز القرآن**: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٦هـ) وهي أيضاً رسالة مختصرة تقع في ٤٧ صفحة وطبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

٣ ـ **إعجاز القرآن**: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت (٤٠٣هـ) طبع بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر في مجلد واحد يقع في ٣٢٥ صفحة الطبعة الأولى ١٤٠٦ مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

٤ ـ **الرسالة الشافية**: لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١هـ) وهي رسالة موجزة لكنها شاملة قرر فيها أن الإعجاز ثابت عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن وقرر أن العبرة بعجز العرب المعاصرين لنزوله دون المتأخرين عن زمانه ورد على القول بالصرفة وتقع هذه الرسالة في حوالي ٤٠ صفحة وطبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

٥ ـ **دلائل الإعجاز**: وهو أيضاً لعبد القاهر الجرجاني في مجلد طبع أكثر من مرة بتحقيق أحمد مصطفى المراغي وطبع كذلك بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي.

٦ ـ **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** للفخر الرازي ت (٦٠٦هـ) اختصر فيه كتابي (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني وزاد فيه بعض الفوائد وبين يدي طبعة مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧هـ.

٧ ـ **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**:لعبد الواحد الزملكاني ت (٦٥١هـ) طبع بتحقيق د. خديجة الحديثي؛ ود. أحمد مطلوب في بغداد الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ وتقع مع الفهارس في ٤٣٢ صفحة وللزملكاني أيضاً كتاب (التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن) طبع في بغداد أيضاً عام ١٣٨٣هـ.

٨ ـ **معترك الأقران في إعجاز القرآن**: لجلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) طبع في ثلاثة مجلدات الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

وأما المؤلفات الحديثة فكثيرة جداً في مختلف أوجه الإعجاز أذكر بعض أشهرها:

١ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ت (١٣٥٦هـ) طبع عدة مرات في مصر. وهو بحق من أفضل المؤلفات في موضوعه قديماً وحديثاً.

٢ ـ **النبأ العظيم**: د. محمد عبد الله دراز ت (١٣٧٧هـ) وهو كتاب في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم أحد ثلاثة أنواع من الإعجاز وعد المؤلف بالكتابة عنها فأتم الأول وتوفي قبل تمام الباقي وامتاز بأسلوبه الأدبي المميز، ودقة استنباطه، وسلاسة لفظه يقع في ٢١٦ صفحة وطبع أكثر من مرة.

٣ ـ **مباحث في إعجاز القرآن**: د. مصطفى مسلم وكتبه مؤلفه لطلاب قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لمادة إعجاز القرآن وهو كتاب قيم يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة.

٤ ـ **فكرة إعجاز القرآن**: تأليف نعيم الحمصي وهو في أصله مقالات نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ثم جمعها في هذا الكتاب وصدرت طبعته الأولى عام ١٣٧٤ والثانية ١٤٠٠هـ ويقع في حوالي خمسمائة صفحة وهو عرض لقضية إعجاز القرآن الكريم منذ البعثة إلى حين تأليفه.

٥ ـ **البيان في إعجاز القرآن**: د. صلاح الخالدي وألفه حين درّس مادة إعجاز القرآن في كلية المجتمع في الأردن ولم يجد كتاباً يجمع جزئيات وحدات المادة كما يقول فألف هذا الكتاب ويقع في حوالي أربع مائة صفحة.

مراحل التحدي بالقرآن:

ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس آيات من خمس سور هي على ترتيب السور[1]:

١ ـ في سورة البقرة: الآية ٢٣ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ الآية..

٢ ـ في سورة يونس: الآية ٣٨ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ الآية.

٣ ـ سورة هود: الآية ١٣ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.

٤ ـ سورة الإسراء: الآية ٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

٥ ـ سورة الطور: الآية ٣٣ ـ ٣٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

والتحدي في هذه الآيات كما ترى جاء مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، ومرة بعشر سور، ومرة بسورة، ومرة بحديث مثله. فهل جاء التحدي بالقرآن متدرجاً من الأكثر إلى الأقل أم لا؟ للعلماء في مراحل التحدي بالقرآن الكريم أقوال:

القول الأول: وهو قول جمهور علماء التفسير والبلاغة أن التحدي

---

(١) أما على ترتيب النزول فأولها: آية الإسراء وثانيها: آية يونس وثالثها: آية هود. ورابعها: آية الطور (وكلها مكي) ثم نزل خامسها: آية البقرة في المدينة. انظر البرهان: الزركشي جـ:١ ص:١٩٣ والإتقان: السيوطي جـ:١ ص:٢٧ ويرى الزمخشري والبيضاوي والرازي وابو حيان وابن كثير وابن عاشور والرافعي وغيرهم أن آية هود نزلت قبل آية يونس.

كان متدرجاً بالقرآن كله كما في سورة الإسراء والطور ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود ثم تحداهم بسورة في سورة يونس ثم بسورة من مثله في سورة البقرة، ولكن هذا القول لا يساعد عليه ترتيب نزول القرآن الكريم.

القول الثاني: رتب آيات التحدي حسب ترتيب النزول وأنه كان متدرجاً أيضاً إلا أن التحدي بسورة وقع قبل التحدي بعشر سور، ثم ذهب أصحاب هذا القول يعللون ذلك بتعليلات ليس فيها ما يقنع.

القول الثالث: وهو ما أرى صوابه أن القولين السابقين قاما على تصور أن الإتيان بمثل القرآن أصعب من الإتيان بمثل عشر سور وأن الإتيان بالعشر أصعب من الإتيان بسورة وهذا غير صحيح. لأن القرآن كله قليله وكثيره على حد سواء في الإعجاز فليس الإتيان بسورة أسهل من الإتيان بالقرآن كله فالتحدي في القرآن بالكيف لا بالكم وبالنوع لا بالمقدار فلا يهم إذاً أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله.

واستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور، واستحالة المجيء بمثل القرآن كله على حدٍّ سواء فكل ذلك متعذر، ولذا فلا أثر للاختلاف في ترتيب آيات التحدي ما دام لا يترتب عليه أثر في قوة التحدي والعجز كان عن الإتيان بجنس القرآن لا عن مقداره.

مقدار المعجز من القرآن الكريم:

ومما يتصل بالحديث عن مراحل التحدي بالقرآن، الحديث عن القدر المعجز من القرآن الكريم فقد وقع في هذا القدر خلاف أيضاً على أقوال هي:

القول الأول: أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه وهذا القول مردود بالآيات التي تتحدى بعشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.

القول الثاني: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة وهذا رأي الجمهور، وزاد بعضهم أنه يتعلق أيضاً بقدر سورة تامة[1] من الكلام بحيث يظهر به تفاضل قوى البلاغة وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر ثلاث آيات فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.

القول الثالث: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2] والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار كما مر بنا بيانه وهذا هو ما نرجحه والله أعلم.

استمرار التحدي بالقرآن الكريم:

والتحدي في القرآن الكريم ليس خاصاً بأمة دون أمة أو عصر دون عصر بل هو باق ما بقي القرآن يعلن للناس تحديه فقوله عز شأنه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ ..﴾[3] الآية. عام يشمل جميع الإنس في جميع العصور.

ولأن القرآن خاتم الكتب والرسول ﷺ خاتم الرسل والإسلام خاتم الأديان فقد اقتضت الحكمة بقاء المعجزة لتكون شاهدة على كل جيل كما هي شاهدة على الجيل الأول.

ولئن عجز الجيل الأول وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل البيان والبديع عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضه أو مجرد محاولة ذلك لعلمهم سلفاً بعجزهم عن ذلك فإن مَنْ بعدهم أعجز وأبعد عنْ الاستطاعة فالإعجاز مستمر والتحدي قائم إلى يوم القيامة.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

من المُسَلَّم به بين المسلمين عامة أن القرآن معجزة لا يمكن للبشر أن

---

(١) إعجاز القرآن: الباقلاني. ص: ٢٦١.

(٢) سورة الطور: الآية ٣٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

يأتوا بمثله لكنهم اختلفوا في بيان وجه الإعجاز فيه وذكروا أقوالاً كثيرةً ومذاهب مختلفة وهم في هذا بين مصيب ومخطئ، ومحسن ومسيء.

تعددت الأقوال في وجه أو أوجه الإعجاز في القرآن الكريم فمنهم من لم يذكر للإعجاز إلا وجهاً واحداً، ومنهم من ذكر وجهين أو أكثر بل قال السيوطي: «أنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين»[1] ثم قال: «والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه»[2] وذكر هو في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) خمسة وثلاثين وجهاً ضمنها المجلد الأول منه. وذكر غيره وجوهاً أخرى غير ما ذكره السيوطي. والحق أن بين بعض هذه الوجوه تداخل، وليس مرادنا هنا حصرها أو ذكرها كلها فلنذكر بعض هذه الأقوال:

القول الأول: أن الإعجاز كان بالصَّرْفَة:

القول بالصَّرْفَة هو الباعث على نشأة البحث في وجوه الإعجاز للقرآن الكريم فقد كان المسلمون مُسَلِّمِين بإعجاز القرآن وألفوا في ذلك كتباً تشير بصورة غير مباشرة إلى إعجاز القرآن من غير أن يخوضوا أو يتعمقوا في بيان وجهه حتى أظهر النَّظَّام (ت ٢٣١هـ) مقولته بالصَّرْفَة فثار العلماء لإنكار قوله والرد عليه ومن ثم تحديد الوجه أو أوجه الإعجاز الصحيحة في القرآن الكريم.

وأول من قال إن إعجاز القرآن الكريم كان بالصَّرْفَة هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٣١هـ) أحد أئمة المعتزلة وصار له مذهب خاصة ينسب إليه، وقلده آخرون في هذه المقولة وتشعب القول فيها إلى شعبتين:

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي ج:١ ص:٥.

(٢) المرجع السابق.

١ ـ **القول الأول**: للنظام وآخرين أن المراد بالصرفة أن الله صرف العرب عن الاهتمام بمعارضة القرآن الكريم مع قدرتهم عليها ولو توجهوا إليها لقدروا على الإتيان بمثل هذا القرآن.

٢ ـ **والقول الثاني**: للمرتضى من الرافضة ومراده بالصرفة أن الله سلب العرب العلوم التي يحتاجون إليها للإتيان بمثل هذا القرآن ولو توجهوا للإتيان بمثله لما استطاعوا لسلبهم هذه العلوم.

والفرق بين رأي النظام وأتباعه والمرتضى ومن معه أن النظام يرى أن العرب لو أرادوا الإتيان بمثله لاستطاعوا ولكن همتهم لم تتوجه لذلك، أما المرتضى فيرى أن العرب لا يستطيعون الإتيان بمثله ولو أرادوا ذلك لأنهم لا يملكون العلوم التي تمكنهم من ذلك فالفرق بينهما أن النظام يرى أن العرب يستطيعون لو أرادوا والمرتضى يرى عدم استطاعتهم وكلا القولين غير صحيح.

ونرد على ذلك بثلاثة ردود، **الأول** رد مشترك على القولين لإبطال القول بالصرفة عامة، **والثاني** رد على مذهب النظام، **والثالث** رد على مذهب المرتضى.

أما الرد العام على القول بالصرفة فإنَّا نقول إنه يلزم من القول بالصرفة أن الإعجاز ليس في القرآن ذاته وإنما في غيره وهو عدم استطاعتهم، فالقرآن بزعمهم ليس معجزاً، إنما الإعجاز في المنع، وهذا باطل، قال أبو بكر الباقلاني: «ومما يبطل القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً وإنما يكون المنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه»[1].

ونقول أيضاً أن ديوان العرب محفوظ شعره ونثره وليس فيه قبل أن يسلبوا الاهتمام بالإتيان بمثله، أو تسلب منهم العلوم كما يزعم هؤلاء وأولئك ما يماثل القرآن أو يدانيه.

---

(١) إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني. ص: ٥٤.

أما الرد على النظام ومن معه فإنا نقول: كيف يصح القول أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثل القرآن وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للقضاء على دعوة محمد ﷺ وسلكوا كل طريق شاق، حاربوه، وناوؤه، وقاطعوه، وآذوه مع إبطاله لمعتقداتهم، وإثارته لحفيظتهم، واستفزازه لمشاعرهم، وإلهابه لغيرتهم، وأصاب موضع عزتهم وفخارهم، وقد مكنهم من نفسه لو استطاعوا فدعاهم وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن ولو كان فيهم أدنى قدرة، أو عرفوا أحداً يملكها في أقصى الأرض لبعثوا إليه كما بعثوا لليهود يسألونهم عما يسألون محمداً ﷺ عنه ليحرجوه، فلا يصح بعد هذا أن يقال أن همتهم لم تتجه للإتيان بمثله.

وأما الرد على المرتضى ومن معه ففي قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1].

وفي هذا دليل أن عجزهم كان مع بقاء قدرتهم ولو لم يكن عندهم قدرة لما صح تحديهم إذ لا يصح لأحد أن يتحدى الموتى، إذ ليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره[2] كما لا يصح أن يتحدى المبصر الأعمى وإنما يصح التحدي إذا تحدى من يملك البصر أما إذا سلب البصر لم يصح تحدي مثله، كما أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ يدل على وجود القدرة لأن المعاونة والمظاهرة إنما تمكن مع القدرة ولا تصح مع العجز والمنع[3].

القول الثاني: أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو الأخبار الغيبية فيه:

وذلك أن القرآن الكريم تضمن عدداً من الأخبار الغيبية في الماضي

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٢) الإتقان: السيوطي، ج:٢ ص:١٥١.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار الهمداني ج:١٦ ص:٣٢٣.

والحاضر والمستقبل؛ وإذا علمنا أن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وعلمنا أن أمته أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب وليس عندها علم يذكر في تاريخ الأمم الماضية، ومع هذا كله فقد ورد في القرآن الكريم، الحديث عن الأمم الماضية بما يظهر أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا من عند الله الذي يعلم الغيب في السموات والأرض.

والأخبار الغيبية الواردة في القرآن ثلاثة أنواع:

الأول: الأخبار الغيبية الماضية (غيب الماضي):

وهي الأخبار التي تحدثت عن الأمم الماضية والأنبياء السابقين عليهم السلام وذلك لعدم تلقي الرسول ﷺ لهذه الأخبار عن أحد من البشر ولم يقرأها في كتاب فلم يبق إلا أن يكون تلقاها عن طريق الوحي ولهذا كان القرآن كثيراً ما يشير إلى هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1] وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[3] وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾[4] وقوله جل جلاله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[5] وغير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٤.
(٣) سورة يونس: الآية ١٦.
(٤) سورة ص: الآية ٦٧ ـ ٧٠.
(٥) سورة هود: الآية ٤٩.

الثاني: الأخبار الغيبية عما يقع بغير حضرة الرسول ﷺ (غيب الحاضر):

إذ كثيراً ما تحدث بعض الأحداث وتقع بعض القضايا ولا يشهدها الرسول ﷺ ولا يحضرها ومع هذا ينزل عليه الوحي والخبر الصادق حتى قبل أن يصل أحد ممن رآها إلى الرسول ﷺ حتى كان الكفار يقول بعضهم لبعض اخفضوا أصواتكم حتى لا يسمعكم إله محمد ولهذا كان المنافقون يحذرون ذلك قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾..[2] وكقوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[3] وغير ذلك من الأيات.

الثالث: الأخبار الغيبية عن أمور مستقبلة (غيب المستقبل).

وكثيراً ما أخبر القرآن عن أمور ستحدث في المستقبل ووقعت كما جاءت في القرآن فمن ذلك قوله تعالى عن ظهور الإسلام وسيادته وقد كان ذلك فيما بعد ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4] وعن القرآن أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[5] وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٧٤.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٧.
(٤) سورة التوبة: الآية ٣٢.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

﴿فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1] وحتى الآن لم يأت أحد بمثله ولن يفعل أحد ذلك. ومنه قوله تعالى عن الكفار ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[2] وقد نزلت هذه الآية وعائشة رضي الله عنها بمكة جارية تلعب[3] وتحقق ذلك فيما بعد. ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[4] وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[5].

ومنه قوله تعالى عن أبي لهب: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ وعن امرأته ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾[6] والخبر الغيبي في هذا أنه أخبر أنهما في النار ويقتضي هذا موتهما على الكفر وقد كان ذلك ومثله عن أبي جهل[7] ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[8] فمات على كفره وكذلك أبي بن خلف قال عنه[9] ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾[10] فمات على الكفر، والنضر بن الحارث[11] ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[12]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) سورة القمر: الآية ٤٥.
(٣) انظر صحيح البخاري: ج:٦ ص:٥٤.
(٤) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.
(٥) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(٦) سورة المسد: الآيات ٢ ـ ٤.
(٧) أسباب النزول: الواحدي: ص:٣٩٨.
(٨) سورة الدخان: الآيات ٤٥ ـ ٤٧.
(٩) لباب النقول: السيوطي. ص٢٣٤.
(١٠) سورة الهمزة: الآية ٤.
(١١) لباب النقول: السيوطي ص:١٦٩.
(١٢) سورة لقمان: الآية ٧.

والوليد بن المغيرة[1] ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[2].

ومع قوة هذا الوجه من الإعجاز وتحققه في القرآن الكريم إلا أنه لا يصح الزعم بأنه وجه الإعجاز في القرآن الكريم لخلو كثير من الآيات القرآنية من الأخبار الغيبية مع تحقق الإعجاز فيها.

الثالث: أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو: نظمه.

ومن أدلة أصحاب هذا القول قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[3] فحين زعم الكفار أن أخبار القرآن افتراء وكذب قطع جدلهم بأن طلب منهم على التسليم بأنه مفترى أن يأتوا بعشر سور في نظمه وأسلوبه لا صدق خبره حسب زعمهم. فالتحدي هنا بالنظم لا بالأخبار فضلاً عن الأدلة الأخرى الكثيرة على إدراك العرب بذوقهم لإعجاز القرآن في نظمه واستيلائه على ألبابهم.

وقال بهذا الإعجاز عدد من أئمة اللغة والبيان كالواسطي والجاحظ الذي ألف كتاباً عن نظم القرآن ومنهم الجرجاني والخطابي وغيرهم.

وقد فسر الخطابي هذا الوجه بقوله: «وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة.

١ ـ لفظ حامل.

---

(١) لباب النقول: السيوطي. ص:٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) سورة المدثر: الآية ٢٦.

(٣) سورة هود: الآية ١٣.

٢ ـ ومعنى به قائم.

٣ ـ ورباط لهما ناظم.

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرقة في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً».

ثم ذكر بعض ما احتوى عليه القرآن من أحكام التوحيد والعبادة والتحليل والتحريم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر بمحاسن الأخلاق والزجر عن مساوئها ثم قال: «ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قُدَرُهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله»[1].

الرابع: أن وجه الإعجاز هو بلاغته:

التي فاقت ما عرفته العرب من صور البلاغة وعجزوا عن الإتيان بمثلها وقال بهذا القول عدد من أئمة البلاغة والبيان كالعسكري[2] وحازم القرطاجني[3] والسكاكي الذي ذكر أربعة أقوال لوجه الإعجاز في القرآن فردها كلها ثم قال: «فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من

---

(١) بيان إعجاز القرآن: الخطابي. ص: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) فكرة إعجاز القرآن: نعيم الحمصي، ص: ٦٥.

(٣) الإتقان: السيوطي، ج: ٢ ص: ١٥٢.

أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي»[١].

الخامس: أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم علومه ومعارفه:

وذهب إلى هذا القول عدد من العلماء قديماً وحديثاً قال به الغزالي (ت٥٠٥هـ) والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) والزركشي (ت٧٩٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) ومن المتأخرين الجوهري والإسكندراني والكواكبي والمراغي ومحمد رشيد رضا ومحمد فريد وجدي والقاسمي ومصطفى الرافعي ومحمود شكري الألوسي وابن باديس والغمراوي وعبد الرزاق نوفل وغيرهم كثير[٢] وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لهذا الوجه.

والأقوال في وجه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة وكثرتها ناشئة من تكرار بعضها إذ أن بعض هذه الأوجه داخل في بعض قال الألوسي: «قد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى، الكثير منها خواصه وفضائله»[٣].

والرأي الراجح في وجه الإعجاز في القرآن أن لا يقتصر على وجه واحد فإعجازه مركب من وجوه عدة فهو معجز في نظمه وفي أسلوبه وفي بلاغته وفي أخباره وفي علومه ومعارفه كما قال الزركشي رحمه الله تعالى وهو يعدد أوجه الإعجاز: «الثاني عشر: وهو قول أهل التحقيق أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع كلَّه، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق»[٤] وقال الألوسي في ترجيحه «والذي يخطر بقلب هذا

---

(١) مفتاح العلوم: السكاكي. ص:٢١٦.
(٢) انظر كتابي اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، ج:٢ ص: ٥٥٠ وما بعدها.
(٣) روح المعاني: الألوسي، ج:١ ص:٢٩.
(٤) البرهان في علوم القرآن: الزركشي. ج:٢ ص:١٠٦.

الفقير أن القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجزة بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، وقد يظهر كلها في آية، وقد يستتر البعض كالأخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فما يبقى كافٍ في العرض وافٍ.

نجوم سماء كلما انقض كوكب   بدا كوكب تأوي إليه كواكب[1]

وسنذكر بعد ذلك بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم بشيء من التفصيل المناسب للمقام.

الإعجاز اللغوي:

وهو أبرز وجوه الإعجاز وأظهرها. إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها.

والقوم أدركوا أول ما أدركوا إعجازه البياني فملك منهم الألباب واستولى على الأفئدة.

ويطلق على هذا الوجه عدة مصطلحات فيسمى: (الإعجاز اللغوي) و(الإعجاز البياني) و(الإعجاز البلاغي) وتدخل في هذا المعنى أيضاً أقوالهم المختلفة في أن إعجاز القرآن (بلاغته) أو (فصاحته) أو (ما تضمنه من البديع) أو (نظمه) أو (أسلوبه) أو غير ذلك من فروع اللغة العربية.

والناظر في هذا القرآن الكريم لا يخلو من حالتين[2]:

الأولى: أن لا يكون ممن أوتوا قوة المعرفة للفصل بين درجات

---

(١) روح المعاني: الألوسي ج:١ ص:٢٩، والبيت لأبي الطمحان القيني، انظر الشوارد: للأستاذ عبد الله بن خميس. ج:١ ص:٦٠ والقافية عنده (كواكبه).

(٢) لمزيد من التوسع والبيان انظر كتاب النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز. ص:٩٢ وما بعدها ومنه اقتبست أفكار هذا المبحث وزينته ببعض ألفاظه.

الكلام والتفريق بين البليغ والأبلغ والفصيح والأفصح.

الثانية: أن يكون قد أوتي حظاً من التمييز بين الأساليب ومعرفة درجات البلاغة والفصاحة.

فإن كنت من الفئة الأولى فلا سبيل لك لمعرفة إعجاز القرآن وبلاغته بحسك وذوقك وإنما سبيلك أن تقنع بشهادة أهل الخبرة والمعرفة، وهم هنا أهل الفصاحة والبلاغة، والبيان والبديع وأعلمهم بذلك سليقة، وأجودهم فطرة، وأتقنهم تربية وسماعاً هم من نزل عليهم القرآن وأولئك قد أقروا بذلك في مشاهد عديدة، وأقوال كثيرة فهذا الوليد بن المغيرة يقول لمن أنكر عليه سماعه للقرآن وتأثره به «والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾[1] وقد وصف الله تفكيره بقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: «فانظر تصوير القرآن للجهد العنيف الذي بذله الرجل في إصدار حكمه الثاني حيث يقول: إنه فكر وقدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر ومعنى هذا كله أنه كان يقاوم فطرته ويستكره نفسه على مخالفة وجدانه، وأنه كان في حيرة وضيق بما يقول.. وأخيراً استطاع أن يقول ما قال نزولاً على إرادة قومه، وانظر الفرق بين

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه: جـ:٢ ص:٥٠٦ ـ ٥٠٧ وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والآية: ١١ من سورة المدثر.

(٢) سورة المدثر: الآية ١٨ ـ ٢٥.

هذا الحكم المصطنع وبين حكم البديهة العربية في قوله أول مرة: إنه يعلو وما يعلى وإنه يحطم ما تحته» هذه شهادة أهل اللغة نفسها وهي شهادة خصم والفضل ما شهدت به الأعداء.

وإذا لـم تـرَ الـهـلال فـسـلـم لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

وإن كنت من الفئة الثانية وهم الذين أوتوا حظاً من تذوق البيان وشيئاً من إدراك الفصاحة والبلاغة فدونك نصوص البلغاء، وأبيات الشعراء، وكلمات الخطباء اختر منها ما شئت من أرقى عصور البلاغة وأعلى صور البيان ثم انظر في آية من آيات القرآن ستجد البون شاسعاً، والفرق كما بين الثرى والثريا أو السماء والأرض.

فإن قلت: نعم لقد نثرت كنانة الكلام بين يدي وعجمت سهامها، فما وجدت كالقرآن أصلب عوداً، ولقد وردت مناهل القول وتذوقت طعومها فما وجدت كالقرآن أعذب مورداً، وقد آمنت أنه كما وصفتموه غير أن الذي أحس به من ذلك معنى يتجمجم في الصدر لا أحسن تفسيره ولا أملك تعليله، فهل من سبيل إلى عرض شيء من ذلك علينا لتطمئن به قلوبنا ونزداد إيماناً إلى إيماننا؟

قلنا: إن هذا أمر جسيم، ومرام بعيد لا يمكن رسمه في هذه العجالة ولو طالت، ولعلنا نذكر ما يقرب البعيد ويدنيه، ونتحدث عن أمرين:

أولهما: ألفاظه وهي القشرة البادية.

ثانيهما: معانيه وهي اللآلئ الكامنة.

فأول ما يلاقيك من ألفاظه خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره.

١ - دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن لا بنفس تاليه ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، ووصلها وسكتها ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وستجد اتساقاً وائتلافاً يسترعي

سمعك لا يعروك منه على كثرة ترداده ملل ولا سأم. هذا الجمال في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب فكيف يخفى على العرب أنفسهم. إنه النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس فيه آناً بعد آن.

٢ ـ وإذا ما قربت أذنك قليلاً قليلاً فطرقت سمعَك جواهرُ حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وعلاقاتها مع بعضها فهذا ينقر وهذا يصفر وذاك يهمس وذلك يجهر وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس عنده النفس وهلُمَّ جراً، فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعةٍ مختلفة مؤتلفة.

من هاتين الصفتين السابقتين تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني وليس الشأن في هذا الغلاف إلا كشأن الأصداف مما توحيه اللآلئ النفيسة؛ فاقتضت حكمته تعالى أن يصون معاني القرآن الكريم السامية بألفاظ عذبة تغري بطلاوتها، وتكون بمنزلة (الحداء) يستحث النفوس على السير إليها، ويهون عليها عناء السفر في طلبها، لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبداً في أفواه الناس وآذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سره، وينفذون بها إلى بعيد غوره.

ثانياً: المعاني:

فإن لم يلهك جمال القشرة البادية عن سامي المعاني المستترة، فكشفت الصدفة عن درها، ونفذت من هذا النظام اللفظي إلى ذلك النظام المعنوي تجلى لك ما هو أبهى وأبهر، ولقيت ما هو أروع وأبدع، ولا تحسبن ذلك الأمر لا يظهر أمره إلا في مجموع القرآن بل يظهر ذلك في

القطعة منه، ويظهر في السورة، وسنعرض لك لمحة سريعة عن هاتين المرتبتين:

أولاً: بيان القرآن في قطعة قطعة منه:

فمن صفاته:

١ ـ القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى:

وهما طرفان متقابلان الميل لأحدهما ميل عن الآخر فمن أوجز في لفظه لا ينفك من أن يحيف على المعنى قليلاً أو كثيراً ومن يعمد إلى الوفاء بالمعنى وإبراز كل دقائقه لا يجد في قليل اللفظ ما يشفي صدره فيسترسل استرسالاً يشعرك بتضاؤل قوة نشاطك واضمحلال باعثة إقبالك؛ فإن سرك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع فانظر حيث شئت من القرآن الكريم تجد وفاء الألفاظ بحق المعاني واحتواء المعاني للألفاظ بحيث لا يستغني معنى عن لفظة ولا تقصر لفظة عن معنى كما قال ابن عطية: «لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[١].

٢ ـ خطاب العامة وخطاب الخاصة:

وهما أيضاً غايتان متباعدتان فما تخاطب به الذكي لا تخاطب به الغبي، وما تخاطب به الطفل لا تخاطب به الكبير، أدرك العرب ذلك وسدوا عجزهم عنه بعبارات مثل «لكل مقام مقال» ونحو ذلك.

وجاء القرآن الكريم وقد ملك الغايتين فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام وأبلغه، ويراه العامة أحسن كلام وأوضحه.

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية. ج:١ ص:٦٠ ـ ٦١.

٣ ـ إقناع العقل وإمتاع العاطفة:

وفي كل إنسان قوتان:

أ ـ قوة تفكير.

ب ـ قوة عاطفة ووجدان.

والقوة الأولى تغوص باحثة عن الحقائق المستترة والمعاني الباطنة، وأما الثانية فتطفو تبحث عن الجمال الظاهر في القشرة البادية. والنفس الإنسانية إما أن تغوص مع تلك أو تطفو مع هذه، ولا تستطيع أن تغوص وتطفو في آن واحد أو لحظة واحدة.

وحين تظهر (قوة الوجدان) تضعف (قوة التفكير) فلا يتقن عقله فكراً فإن وفى المتكلم بحق العقل بخس حق العاطفة وإن وفى بحق العاطفة بخس حق العقل فإما أن يأتي بكلام علمي مجرد يرضي به عقله أو بكلام أدبي منمق يرضي به عاطفته حتى بات الناس يقسمون **الأساليب إلى نوعين لا ثالث لهما:**

أ ـ أسلوب علمي.

ب ـ أسلوب أدبي.

وقسمت الدراسة في عصورنا هذه إلى علمية أو أدبية؛ فلا تطمع من إنسان في أن يهب لك هاتين الطلبتين على سواء وهو لم يجمعهما في نفسه على سواء وما كلام المتكلم إلا نتاج قوته إما قوة التفكير وإما قوة الوجدان وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

حاشا القرآن الكريم الذي جمع (قوة الحقيقة البرهانية) (وقوة المتعة الوجدانية) تدبروا في آيات القرآن الكريم فسترون أنها في معمعة البراهين والأحكام لا تنسى نصيب القلب والوجدان ذلك أنها كلام الله رب العالمين الذي لا يشغله شأن عن شأن.

٤ ـ البيان والإجمال:

وهما أيضاً أمران متقابلان لا يكادان يجتمعان في كلام إن وجد الأول اضمحل الثاني وإن وجد الثاني تلاشى الأول. فكلام البشر إما أن يكون مجملاً وإما أن يكون مبيناً وأنى له أن يكون مجملاً مبيناً في آن واحد.

أما القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى فالأمر غير ذلك تقرأ الآية القرآنية فتجد فيها من الوضوح والظهور ما يبوئها الدرجة العليا في البيان بأسلوب محكم خال من كل غريب عن الغرض، يسبق معناها إلى نفسك دون كد ذهن ولا إعادة تلاوة فإن أعدت النظر مرة أخرى لاح لك منها معان جديدة فإن زدت التدبر زاد العطاء وانكشف لك ما يجعلك توقن أن في الآية (إجمالاً) لمعان عديدة مع بيان ووضوح.

ثانياً: بيان القرآن في سورة سورة منه:

وهي أيضاً مرتبة من مراتب البيان في القرآن لها صفات وخصائص أهمها:

الكثرة والواحدة:

فالكلام هو مرآة المعنى فإن ساء نظمه تبددت معانيه كما تتبدد الصورة الواحدة على المرآة المهشمة أو غير المستوية السطح.

ولا بد لإبراز المعنى ووضوحه من إحكام ألفاظه وإتقان بيانه وذلك بتمام التقارب بين كلماته والترابط بين جمله حتى تتماسك وتتعانق أشد ما يكون التماسك وأقوى ما يكون العناق.

وليس ذلك بالأمر الهيّن بل هو مطلب شاق يحتاج إلى مهارة وحذق، ولطف وحس في اختيار أحسن المواقع لتلك الأجزاء، أيها أحق أن يجعل أصلاً أو تتمة، وأيها أحق أن يبدأ به أو يختم، ثم اختيار أحسن الطرق للمزج بينها بالإسناد أو التعليق أو بالعطف، وغير ذلك من أسباب الترابط،

ذلك حال المعنى الواحد الذي تتصل أجزاؤه فيما بينها، فما ظنك بالمعاني المختلفة في جوهرها، كم تحتاج من المهارة والحذق؟ ولهذه المشقة نرى كثيراً من البلغاء حين ينتقل من معنى إلى معنى لا يستغني عن استعمال بعض الأدوات لسد الثغرة التي يحدثها الانفصال بين المعاني من نحو قولهم (وبعد) أو (ونعود) أو (ننتقل إلى الحديث عن) أو (وسنتحدث) أو (بقي علينا) ونحو ذلك...

وهذا شأن البلغاء في الحديث الواحد في المجلس الواحد فكيف لو جاء حديثه في أماكن مختلفة وأزمان متباعدة ألا تكون سمات الانفصال وظواهر الانقطاع أقوى وأشد.

حاشا القرآن فقد اشتملت السورة منه على وصف، وقصص، وتشريع، وجدل، وعقائد، وأمر، ونهي، ونزلت السورة في أوقات مختلفة وأزمان متباعدة، ورتبت آياتها بطريقة عجيبة يرسم مكان الآية ويحدد قبل أن تنزل الآية التي قبلها أو التي بعدها ثم لا يحدث أن تنقل من موضعها إلى آخر فإذا نزل ما حولها من الآيات رأيت الترابط والتلازم كأنهن قطعة واحدة بل رأيتهن مع بقية آيات السورة كأنهن سبيكة واحدة فلا تجد فرقاً ولا يستبين لك أمر في معرفة ما نزل من السورة منجماً وما نزل منهن مفرقاً فجاءت الكثرة الكاثرة من المعاني في السورة كأنهن معنى واحداً أو آية واحدة محكمة السبك متقنة السرد[(١)(٢)].

---

(١) إن شئت دراسة وافية دقيقة لنموذج تطبيقي لهذا المعنى فانظر ما كتبه الدكتور محمد عبد الله دراز عن الكثرة والواحدة في سورة البقرة في كتابه النبأ العظيم من ص:١٤٢ إلى نهاية الكتاب.

(٢) إلى هنا انتهى ما اقتبسته مما كتبه في هذا الموضوع الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم (النبأ العظيم) من ص:٩٢، ولمزيد بيان انظر ما كتبه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان) ج:٢ ص:٣٢٥ ـ ٣٥٣. والأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، ص:٢١٣ ـ ٣٠٩.

الإعجاز العلمي:

القرآن الكريم كلام الله، والكون كله من خلق الله، ولا يشك مؤمن في التطابق التام بين كلام الله تعالى وبين حقائق هذا الكون ونظامه.

ولا ريب أن المؤمن حين يقرأ اكتشافاً علمياً جديداً أثبته العلماء بالبرهان القاطع ثم يجد ذلك مذكوراً في القرآن أو ما يوافقه فإنه يشعر بزيادة الطمأنينة القلبية كالتي طلبها إبراهيم عليه السلام وبفرح وسرور كفرح الرسول ﷺ بحديث الجساسة[1].

لكن هذه المقارنة أو التوفيق بين النص القرآني الكريم والاكتشاف العلمي الجديد ينبغي أن تكون له ضوابطه وأن تكون له موازينه. ولهذا وقع الاختلاف بين العلماء في التفسير العلمي للقرآن الكريم بين مؤيد ومعارض.

المراد به:

يراد بالتفسير العلمي: «اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه» وهذا تعريفه بما هو عليه، أما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه فهو: «كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي».

والفرق بينهما أن في الأول خلطاً بين النظريات والحقائق بحيث نجد كثيراً من المفسرين يفسرون القرآن بهما من غير تحقيق، وما ينبغي أن يكون هو التمييز بين النظريات والحقائق والاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم.

أقوال العلماء في الإعجاز العلمي[2]:

مما لا شك فيه أن مثل هذا اللون من التفسير في جدته وتجدده

---

(١) انظر حديث الجساسة في صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٢٦١.

(٢) نقلت هذا المبحث بتصرف يسير من كتابي اتجاهات التفسير، ج: ٢ ص: ٥٥٠، وما بعدها.

سيكون له خصوم، وسيكون له أنصار، يلتمس كل منهم دليلاً، ينصر به رأيه، ويؤيده به، ثم يكر على دليل الخصم فيبطله.

وقد كان هذا الأمر في التفسير العلمي للقرآن الكريم منذ لحظات بزوغه، ونحن وإن كنا لا نعرف هذا الحدث باليوم أو بالسنة إلا أن العلماء اتفقوا على أن الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير وعلى هذا فيكون ظهوره على وجه التقريب في أواخر القرن الخامس الهجري، واتفقوا أيضاً على أن الغزالي نفسه أكثر من استوفى بيان هذا القول إلى عهده[1].

ومما لا شك فيه أن الغزالي لم يكن وحيداً في الميدان يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم وما زالت المعركة قائمة لم يهدأ لها بال ولم تقعد لها قائمة وانقسموا إلى فريقين أو ثلاثة:

١ ـ المؤيدون للتفسير العلمي.

٢ ـ المعارضون.

٣ ـ المعتدلون.

المؤيدون للتفسير العلمي:

ومن المؤيدين للتفسير العلمي الإمام الغزالي، الفخر الرازي، الزركشي، السيوطي، البيضاوي، نظام الدين النيسابوري، ومن المعاصرين الألوسي، وطنطاوي الجوهري، والإسكندراني، والكواكبي، ومحمد فريد وجدي، والرافعي، والقاسمي وغيرهم.

---

(١) انظر مثلاً: التفسير معالم حياته: أمين الخولي ص:٢٠ والتفسير والمفسرون: الذهبي ج:٣ ص:١٤٠ ولمحات في علوم القرآن: محمد الصباغ ص:٢٠٣ والتفسير العلمي للقرآن الكريم: عبد الله الأهدل، ص:١٨٥ واتجاهات التفسير في العصر الراهن: عبد المجيد المحتسب. ص:٢٤٧، وغيرهم.

من أدلة المؤيدين للتفسير العلمي:

استدل المؤيدون للتفسير العلمي بأدلة كثيرة منها[1]:

١ ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات:

كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[5] وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

٢ ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار:

كحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتن قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.. الحديث»[6].

وما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين»[7].

٣ ـ وقالوا أن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم

---

(١) نقلت هذه الأدلة بتصرف من بحث (التفسير بمكتشفات العلم التجريبي) للدكتور محمد الشايع مجلة جامعة الإمام، العدد الرابع ١٤١١هـ ص:٣٧ ـ ٤٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٤) سورة ق: الآية ٦.

(٥) سورة فصلت: الآية ٥٢.

(٦) رواه الترمذي جـ:٥ ص:١٧٢، وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال» وتعقبه ابن كثير في فضائل القرآن: ص:١١، فقال: «... بل قد رواه محمد ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور.. ثم قال.. وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود».

(٧) الإتقان: السيوطي جـ:٢ ص:١٢٦.

والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزاً لما ملأ الله كتابه منها[1].

٤ ـ أن العلم الحديث قد يكون ضرورياً لفهم بعض المعاني القرآنية وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهماً دقيقاً متوقفاً على تقدم بعض العلوم فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية.

٥ ـ تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي منها[2]:

أ ـ إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب ـ استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

جـ ـ امتلاء النفوس إيماناً بعظمة الله جل جلاله وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن.

المعارضون للتفسير العلمي:

ومن المعارضين للتفسير العلمي أبو حيان الأندلسي والشاطبي، ومحمود شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب وغيرهم.

---

(١) تفسير الرازي: جـ:٤ ص:١٢١.

(٢) انظر كتابي (اتجاهات التفسير)، جـ:٢ ص:٦٠٢.

من أدلة المعارضين[1]:

واستدل المعارضون للتفسير العلمي بأدلة منها:

١ ـ أن للتفسير شروطاً وقيوداً قررها العلماء ينبغي الالتزام بها فلا يكون تفسير القرآن مباحاً لكل من حصل علماً من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر. ومن ذلك عدم تحميل ألفاظ القرآن معاني وأطلاقات لم توضع لها ولم تستعمل فيها.

٢ ـ أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم ونظرياته ودقائق الاكتشافات والمعارف ومن طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

٣ ـ أن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لأن عملية التوفيق تفترض غالباً محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء[2].

٤ ـ أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلاً غير مشروع.

٥ ـ أن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائماً للتغيير والتبديل، والتعديل، والنقض، والإضافة بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية.

---

(١) انظر كتابي اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، جـ:٢ ص:٦٠٢ ـ ٦٠٣ والتفسير بمكتشفات العلم التجريبي: د. محمد الشايع ٢٨ ـ ٣٣.
(٢) معالم الشريعة: د. صبحي الصالح، ص: ٢٩٠.

الرأي المختار[1]:

قبل أن نذكر ما نراه صواباً يجب أن نذكر حقيقة ينبغي إدراكها وهي التفريق بين التفسير العلمي، والإعجاز العلمي. فالأول هو مثار البحث والمناقشة وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها.

ذلكم أن المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له أيضاً كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية.

لم يقولوا هذا عن عاطفة مجردة، ولم يقله أتباع القرآن فحسب، وإنما قاله أولئك، وقاله خصومه أيضاً، بعد أن تناولوا آيات عديدة منه، وقلبوها دراسة وتأملاً، وتدبراً، ونظروا فيما بين أيديهم من النظريات والحقائق العلمية حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه.

وقد يحسب أحد أن السلامة من مصادمة الحقائق العلمية أمر هين فما على المتكلم إلا أن يتجنب الخوض في مجالاتها، ويحذر من الوقوع في مبهمات العلوم، وغوامض المعارف، وأسرار الكون وخفايا العلم وبذا يظفر بهذه السمة.

والأمر حق لو كان القرآن سلك هذا المسلك لكنه وقد أنزل قبل أربعة عشر قرناً من الزمن عرض لكثير من مظاهر هذا الكون كخلق السموات والأرض وخَلْقِ الإنسان، وسَوْقِ السحب وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس، وتحدث عن القمر والنجوم والشهب وأطوار الجنين. وعن النبات والبحار وغير ذلك كثير ومع ذلك كله لم يسقط العلم كلمة من كلماته، ولم يصادم جزئية من جزئياته[2]، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازاً علمياً للقرآن حتى ولو لم يتم الربط بين الآية والاكتشاف العلمي الحديث.

---

(١) نقلته بتصرف من كتابي اتجاهات التفسير ج:٢ ص:٦٠٠ ـ ٦٠٤.

(٢) انظر كتابي (خصائص القرآن الكريم) ص:٧٥ ـ ٧٦.

وهذا أمر يدركه ويقره كل العلماء لا ينكره أحد فالإعجاز العلمي في القرآن متحقق مدرك ثابت، لا خلاف فيه.

ثم انقسم العلماء بعد ذلك إلى قسمين فمنهم من قال: ما دام الإعجاز العلمي متحققاً في القرآن وثابتاً فما علينا أن نطبقه بين آياته واحدة واحدة وبين الحقائق العلمية واحدة واحدة وامتنعت طائفة أخرى عن تطبيقه لا خوفاً عليه من النقض وليس لخشية على حقائقه، ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر فقد نحسب نظرية علمية حقيقة علمية فما تلبث إلا قليلاً حتى تتقوض بعد رسوخ، وتتزعزع بعد ثبوت، ولات حين مناص نقع في الحرج الشديد فيُكَذَّبُ القرآن وهو الصادق فتكون البلية، فالعيب والنقص في مداركنا وليس في حقائق القرآن.

وبهذا تدرك أن الجميع يقول بالإعجاز العلمي في القرآن لكن منهم من قال بجواز التفسير العلمي ومنهم من منعه **والذي نراه صواباً** هو الوسط بين الفريقين.

فلا رفض ولا إنكار للتفسير العلمي يمنع من إدراك وجوه الإعجاز الجديدة، ويدفع مزاعم القائلين بالعداوة بين الدين والعلم، ويمنع من استمالة غير المسلمين أو يحث على الانتفاع بقوى الكون.

ولا تسليم مطلق للتفسير العلمي لأن إعجاز القرآن ثابت وغني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك، كما أن الدعوة إلى النظر في الكون دعوة لمواضع العبرة والعظة وليس بالضرورة إلى بيان دقائقها وكشف علومها ولأن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه وأن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ القرآن ويحملها ما لا تحتمل فضلاً عن أن ما يكشف من العلوم إنما هو فروض ونظريات قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة.

إذاً فلا رفض مطلق ولا قبول مطلق بل وسط بين طرفين وجمع بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين.

لهذا فلا بأس ـ فيما أرى ـ من إيراد الحقائق العلمية الثابتة في تفسير القرآن بشرط:

١ ـ ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.

٢ ـ أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٣ ـ أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية.

٤ ـ أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان[1].

فإذا تحققت هذه الشروط فلا مانع من إيراد الحقائق العلمية في كتب التفسير والله أعلم.

من المؤلفات في الإعجاز العلمي:

هناك مؤلفات كثيرة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أذكر منها:

١ ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.

٢ ـ كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الإسكندراني.

٣ ـ القرآن ينبوع العلوم والعرفان: علي فكري.

---

(١) مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني ص٥٨، مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة. د. مصطفى مسلم.

٤ ـ ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: محمود شكري الألوسي.

٥ ـ التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: حنفي أحمد.

والمؤلفات في ذلك كثيرة جداً، وهناك محاضرات وأفلام على هذا النحو، كما أُنشِأَت في المملكة العربية السعودية هيئة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة تابعة للمجلس الأعلى للمساجد تعقد الندوات والمحاضرات وتطبع الكتب المتعلقة بذلك.

أمثلة للتفسير العلمي:

والأمثلة على الحقائق العلمية والآيات القرآنية التي توافقها ولا تخالفها كثيرة ليس بوسعنا أن نوردها بالتفصيل بل نذكر الآية وما تشير إليه بإيجاز شديد ومن أراد التوسع فدونه كتب الإعجاز العلمي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[١] تفريق بين الشمس والقمر ثم أدركه العلماء بعد ذلك.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾[٢] إشارة إلى شكل الجبل الظاهر والباطن وأدركه العلماء بعد ذلك.

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[٣] إشارة إلى مراحل خلق الإنسان في الرحم ولم يدركها العلماء إلا في العصور الحديثة.

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

(١) سورة يونس: الآية ٥.
(٢) سورة النبأ: الآيتين ٧ ـ ٨.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾[1] إشارة إلى موضع تَكَوُّن النطفة وهو أمر لم يدركه العلماء إلا حديثاً.

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾[2] في تخصيص البنان بالذكر صفة تميزه عن غيره من أعضاء الجسم لم يكتشفها العلم إلا حديثاً وهو علم البصمات.

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[3] إشارة إلى مركز الحس بالألم في الإنسان وهو الجلد.

٧ ـ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[4] إشارة إلى ضيق صدر من يصعد إلى السماء وهو أمر لم يكتشفه العلم إلا حديثاً حيث يقل الأوكسجين وينخفض الضغط.

٨ ـ وفي قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[5] إشارة إلى ما اكتشف العلم الحديث بعضه من عظمة هذا الكون واتساعه الذي يقصر عن إدراكه إنسان.

٩ ـ وفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[6] إشارة إلى ما كان مجهولاً من تحديد مصدر اللبن في الأنعام.

١٠ ـ وفي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً

---

(١) سورة الطارق: الآيات ٥ ـ ٧.
(٢) سورة القيامة: الآية ٤.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٦.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٥) سورة الواقعة: الآية ٧٥.
(٦) سورة النحل: الآية ٦٦.

مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] إشارة إلى أن الإنسان يخلق من جزء ضئيل جداً (نطفة) من المني وهذا ما كشفه العلم الحديث.

وسبحان الذي أحاط بكل شيء علماً...

الإعجاز التشريعي:

والمراد بهذا الوجه ذلكم (التشريع) الذي جاء به القرآن الكريم الشامل الكامل المحكم المتقن.

(شامل) لكافة أوجه التشريع سواء ما يتعلق منها بالفرد أو في المجتمع، وسواء أكان في العقيدة أو العبادة أو المبادئ والأخلاق، أو الاجتماع، أو الاقتصاد، أو السياسة في السلم أو الحرب، في السفر أو الحضر، في الليل أو النهار.

(كامل) لاستيفائه لدقيق المسائل وجليلها، وصغيرها وكبيرها.

(محكم متقن) لا نقص فيه ولا عيب، ولا قصور ولا خلل.

أحكم تشريع، وأكمل نظام، عجز البشر ولا زالوا عن الإتيان بمثل تشريعه، أو الإتيان بمثل سياسته أو نظامه فحين ننظر في التشريعات البشرية والقوانين الوضعية نرى البون الشاسع بين هذا وذاك مما يكشف لنا وجه الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

فهذا التشريع بشموله وكماله وإحكامه أكبر من أن تحيط به العقول البشرية في جيل واحد أو في مجموعة من الأجيال فضلاً عن أن يحيط به عقل بشري واحد في جيل واحد.

وليس من السهل أن نرسم في أسطر معالم هذا التشريع المعجز ولكنها إشارة مجرد إشارة بأصبع صغير إلى شيء عظيم. فنشير إلى أن

---

(١) سورة القيامة: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

القرآن نزل في مجتمع جاهلي سادت فيه الجاهلية العقيدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وليس من السهل في مثل هذا المجتمع نقد أمر من أمورها فضلاً عن تغييره أو قلب الأمور كلها فسلك القرآن مسلكاً عجيباً.

منهج القرآن في التشريع:

يقوم منهج القرآن في التشريع على أسس منها:

أولاً: تربية الفرد:

ومن شأن كل بناء أن يبدأ بالقطع الصغيرة يصفها بعضها إلى بعض حتى يصبح بناء عظيماً، والأفراد هم لبنات المجتمعات وتهذيب الأفراد وتربيتهم تأسيس لبناء محكم متقن ومن أسس هذه التربية:

١ - تطهير قلبه من أدران الشرك:

ببيان أن هذه الأصنام والأوثان لا تضر ولا تنفع فلاتستحق العبادة، ووبخهم وشنع عليهم ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[2] وقال سبحانه: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٦.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.

بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[2] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[3] وهكذا في آيات كثيرة كشف أحوال هذه الأصنام والأوثان التي يدعونها من دون الله وبسط الأدلة على عدم استحقاقها للعبادة، فطهر قلوبهم من أدران الشرك.

٢ ـ غرس عقيدة التوحيد:

وبعد أن نزع منهم عقيدة الشرك غرس في الأرض الطيبة عقيدة طيبة، وبعد أن نزع من قلوبهم عبادة الأصنام دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مثبتاً استحقاقه سبحانه للعبادة وحده دون سواه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[5] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾[6] وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾[7].

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٩١ ـ ١٩٦.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٢.
(٣) سورة فاطر: الآية١٣.
(٤) سورة الرعد: الآيات ٢ ـ ٤.
(٥) سورة الملك: الآية ٣٠.
(٦) سورة الملك: الآية ١٩.
(٧) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٤.

ثم بين الوحدانية ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[1] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ﴾[2] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾[3].

وحذر من أن يشرك به ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[4] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[5] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ﴾[6] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[7] ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[8].

وإذا كان سبحانه إلهاً واحداً لا شريك له فالعبادة حق له سبحانه وحده ويجب الإذعان والإسلام له ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ﴾[9] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[10] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[11] ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ ﴾[12] ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ﴾[13].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.
(٣) سورة الصافات: الآية ٥.
(٤) سورة النساء: الآية ٤٨.
(٥) سورة النساء: الآية ١١٦.
(٦) سورة المائدة: الآية ٧٤.
(٧) سورة الإسراء: الآية ٢٢.
(٨) سورة الإصراء: الآية ٣٩.
(٩) سورة الحج: الآية ٣٤.
(١٠) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(١١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.
(١٢) سورة النساء: الآية ٣٦.
(١٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

٣ ـ التربية بالعبادة:

وانتقل القرآن بالفرد من صحة العقيدة إلى صحة العبادة فشرع العبادات التي تهذب سلوك الفرد، وتربطه بربه في كل شأن من شؤونه ومنها:

أ ـ الصلاة:

وهي صلة بين العبد وربه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي لقاء يومي بين المسلم وإخوانه خمس مرات في اليوم، ولقاء أسبوعي مع آخرين منهم في يوم الجمعة ولقاء سنوي كالعيدين وهي مدعاة للترابط والشعور بالمسؤولية المشتركة في بعضها كصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء.

وهي علاج لما نلاحظه في عصرنا هذا من تفكك اجتماعي بين الجيران حيث لا يكاد الجار يعرف جاره حتى اسمه. أرأيتم لو كان هؤلاء الجيران يلتزمون بهذه الشعيرة بأدائها في مسجد واحد خمس مرات في اليوم هل سينكر بعضهم بعضاً، أو يقع بينهم هذا التقاطع.

ب ـ الزكاة:

وهي تطهير للنفس من الشح والبخل أولاً، وكبح للنفس في لهاثها خلف المادة، وتعليم وأي تعليم أن المال وسيلة وليس بغاية، وتربية للنفس على الإحساس بمعاناة إخوانه المسلمين ومواساتهم، وإعانتهم على قضاء حوائجهم.

جـ ـ والصيام:

كبح لجماح النفس عن شهواتها، وتقوية للتحكم في رغباتها، وترويض لها على الصبر على الطاعات، والاعتدال في الملذات، حتى يسهل انقيادها لصاحبها، فلا تجمح به إن رام خيراً، أو تشرد به إلى الآفات والشرور.

وهو أيضاً تذكير للمسلم بحالة إخوانه الفقراء المحتاجين فإن كان المانع له عن الأكل الشرب في هذا الشهر هو التعبد فهناك من يمنعهم طول العام مانع آخر هو الفقر.

د ـ الحج:

وهو عبادة مالية، بدنية، وفي الأولى بذل للمال لركوبه، وزاده، وسكنه، وهديه، وغير ذلك. وفي هذا مثل ما في الزكاة، وفي الثانية تربية للنفس على تحمل المشاق وترك ما اعتادت في إقامتها من دعة أو سكون وتعويد لها على الصبر على حرارة الصيف أو برد الشتاء، وعلى الحلول والارتحال، وتغيير المبيت وكثرة التنقل أشبه ما يكون في جيش المجاهدين في سبيل الله، ولا تخفى آثار ذلك وفوائده.

وهو فوق هذا لقاء سنوي بين جموع المسلمين من شتى أقطار الأرض يتفقد فيه بعضهم أحوال بعض ويعرف بعضهم بعضاً فيشعر بالأخوة الإسلامية بأبعادها ويعاني بعض معاناتهم.

٤ ـ التربية بتهذيب السلوك:

وبعد تنقية القلب من أدران الشرك وغرس العقيدة الصحيحة وتوثيق الصلة بين العبد وربه رسم بحكمة العلاقة بين العباد وجعلها تقوم على المحبة والمودة ونهى عن كل ما يؤدي إلى ضعفها أو وهنها ونرى معالم هذه التربية في صور منها:

أ ـ تزكية النفس:

وذلك يكون بإلزامها بالآداب الحميدة والأخلاق الفاضلة فأمر بالصبر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ . . .﴾ الآية[1] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِۚ ...﴾ الآية[1] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[2].

وأمر بالصدق ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ...﴾ الآية[3] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[4] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[5].

وأمر بالعدل والإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[6] ونهى عن الأخلاق السيئة كالتبختر ورفع الصوت ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ﴾[7].

وأمر بغض البصر وحفظ الفرج ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ﴾[8].

ب ـ توثيق أواصر الصلة بين العباد:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ﴾[9] وأمر بالتآخي ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[10] وبالتعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾[11] وأمر بأداء الأمانة والعدل ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِۚ﴾[12].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤٣.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٦) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٧) سورة لقمان: الآيتين ١٨ ـ ١٩.
(٨) سورة النور: الآية ٣٠.
(٩) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(١٠) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(١١) سورة المائدة: الآية ٢.
(١٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

جـ - نهى عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف:

فنهى عن السخرية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ...﴾ الآية[1] ونهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾[2] ونهى عن شهادة الزور وقول الزور ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾[3].

وبهذا يكتمل بناء الفرد ويصبح لبنة صالحة لبناء أسرة صالحة، قائمة على أسس ثابتة، وقواعد راسخة.

ثانياً: بناء الأسرة:

ومن بناء الفرد وتهذيبه، وإصلاحه وتقويمه إلى بناء الأسرة الواحدة المترابطة المتماسكة وشرع لها نظامها وأسسها فمن ذلك:

أ - الزواج:

وهو الطريق الصحيح إلى بناء الأسرة، والأرض الصلبة التي يقوم عليها البناء، ولأهمية هذا الأمر وضرورته وحتى يجد الناس كلهم الدافع القوي لذلك جعل غريزة الجنس من أقوى الدوافع لسلوكه فهذبها بالزواج وحفظها بالآداب.

وبين ما للزوج على زوجته من حقوق وما للزوجة على زوجها من حقوق ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

وجعل القوامة للرجل ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1] والقوامة هنا لا تعني التسلط ولو أدركت النساء في عصرنا هذا معنى القوامة حقاً لطالبن الرجال بالقوامة عليهن وأدائها، وأصررن على قيام الرجل بها، وحُقَّ لهن ذلك.

ب ـ تربية الأولاد:

ومن أسس بناء الأسرة حسن تربية الأولاد فهم أمانة في أعناق الآباء لهم حقوقهم في حسن التربية، والرعاية والنفقة حتى وهو في بطن أمه المطلقة.

ج ـ بر الوالدين:

وكما أمر الآباء بأداء حق الأولاد أمر الأبناء أيضاً ببر الوالدين وأوصى بذلك ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾[2] ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3].

فإذا أدى الزوج حق زوجته وأدت الزوجة حق زوجها وأدى الابن حقوق والديه وأدى الآباء حقوق الأبناء أصبحت الأسرة متماسكة مترابطة تصلح وأي صلاح لبناء مجتمع قوي.

ثالثاً: بناء المجتمع:

وإذا كان بناء الأسر يقوم على بناء الأفراد وهم لبناته فإن بناء المجتمعات يقوم على هذه الأسر، وقد رسم القرآن نظام هذا المجتمع ووضع له أسسه ونظامه فشرع لذلك:

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

١ ـ الحكومة الإسلامية:

إذ لا يستقيم لمجتمع أن يظل على ترابطه ما لم يكن له حكومة تسوسه وترعاه، وتتفقده وتحميه وتنظم شؤونه، وترتب أموره، وجعل لهذه الحكومة نظامها وقواعدها فمن ذلك:

أ ـ الشورى:

وقد أمر الله بذلك نبيه ومن باب أولى ولاة الأمر من بعده ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[١] ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٢] ولأهمية الشورى سميت سورة كاملة باسمها.

ب ـ الحكم بما أنزل الله:

ويجب على هذه الحكومة أن تحكم بما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٥].

جـ ـ العدل:

الذي لا يفرق بين حاكم ومحكوم، وكبير وصغير، وغني وفقير، وعربي وعجمي، وأسود وأبيض، إلا بالتقوى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٢) سورة الشورى: الآية ٣٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.
(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.
(٥) سورة المائدة: الآية ٤٧.

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[3] وهو عدل لا يتأثر بغضب أو كره أو حقد ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[4].

د ـ المحافظة على الكليات الخمس:

وعلى الحكومة الإسلامية المحافظة على الكليات الخمس وهي (النفس، الدين، العرض، المال، العقل) ففي النفس القصاص ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5] ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[6].

وفي العرض ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[7] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾[8].

وفي المال ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾[9].

وحرم ما يزيل العقل ولو إلى حين كشرب الخمر، وفي الدين حرم الردة عن دين الله والعياذ بالله وأوجب الله في هذا وذاك العقوبات الصارمة.

هـ ـ تنظيم العلاقات الدولية:

وعلى الحكومة الإسلامية أن تنظم علاقات هذا المجتمع الإسلامي

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٥.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٨.
(٤) سورة المائدة: الآية ٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٦) سورة المائدة: الآية ٤٥.
(٧) سورة النور: الآية ٢.
(٨) سورة النور: الآية ٤.
(٩) سورة المائدة: الآية ٣٨.

بالمجتمعات الأخرى في حالة الحرب والسلم وما يتعلق بذلك من تشريع الجهاد وتنظيمه، والغنائم وأحكامها والمعاهدات وغيرها.

٢ ـ ومما شرعه القرآن لبناء المجتمع السمع والطاعة لولي الأمر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[١] وعندما يتدبر المسلم هذه الآية ويكرر تلاوتها سيجد الإلحاح والحث على الطاعة لما في العصيان والتمرد من أثر سيئ ليس على الفرد بل على بناء المجتمع كله.

٣ ـ تحريم الخروج على جماعة المسلمين:

وكما حرم الخروج على ولي الأمر ما لم نر كفر بواحاً حرم الخروج على جماعة المسلمين ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنٗا ...﴾ الآية[٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفْرٗا وَتَفْرِيقَۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ الآية[٥].

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.
(٤) سورة الروم: الآية ٣١ ـ ٣٢.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

وبهذا كله يتم بناء المجتمع وترابطه، واتحاده وقوته ويصبح للمسلمين قوة ولهم شأن عظيم.

بهذا المنهج التشريعي الحكيم جاء القرآن الكريم فدرسه العلماء وتدبروه، وتفكروا فيه وخرجوا بنتيجة واحدة هي أن في تشريعه إعجازاً لا يمكن للبشر أن يخترعوه.

ويمكن أن نختم الحديث عن الإعجاز التشريعي بذكر أهم مزاياه فمنها[1]:

١ ـ أن التشريع مظهر لهداية القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2].

٢ ـ أنه خير تشريع وأصدق حديث وأعدل حكم ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[3].

٣ ـ الشمول:

فهو في أحكامه شامل لجميع جوانب الحياة العقيدية والتعبدية، والاقتصادية والسياسية، والاجتماعية وغير ذلك.

٤ ـ وجوب العمل به:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5].

---

(١) نقلتها بتصرف من كتاب البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح الخالدي، ص٣٢٣ ـ ٣٢٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤٤.

٥ - تحريم أخذ بعضه وترك بعضه:

كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[2].

٦ - اليسر:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[5].

٧ - وجوب الإيمان بكمال التشريع وإحكامه:

لأنه من الله وهو أحكم الحاكمين ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾[6] والله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٨٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

رسم المصحف

الأصل في المكتوب أن يطابق المنطوق[1]، إلا أنا نجد مخالفة لهذا الأصل ليس في الكتابة العربية فحسب بل حتى في اللغات الأجنبية، فمن الحروف ما ينطق ولا يكتب، ومنها ما يكتب ولا ينطق.

وكتابة القرآن في المصاحف نوع من أنواع الكتابة التي يخالف نطقها كتابتها في بعض المواضع.

ولا شك أن الرسم الإملائي كان معروفاًقبل نزول القرآن الكريم، وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على كتابة المصحف بطريقة تمنع من يتلو النص القرآني من الوقوع في اللحن بسبب خلوه من رموز الحركات واشتراك بعض الحروف في رمز كتابي واحد[2] فرمز الباء والتاء والثاء مثلاً هو (ٮ) بلا نقط.

ويبدو أن الصحابة رضي الله عنهم لم يخترعوا كتابة جديدة أو يصطلحوا على طريقة مبتكرة بل كتبوا أكثر القرآن بالطريقة السائدة للكتابة في عصرهم[3]، وتشهد النقوش التي ترجع إلى القرن الأول الهجري أن الكتابة السائدة حينذاك مطابقة للصورة التي نجدها في الرسم العثماني إلا أن اتساع استخدام الكتاب العربية في القرون الهجرية الأولى أظهر الحاجة

---

(١) يخالف بعض الباحثين في تقرير هذا الأصل. وليس هذا موضع تقريره.

(٢) انظر رسم المصحف: غانم قدوري الحمد ص:٧٢٩ وقبله فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب ص:٩٠.

(٣) وهذه مسألة أيضاً يخالف فيها بعض الباحثين ما نراه فيها.

الماسة إلى تطوير الكتابة لتكون أكثر تحديداً وضبطاً[1].

فلم يكن الناس عند كتابة المصحف يجدون فرقاً كبيراً بين كتابتهم وما يجدونه في المصحف وكان الصحابة ومن وافقهم من التابعين وتابعيهم يوافقون الرسم المصحفي في أكثر ما يكتبون ولو لم يكن قرآناً ولا حديثاً واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء اللغة في البصرة والكوفة وأسسوا لفن الكتابة ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية وسموها علم الخط القياسي أو الاصطلاحي المخترع وسموا رسم المصحف بالخط المتبع. وكلما تقدم الزمن ازدادت الحاجة إلى توحيد قواعد الكتابة وضبطها[2].

إلا أن علماء المسلمين بتوفيق الله لهم أبقوا رسم المصحف على الكتبة الأولى صيانة للقرآن من أن يتعرض للتغيير والتبديل بين حين وآخر مما قد يؤدي إلى وقوع الخطأ والتحريف والتبديل.

وقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف النسبي بين كتابة المصحف والكتابة الإملائية المعروفة مما دعا علماء القراءات والرسم إلى تأليف كتب تشرح هذه الاختلافات، وتستنبط قواعد رسم المصحف، وتضبط كيفية كتابة الكلمات، وكانت مؤلفاتهم بين دراسة منهجية عامة تعنى بضبط القواعد والأصول، ودراسة تطبيقية تتبع الكلمات القرآنية حسب ترتيب السور والآيات فتبين طريقة رسمها، فظهر **علم رسم المصحف**.

تعريفه:

وردت في اللغة العربية عدة كلمات للدلالة على تمثيل الألفاظ برموز مكتوبة من أشهرها (الكتاب، والهجاء، والخط، والرسم، والإملاء) ولم يكن استخدام هذه المصطلحات على حد سواء تأريخياً ويظهر أن أولها هو

---

(١) انظر رسم المصحف: غانم قدوري الحمد ص: ٧٣٥.

(٢) انظر رسم المصحف: ص: ٧٣٠.

أقدمها ثم استعمل الهجاء والخط في عناوين كثيرة من المؤلفات قديماً في قواعد الكتابة ومصطلحاتها، وفي وقت متأخر استعمل مصطلح الإملاء للدلالة على هذا المعني ولا يزال هو الغالب في الاستعمال في عصرنا هذا[١].

أما الرسم وهو ما نتناوله هنا فإن معاجم اللغة العربية لا تذكر لمادته أي معنى يتعلق بالخط فهو في اللغة: بمعنى الأثر، ورسم كل شيء: أثره[٢].

ثم أطلق هذا المصطلح على رسم المصحف أكثر من إطلاقه على رسم غيره. وربما كان استعمال الرسم للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم الذي يحرص المسلمون على المحافظة عليه، فظهر مصطلح (مرسوم الخط) و(مرسوم خط المصاحف) و(الرسم)[٣].

ويراد بالرسم اصطلاحاً: تصوير كلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها، والوقوف عليها، لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية[٤].

أما الرسم العثماني. فيراد به: الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه.

عناية العلماء به:

اعتنى العلماء قديماً وحديثاً برسم المصحف وليس المقام هنا مقام استيعاب واستيفاء وإنما مقام إشارة وتمثيل فمن أهم المؤلفات:

---

(١) انظر مقال: الكتابة العربية: د. غانم قدوري الحمد مجلة الحكمة العدد العاشر ص: ٢٠١.

(٢) الجمهرة: ابن دريد جـ: ٢ ص: ٣٣٦ وتهذيب اللغة: الأزهري جـ: ١٢ ص: ٤٢٢ والصحاح: الجوهري جـ: ٥ ص: ١٩٣٢ ولسان العرب: ابن منظور: جـ: ١٥ ص: ١٣٢، وانظر رسم المصحف: د. قدوري ص: ١٥٦ ومجلة الحكمة عدد ١٠ ص: ٢٠١.

(٣) رسم المصحف: د. قدوري ص: ١٥٦.

(٤) صفحات في علم القراءات: لأبي طاهر عبد القيوم السندي ص: ١٦٦.

١ ـ المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤) حققه الأستاذ محمد أحمد دهمان.

٢ ـ الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ابن وثيق الأندلسي ت (٦٥٤هـ) تحقيق د. غانم قدوري الحمد.

٣ ـ البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه: لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن معاذ الجهني ت (٤٤٢ تقريباً) تحقيق د. غانم قدوري الحمد ونشره في مجلة المورد م ١٥ العدد الرابع ١٤٠٧هـ.

٤ ـ عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل: لأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي (ت٧٢١) حققته د. هند شلبي.

٥ ـ عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد: للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) وهي قصيدة نظم فيها مسائل المقنع: لأبي عمرو الداني وزاد عليه ست كلمات حيث قال الشاطبي:

وهاك نظم الذي في مقنع عن أبي عمرو وفيه زيادات فطب عُمُرا

وعدد أبياتها ٢٩٨ بيتاً وتسمى الرائية وشرحها كثير من العلماء.

٦ ـ مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن: لأبي عبد الله محمد بن محمد الشريسي الشهير بالخراز ت (٧١٨هـ) وهي أيضاً قصيدة جاءت في قسمين الأول في الرسم والثاني في الضبط ويعرف الأول بمورد الظمآن والثاني بضبط الخراز. وجاءت المنظومة جامعة لما ورد في أمهات مصادر الرسم شاملة للمشهور من أوجه الخلاف بين المصادر فحظيت بالقبول واعتمدتها اللجنة التي أشرفت على طبع المصحف المشهور بالأميري سنة ١٣٤٢هـ وتعددت شروحها[١] واعتمدت ضبطه لجنة طبع مصحف المدينة

---

(١) رسم المصحف: ص: ١٨١.

النبوية من إصدار مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٧ ـ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية ألفها د. غانم قدوري الحمد. وهذا الكتاب من أفضل المؤلفات وأشملها في رسم المصحف لم يعتمد فيه مؤلفه على مجرد النقل بل كان عماده التحقيق الدقيق.

٨ ـ جامع البيان في معرفة رسم القرآن: للأستاذ/ علي إسماعيل السيد هنداوي وضعه وفق ما جاء في مورد الظمآن حيث يذكر مضمون الأبيات أولاً، ثم يورد الأبيات آخراً ويعقب كل مبحث بمجموعة من الأسئلة للتدريب والمراجعة.

قواعد رسم المصحف:

لم تكن هذه القواعد منهجاً معلوماً مرسوماً للصحابة يلتزمونه عند كتابة المصحف، وإنما هي قواعد استنبطها العلماء بعد ذلك عن طريق الإستقراء والتتبع.

كما أن هذه القواعد غير لازمة أو مطردة في كل كلمة قرآنية إذ يخرج عن كل قاعدة عدد من الكلمات أحياناً، وقد يلتزم في كلمة واحدة كتابتها وفق القاعدة في موضع وبخلافها في موضع آخر، فطريق الكتابة للمصحف هو النقل وحده.

وقد استنبط العلماء لرسم المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه ست قواعد يجمعها قول الناظم:

الرسم في ست قواعد استقل   حذف زيادة وهمز وبدل
وما أتى بالوصل أو بالفصل   موافقاً للفظ أو للأصل

وذو قـراءتـيـن مـمـا قـد شـهـر　　فيه على إحداهما قد اقتصر[1]

وهذا بيانها.

القاعدة الأولى: قاعدة الحذف:

والأحرف التي حذفت في بعض المواضع خمسة هي:

الألف، والواو، والياء، واللام، والنون.

أما الألف:

فتحذف لثلاثة أمور[2]:

١ ـ حذف إشارة:

والمراد الإشارة بحذف الألف إلى قراءة أخرى محذوفة الألف. مثل حذفها في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[3] وكحذفها في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾[4] فحذف الألف في ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ إشارة إلى قراءة حمزة حيث قرأها (أَسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السين وبدون ألف بعدها. وأما حذف الألف في ﴿تفدوهم﴾ فإشارة إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وخلف حيث قرؤها (تَفْدوهم) بفتح التاء وسكون الفاء وبدون ألف بعدها[5].

---

(١) إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام: محمد حبيب الله الشنقيطي ص: ٣٥ والأبيات المذكورة لشيخه محمد العاقب.

(٢) انظر دليل الحيران شرح مود الظمآن: للمارغني ص: ٤٤ ـ ٤٥ وقد أنكر بعض الباحثين هذا التقسيم انظر رسم المصحف: قدوري ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٣) سورة الفاتحة: الآية الثالثة.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٥.

(٥) جامع البيان: على هنداوي ص: ٤٦.

٢ ـ حذف اختصار:

ويراد به حذف الألف من جمع المذكر أو المؤنث السالمين ما تكرر وما لم يتكرر إذا لم يقع بعد الألف تشديد أو همز. مثل ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾[2] ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ﴾[3] ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4] أما إذا وقع بعدها مباشرة حرف مشدد أو مهموز فتثبت مثل ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾[5] ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾[6] ومثل ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾[7] ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾[8] ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[9].

٣ ـ حذف اقتصار:

وهو حذف يرد في كلمة دون نظائرها في المواضع الأخرى ومثاله كلمة الميعاد فتحذف في ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾[10] ولا تحذف الألف في بقية المواضع ومثل حذف الألف في ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾[11] في سورة الرعد دون غيرها من المواضع.

هذه أقسام حذف الألف أما مواضع حذف الألف فلا تكاد تنضبط وقد قال ابن وثيق الأندلسي في الفصل الذي عقده لحذف الألف: «إعلم أن هذا الباب كثير الاضطراب ومتشعب، لا يرجع إلى قياس فيحصر»[12].

إلا أن العلماء ذكروا ضوابط تقريبية لحذف الألف فمنها:

١ ـ جمع المذكر السالم وما ألحق به إذا لم يقع بعد الألف همز أو تشديد كما مر آنفاً.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية الأولى.
(٢) سورة الذاريات: الآية الأولى.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.،
(٥) سورة الفاتحة: الآية السابعة.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٨) سورة الحج: الآية ٢٦.
(٩) سورة الأعراف: الآية الرابعة.
(١٠) سورة الأنفال: الآية ٤٢.
(١١) سورة الرعد: الآية ١٦.
(١٢) الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ابن وثيق الأندلسي ص٣١.

٢ ـ جمع المؤنث السالم وما ألحق به.

مثل ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾[١] ﴿مُؤْمِنَٰتٍ﴾[٢] ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾[٣] ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[٤] وما ألحق به مثل ﴿عَرَفَٰتٍ﴾[٥] و﴿وَأُوْلَٰتُ﴾[٦] وفي مثل هذه المواضع تحذف الألف غالباً.

٣ ـ ما جاء على وزن فَعَّالين وفَعَّالون.

مثل ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾[٧] ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾[٨] ﴿طَوَّٰفُونَ﴾[٩] ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[١٠] إلا ما استثني.

٤ ـ من كل جمع منقوص إلا ما استثني.

والمراد بالمنقوص كل اسم جاء في آخر مفرده ياء لازمة قبلها كسرة مثل ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[١١] و﴿طَٰغِينَ﴾[١٢] و﴿غَٰوِينَ﴾[١٣] بالصافات.

٥ ـ إذا جاءت الألف متوسطة وبعد لام أو بين لامين فتحذف الألف مطلقاً إلا ما استثني مثل ﴿ٱلْإِصْلَٰحَ﴾[١٤] و﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[١٥] و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾[١٦] ومثال الألف المحذوفة بين لامين ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[١٧] ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾[١٨] ﴿فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[١٩].

٦ ـ تحذف الألف من كل لفظ دال على تنبيه أو نداء بشرط أن لا تكون متطرفة.

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٩٩.
(٢) سورة الممتحنة: من الآية ١٠.
(٣) سورة البقرة: من الآية ١٩.
(٤) سورة الأنعام: من الآية ٨٧.
(٥) سورة البقرة: من الآية ١٩٨.
(٦) سورة الطلاق: من الآية ٤.
(٧) سورة النساء: من الآية ١٣٥.
(٨) سورة الإسراء: من الآية ٢٥.
(٩) سورة النور: من الآية ٥٨.
(١٠) سورة الذاريات: من الآية ١٠.
(١١) سورة الحج: من الآية ١٧.
(١٢) سورة القلم: من الآية ٣١.
(١٣) سورة الصافات: من الآية ٣٢.
(١٤) سورة هود: من الآية ٨٨.
(١٥) سورة المائدة: من الآية ١٠٩.
(١٦) سورة البقرة: من الآية ٥.
(١٧) سورة الملك: من الآية ٩.
(١٨) سورة إبراهيم: من الآية ٣١.
(١٩) سورة النساء: من الآية ١٧٦.

ومثال ذلك ﴿هَٰتَيۡنِ﴾[1] و﴿هَٰذَا﴾[2] و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾[3].

ومثال حذفها من ياء النداء ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾[4] و﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾[5] و﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾[6] و﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾[7] و﴿يَبۡنَؤُمَّ﴾[8].

وأما الياء:

فتحذف في حالات منها:

١ ـ إذا كانت الياء صورة للهمزة ومعها ياء أخرى قبلها أو بعدها مثل:

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾[9] و﴿سَيِّـَٔاتِ﴾[10] و﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾[11] و﴿وَرِءۡيٗا﴾[12] و﴿خَٰسِـِٔينَ﴾[13] و﴿خَٰطِـِٔينَ﴾[14].

٢ ـ وتحذف الياء إذا اجتمعت مع ياء أخرى ولم تكن صورة للهمزة. مثل: ﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾[15] و﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[16] و﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[17] و﴿وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾[18] إلا ما استثني.

٣ ـ وتحذف ياء المتكلم المضمر المتصل. مثل:

﴿وَخَافُونِ﴾[19] ﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾[20] ﴿وَٱتَّقُونِ﴾[21] ﴿وَأَطِيعُونِ﴾[22]

---

(١) سورة القصص: من الآية ٢٧.
(٢) سورة ص: من الآية ٥٥.
(٣) سورة البقرة: من الآية ٣١.
(٤) سورة الأحزاب: من الآية ٣٠.
(٥) سورة البقرة: من الآية ٢١.
(٦) سورة البقرة: من الآية ٣٣.
(٧) سورة هود: من الآية ٧٦.
(٨) سورة طه: من الآية ٩٤.
(٩) سورة الكهف: من الآية ٣١.
(١٠) سورة غافر: من الآية ٤٥.
(١١) سورة الحجر: من الآية ٩٥.
(١٢) سورة مريم: من الآية ٧٤.
(١٣) سورة البقرة: من الآية ٦٥.
(١٤) سورة القصص: من الآية ٨.
(١٥) سورة آل عمران: من الآية ٢٠.
(١٦) سورة البقرة: من الآية ٦١.
(١٧) سورة آل عمران: من الآية ٧٩.
(١٨) سورة الأعراف: من الآية ١٩٦.
(١٩) سورة آل عمران: من الآية ١٧٥.
(٢٠) سورة النحل: من الآية ٥١.
(٢١) سورة البقرة: من الآية ٤١.
(٢٢) سورة آل عمران: من الآية ٥٠.

﴿فَٱسۡمَعُونِ ﴾[1] إلا ما استثني.

٤ ـ وتحذف من آخر كل اسم منقوص في موضع رفع أو جر مثل:

﴿بَاغٖ﴾[2] و﴿هَادٍ﴾[3] و﴿وَالٍ﴾[4] و﴿وَاقٖ﴾[5] و﴿ٱلدَّاعِ﴾[6] و﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾[7].

وتحذف في حالات أخرى.

وأما الواو:

وتحذف في حالات منها:

١ ـ إذا كانت الواو صورة للهمزة وبعدها واو أخرى. مثل:

﴿مَسۡـُٔولٗا﴾[8] و﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾[9] و﴿تُـٔۡوِيهِ ﴾[10].

٢ ـ إذا كان معها واو أخرى، مثل:

﴿دَاوُۥدَ﴾[11] و﴿وُۥرِيَ﴾[12] و﴿وَلَا تَلۡوُۥنَ ﴾[13] و﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾[14] و﴿وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[15] و﴿فَأۡوُۥٓاْ﴾[16].

٣ ـ وتحذف الواو حملاً للخط على اللفظ مثل:

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾[17] و﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾[18] و﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[19].

إلا ما استثني.

---

(١) سورة يس: من الآية ٢٥.
(٢) سورة الأنعام: من الآية ١٤٥.
(٣) سورة الرعد: من الآية ٧.
(٤) سورة الرعد: من الآية ١٠.
(٥) سورة الرعد: من الآية ٣٤.
(٦) سورة القمر: من الآية ٦.
(٧) سورة الحج: من الآية ٢٥.
(٨) سورة الإسراء: من الآية ٣٤.
(٩) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.
(١٠) سورة المعارج: من الآية ١٣.
(١١) سورة النمل: من الآية ١٥.
(١٢) سورة الأعراف: من الآية ٢٠.
(١٣) سورة آل عمران: من الآية ١٥٣.
(١٤) سورة السجدة: من الآية ١٨.
(١٥) سورة الشعراء: من الآية ٩٤.
(١٦) سورة الكهف: من الآية ١٦.
(١٧) سورة الإسراء: من الآية ١١.
(١٨) سورة الشورى: من الآية ٢٤.
(١٩) سورة العلق: من الآية ١٨.

وأما اللام:

وتحذف اللام إذا وقعت مع لام أخرى في خمس كلمات هي (الليل) و(اللائي) و(التي) و(اللاتي) و(الذي) سواء كان الأخير مفرداً أو مثنى أو مجموعاً وما عدا هذه الكلمات الخمس فلا حذف مثل (اللطيف) و(اللوامة) واللؤلؤ) و(اللهم) وغيرها.

وأما النون:

فتحذف في موضعين ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾[1] و﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

القاعدة الثانية: قاعدة الزيادة:

والمراد بالزيادة حقيقة: إثبات حرف في الكلمة لا يقرأ وصلاً ولا وقفاً، وقد تكون الزيادة في بعض الأحرف ليست حقيقية فتقرأ في الوقف مثل (لكنا) أو الابتداء مثل (ابن) والرسم مبني على الوقف والابتداء وما ثبت في أحدهما لم تكن زيادته حقيقية[3].

والأحرف التي تزاد هي: الألف، والواو، والياء.

أما الألف:

فتزاد في حالات منها:

١ - تزاد الألف بعد الواو المتصلة بالفعل التي هي ضمير الجماعة إذا لم يتصل بالفعل ضمير. مثل:

﴿ءَامَنُوا﴾[4] و﴿كَفَرُوا﴾[5] و﴿اَعۡدِلُواْ﴾[6] و﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾[7] و﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾[8] و﴿اَشۡتَرَوُاْ﴾[9] إلا ما استثني مثل ﴿فَإِن فَآءُو﴾[10] و﴿وَعَتَوۡ﴾[11] وغيرها.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١٠. (٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٨.
(٣) دليل الحيران شرح مورد الظمآن: للمارغيني ص: ٢٤٤.
(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٥. (٥) سورة البقرة: من الآية ٦.
(٦) سورة المائدة: من الآية ٨. (٧) سورة الجمعة: من الآية ٩.
(٨) سورة الأنفال: من الآية ٧٢. (٩) سورة البقرة: من الآية ١٦.
(١٠) سورة البقرة: من الآية ٢٢٦. (١١) سورة الفرقان: من الآية ٢١.

٢ ـ وتزاد الألف بعد الواو الأصلية في الفعل المضارع المعتل الآخر بالواو مرفوعاً كان أو منصوباً. مثل: ﴿يَدْعُوَا﴾[(١)] و﴿لِيَرْبُوَا﴾[(٢)] و﴿وَنَبْلُوَا﴾[(٣)] إلا في موضع واحد هو ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ﴾[(٤)] فحذفت فيه.

٣ ـ وتزاد الألف بعد الواو التي هي علامة الرفع في جمع المذكر السالم أو ما جرى مجراه إذا حذفت نونه للإضافة إلى ظاهر. مثل:

﴿مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ﴾[(٥)] و﴿كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ﴾[(٦)] و﴿صَالُوا ٱلنَّارِ﴾[(٧)] و﴿بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[(٨)] و﴿وأولوا الأرحام﴾[(٩)] و﴿مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ﴾[(١٠)].

٤ ـ وزادوا الألف في مواضع مختلفة لا تندرج تحت قاعدة:

فزادوها بعد الواو مثل: ﴿ٱمْرُؤٌا﴾[(١١)] و﴿نَبَؤُا﴾[(١٢)] و﴿تَفْتَؤُا﴾[(١٣)] و﴿أَتَوَكَّؤُا﴾[(١٤)] و﴿تظمؤا﴾[(١٥)] (قلت): ولعله يقال تزاد الألف بعد الهمزة المتطرفة المرسومة واو.

وزادوها بعد النون: مثل ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ﴾[(١٦)] و﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾[(١٧)].

وزادوها بعد الميم: مثل ﴿مِاْئَةَ﴾[(١٨)] و﴿مِاْئَتَيْنِ﴾[(١٩)].

وزادوها بعد اللام: مثل ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾[(٢٠)] و﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾[(٢١)] و﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[(٢٢)] و﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾[(٢٣)] و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾[(٢٤)].

---

(١) سورة يونس: من الآية ٢٥.
(٢) سورة الروم: من الآية ٣٩.
(٣) سورة محمد: من الآية ٣١.
(٤) سورة النساء: من الآية ٩٩.
(٥) سورة القمر: من الآية ٢٧.
(٦) سورة الدخان: من الآية ١٥.
(٧) سورة ص: من الآية ٥٩.
(٨) سورة يونس: من الآية ٩٠.
(٩) سورة الأنفال: من الآية ٧٥.
(١٠) سورة البقرة: من الآية ٤٦.
(١١) سورة النساء: من الآية ١٧٦.
(١٢) سورة إبراهيم: من الآية ٩.
(١٣) سورة يوسف: من الآية ٨٥.
(١٤) سورة طه: من الآية ١٨.
(١٥) سورة طه: من الآية ١٨.
(١٦) سورة الكهف: من الآية ٣٨.
(١٧) سورة الأحزاب: من الآية ١٠.
(١٨) سورة البقرة: من الآية ٢٥٩.
(١٩) سورة الأنفال: من الآية ٦٦.
(٢٠) سورة التوبة: من الآية ٤٧.
(٢١) سورة النمل: من الآية ٢١.
(٢٢) سورة آل عمران: من الآية ١٥٨.
(٢٣) سورة الصافات: من الآية ٦٨.
(٢٤) سورة الأحزاب: من الآية ٦٦.

وزادوها قبل الياء: مثل ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ﴾[١] و﴿يَاْيْـَٔسُ﴾[٢].

وزادوها بعد الجيم: مثل ﴿وَجِاْىٓءَ﴾[٣]..

وزادوها بعد الشين: مثل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾[٤].

أما الواو:

فتزاد في أربع كلمات حيث وقعت وهي (يَٰٓأُوْلِي) و(أَوْلُوا) و(أُوْلَآءِ) و(أُوْلَٰتِ) باتفاق.

واختلف في كلمتين هما ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾[٥] والراجح زيادتها، و﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾[٦] والعمل على عدم زيادتها.

أما الياء:

والكلمات التي زيدت فيها الياء ثلاثة أنواع:

الأول: ما كانت فيه همزة مكسورة ولم يتقدم عليها ألف. وزيدت الياء في ثلاث كلمات من هذا النوع هي ﴿مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٧] بالأنعام فقط و﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[٨] و﴿أفإين مت فهم الخالدون﴾[٩]. و(ملأ) المخفوض المضاف إلى ضمير حيث وقع مثل ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾[١٠] و﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾[١١].

الثاني: ما كانت فيه الهمزة مكسورة وتقدم عليها ألف. وزيدت الياء في ست كلمات من هذا النوع:

١ - ﴿تِلْقَآيِ﴾[١٢] في يونس.

---

(١) سورة يوسف: من الآية ٨٧.
(٢) سورة يوسف: من الآية ٨٧.
(٣) سورة الزمر: من الآية ٦٩.
(٤) سورة الكهف: من الآية ٢٣.
(٥) سورة الأعراف: من الآية ١٤٥.
(٦) سورة طه: من الآية ٧١.
(٧) سورة الأنعام: من الآية ٣٤.
(٨) سورة آل عمران: من الآية ١٤٤.
(٩) سورة الأنبياء: من الآية ٣٤.
(١٠) سورة يونس: من الآية ٧٥.
(١١) سورة يونس: من الآية ٨٣.
(١٢) سورة يونس: من الآية ١٥.

٢ - ﴿وَإِيتَآيِ﴾[١] في النحل.

٣ - ﴿وَرَآيِ﴾[٢] في الشورى.

٤ - ﴿ءَانَآيِ﴾[٣] في طه.

٥ - ﴿ٱلَّـٰٓئِى﴾ في الأحزاب[٤] والمجادلة[٥] وفي الطلاق مرتين[٦].

٦ - (بِلِقَآيِ) في موضعين في الروم[٧].

الثالث: ما لم تكن فيه همزة مكسورة ولا ألف، وزيدت الياء في كلمتين من هذا النوع:

﴿بِأَيِيكُمُ﴾ في سورة القلم[٨] و﴿بِأَيْيْدٍ﴾ في الذاريات[٩].

القاعدة الثالثة: قاعدة البدل:

والحروف التي تبدل ثلاثة: الألف، والنون، وتاء التأنيث.

أما الألف: فتبدل إلى حرفين: الياء والواو.

أولاً: تكتب الألف ياء في مواضع منها:

١ - إذا كانت الألف منقلبة عن ياء أي أن أصلها ياء فإنها تكتب ياء. تنبيهاً على أصلها، وجواز إمالتها. سواء كانت الألف في اسم أو فعل، في وسط الكلمة أو متطرفة وسواء كانت الياء لام الفعل أو يايء المتكلم.

ومثالها في وسط الاسم ﴿هَوَىٰهُ﴾[١٠] ﴿هُدَىٰهُمْ﴾[١١].

---

(١) سورة النحل: من الآية ٩٠.

(٢) سورة الشورى: من الآية ٥١.

(٣) سورة طه: من الآية ١٣٠.

(٤) سورة الأحزاب: من الآية ٤.

(٥) سورة المجادلة: من الآية ٢.

(٦) سورة الطلاق: من الآية ٤.

(٧) سورة الروم: من الآيتين ٨، ١٦.

(٨) سورة القلم: من الآية ٦.

(٩) سورة الذاريات: من الآية ٤٧.

(١٠) سورة الجاثية: من الآية ٢٣.

(١١) سورة البقرة: من الآية ٢٧٢.

ومثالها في آخر الاسم ﴿هُدًى﴾[1] ﴿عَمًى﴾[2].

ومثالها في وسط الفعل ﴿اسْتَسْقَىٰهُ﴾[3] ﴿يَغْشَىٰهَا﴾[4].

ومثالها في آخر الفعل ﴿أَعْطَىٰ﴾[5] ﴿اهْتَدَىٰ﴾[6].

وجاءت الياء في هذه الأمثلة لام فعل، أما مثالها إذا جاءت ياء متكلم فمثل ﴿يَٰأَسَفَىٰ﴾[7] ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾[8] ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾[9] ورسمت الألف ياء لأن أصلها ياء المتكلم.

والقاعدة التي يعرف بها أصل الألف أن تثنى الكلمة إن كانت إسماً مثل (فتىٰ) فتيان. أو تسند إلى تاء الضمير إن كانت فعلاً مثل (رَمَىٰ) رميت.

٢ ـ وتكتب الألف ياء في ما جاء رباعياً سواء كان اسماً أو فعلاً، وسواء اتصلت الكلمة بضمير أم لم تتصل لقيت ساكناً أم متحركاً والأمثلة على ذلك ما يلي:

(الموتى، السلوى، أعطى، فترضىٰ، إحدىٰهما، أخرىٰكم، مجرىٰها).

٣ ـ إذا كانت الألف تشبه المنقلبة عن ياء فإنها تكتب ياء[10].

مثل (أتى، هدى، موسى، عسى، متى، بلى، حتى، إلى، تقىٰة)، وما أشبه ذلك إلا ما استثني وهو كل موضع لو كتبت فيه الألف ياء لاجتمع فيه ياءان[11].

ثانياً: تكتب الألف واو للتفخيم.

إذا كان أصلها واواً ما لم تكن مضافة.

وجاء ذلك في أربع كلمات مطردة حيث وقعن هن ﴿الصَّلَوٰةَ﴾[12]

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٥.
(٢) سورة فصلت: من الآية ٤٤.
(٣) سورة الأعراف: من الآية ١٦٠.
(٤) سورة الشمس: من الآية ٤.
(٥) سورة الليل: من الآية ٥.
(٦) سورة طه: من الآية ٨٢.
(٧) سورة يوسف: من الآية ٨٤.
(٨) سورة الزمر: من الآية ٥٦.
(٩) سورة الفرقان: من الآية ٢٨.
(١٠)(١١) انظر الجامع: ابن وثيق ص: ٥٧ ـ ٥٨.
(١٢) سورة البقرة: من الآية ٣.

و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] و﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾[2] و﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾[3].

وفي أربع كلمات غير مطردة هن:

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ في الأنعام[4] والكهف[5].

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ في النور[6].

﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ في غافر[7].

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ في النجم[8].

فإن أضيفت كتبت بالألف ولم ترد الإضافة إلا في كلمتي (الصلاة) و(الحياة) مثل ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾[9] ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[10] واستثني من هذا أربع كلمات رسمت بالواو باتفاق مع أنها مضافة وهي ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[11] و﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾[12] و﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[13] و﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[14] وذلك لتحتمل وجوه القراءات بالإفراد والجمع.

أما النون:

فتكتب ألفاً في مواضع منها:

١ - يرسم التنوين ألفاً في كل اسم منصوباً ليس فيه هاء التأنيث ولا هو مقصور مثل: ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[15] و﴿مَلْجَأً﴾[16] و﴿مُتَّكَأً﴾[17] و﴿تَقْدِيرًا﴾[18] وما أشبه ذلك.

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١١٠.
(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨٥.
(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٧٥.
(٤) سورة الأنعام: من الآية ٥٢.
(٥) سورة الكهف: من الآية ٢٨.
(٦) سورة النور: من الآية ٣٥.
(٧) سورة غافر: من الآية ٤١.
(٨) سورة النجم: من الآية ٢٠.
(٩) سورة الإسراء: من الآية ١١٠.
(١٠) سورة الفجر: من الآية ٢٤.
(١١) سورة التوبة: من الآية ١٠٣.
(١٢) سورة التوبة: من الآية ٩٩.
(١٣) سورة هود: من الآية ٨٧.
(١٤) سورة المؤمنون: من الآية ٩.
(١٥) سورة يوسف: من الآية ٢٢.
(١٦) سورة الشورى: من الآية ٤٧.
(١٧) سورة يوسف: من الآية ٣١.
(١٨) سورة الإنسان: من الآية ١٦.

٢ ـ نون التوكيد الخفيفة تكتب ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً مثل ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[١] و﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾[٢].

٣ ـ ومما كتبت نونه ألفاً كلمة (إذن).

مثل ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾[٣] و﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾[٤] و﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥] وإنما كتبت بالألف لإجماع القراء على أن الوقف عليها يكون بالألف.

أما تاء التأنيث:

فترسم هاء في الأسماء دون الأفعال. وتقرأ بالتاء في الوصل وبالهاء في الوقف، وهذا هو الأكثر مثل (رحمة) و(نعمة) و(كلمة).

رحمة في ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾[٦] ونعمة في ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾[٧] وكلمة في ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾[٨] وغير ذلك.

واستثني من هذا ثلاث عشرة كلمة هي:

١ ـ ﴿رَحْمَتَ﴾ في البقرة[٩] والأعراف[١٠] والزخرف[١١] وهود[١٢] ومريم[١٣] والروم[١٤].

٢ ـ ﴿نِعْمَتَ﴾ في البقرة[١٥]، وآل عمران[١٦]، والمائدة[١٧]، وإبراهيم[١٨]، وفاطر[١٩]، ولقمان[٢٠]، والنحل[٢١]، والطور[٢٢].

---

(١) سورة يوسف: من الآية ٣٢.
(٢) سورة العلق: من الآية ١٥.
(٣) سورة الإسراء: من الآية ٧٥.
(٤) سورة الأنعام: من الآية ٥٦.
(٥) سورة الإسراء: من الآية ٧٦.
(٦) سورة هود: من الآية ٢٨.
(٧) سورة البقرة: من الآية ٢١١.
(٨) سورة يونس: من الآية ١٩.
(٩) سورة البقرة: من الآية ٢١٨.
(١٠) سورة الأعراف: من الآية ٥٦.
(١١) سورة الزخرف: من الآية ٣٢.
(١٢) سورة هود: من الآية ٧٣.
(١٣) سورة مريم: من الآية ٢.
(١٤) سورة الروم: من الآية ٥٠.
(١٥) سورة البقرة: من الآية ٢٣١.
(١٦) سورة آل عمران: من الآية ١٠٣.
(١٧) سورة المائدة: من الآية ١١.
(١٨) سورة إبراهيم: من الآيتين ٢٨، ٣٤.
(١٩) سورة فاطر: من الآية ٣.
(٢٠) سورة لقمان: من الآية ٣١.
(٢١) سورة النحل: من الآية ٧٢، ٨٣، ١١٤.
(٢٢) سورة الطور: من الآية ٢٩.

٣ - ﴿سُنَّتُ﴾ في فاطر[١]، والأنفال[٢]، وغافر[٣].

٤ - ﴿ٱبْنَتَ﴾ في التحريم[٤].

٥ - ﴿شَجَرَتَ﴾ في الدخان[٥].

٦ - ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ في آل عمران[٦] ويوسف[٧] والقصص[٨] والتحريم[٩].

٧ - ﴿قُرَّتُ﴾ في القصص[١٠].

٨ - ﴿بَقِيَّتُ﴾ في هود[١١].

٩ - ﴿فِطْرَتَ﴾ في الروم[١٢].

١٠ - ﴿لَّعْنَتَ﴾ في آل عمران[١٣] والنور[١٤].

١١ - ﴿وَجَنَّتُ﴾ في الواقعة[١٥].

١٢ - ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ في المجادلة[١٦].

١٣ - ﴿كَلِمَتُ﴾ الأنعام[١٧]، ويونس[١٨]، وغافر[١٩].

والفرق بين ما كتب بالتاء المفتوحة، والهاء أن ما كتب بالهاء يوقف عليه بالهاء، ويوصل بالتاء.

وأما ما كتب بالتاء المفتوحة فيقرأ بالتاء بالوصل، وبالوقف كذلك عند ضيق نفس، أو مقام تعليم، أو اختبار.

---

(١) سورة فاطر: من الآية ٤٣.
(٢) سورة الأنفال: من الآية ٣٨.
(٣) سورة غافر: من الآية ٨٥.
(٤) سورة التحريم: من الآية ١٢.
(٥) سورة الدخان: من الآية ٤٣.
(٦) سورة آل عمران: من الآية ٣٥.
(٧) سورة يوسف: من الآية ٣٠، ٥١.
(٨) سورة القصص: من الآية ٩.
(٩) سورة التحريم: من الآية ١٠، ١١.
(١٠) سورة القصص: من الآية ٩.
(١١) سورة هود: من الآية ٨٦.
(١٢) سورة الروم: من الآية ٣٠.
(١٣) سورة آل عمران: من الآية ٦١.
(١٤) سورة النور: من الآية ٧.
(١٥) سورة الواقعة: من الآية ٨٩.
(١٦) سورة المجادلة: من الآية ٨، ٩.
(١٧) سورة الأنعام: من الآية ١١٥.
(١٨) سورة يونس: من الآية ٩٦.
(١٩) سورة غافر: من الآية ٦.

القاعدة الرابعة: قاعدة الهمز:

لا تخلو الهمزة من أن تكون في أول الكلمة، أو وسطها، أو في آخرها.

فإذا كانت الهمزة في أول الكلمة:

فقد اتفق شيوخ النقل على أن الهمزة الواقعة في أول الكلمة تكتب على الألف سواء كانت مكسورة أو مفتوحة أو مرفوعة. وسواء كانت همزة وصل أم قطع، ولو تقدمها حرف زائد فلا يعتد به مثل الباء والسين والفاء إلا أن يكون سقوطها يخل ببنية الكلمة وهذه الأمثلة لذلك:

الهمزة الواقعة في أول الكلمة مكسورة ﴿إياك﴾[1].

الهمزة الواقعة في أول الكلمة مفتوحة ﴿أَنْعَمْتَ﴾[2].

الهمزة الواقعة في أول الكلمة مضمومة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾[3].

همزة الوصل في أول الكلمة مكسورة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾[4].

همزة الوصل في أول الكلمة مفتوحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[5].

همزة الوصل في أول الكلمة مضمومة ﴿ٱدْعُ﴾[6].

همزة تقدمها حرف زائد لا يعتد به في رسمها ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾[7] ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾[8] ﴿لَأَنتُمْ﴾[9] ﴿بِأَنَّهُمْ﴾[10] ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾[11] ﴿فَإِذَا﴾[12] ﴿سَأَصْرِفُ﴾[13].

همزة تقدمها حرف زائد يعتد به لأن سقوطه يخل ببناء الكلمة مثل ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾[14] ﴿يُؤْتِى﴾[15] ﴿مُؤْمِنٌ﴾[16].

---

(1) سورة الفاتحة: من الآية ٥.
(2) سورة الفاتحة: من الآية ٧.
(3) سورة البقرة: من الآية ٥.
(4) سورة المنافقون: من الآية ٢.
(5) سورة الفاتحة الآية الأولى.
(6) سورة النحل: من الآية ١٢٥.
(7) سورة آل عمران: من الآية ١١٩.
(8) سورة البقرة: من الآية ٣٣.
(9) سورة الحشر: من الآية ١٣.
(10) سورة الأنفال: من الآية ٦٥.
(11) سورة القصص: من الآية ٦٠.
(12) سورة يس: من الآية ٨٠.
(13) سورة الأعراف: من الآية ١٤٦.
(14) سورة مريم: من الآية ٨٣.
(15) سورة البقرة: من الآية ٢٦٩.
(16) سورة الإسراء: من الآية ١٩.

وإذا كانت الهمزة في وسط الكلمة:

فإنها لا تخلو من أن تكون ساكنة أو متحركة.

فإن كانت ساكنة:

فإنها تكتب بحرف حركة ما قبلها.

فإن كان ما قبلها مضموماً كتبت على الواو. مثل: ﴿يُؤْفَكُ﴾[1].

وإن كان ما قبلها مفتوحاً كتبت على الألف مثل ﴿يَأْكُلُونَ﴾[2].

وإن كان ما قبلها مكسوراً كتبت على الياء مثل ﴿وَبِئْرٍ﴾[3].

وإن كانت متحركة:

فلها ثلاث حالات:

١ ـ أن تكون متحركة وما قبلها ساكن غير حرف الألف: وحكم ذلك أن لا يصور للهمزة صورة مهما كانت حركتها سواء كانت:

مضمومة مثل ﴿مَسْـُٔولًا﴾[4].

أو مفتوحة مثل ﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[5].

أو مكسورة مثل ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[6].

٢ ـ أن تكون متحركة وما قبلها ألف ساكنة.

فإن كانت حركتها الفتح لم تصور لها صورة مثل ﴿أَبْنَآءَنَا﴾[7] ﴿وَنِسَآءَنَا﴾[8] و﴿مَآءً﴾[9].

فإن كانت حركتها الضم صورت واواً مثل ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾[10] ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾[11].

فإن كانت حركتها الكسر صورت ياءً مثل ﴿نِسَآئِكُمْ﴾[12] و﴿أَبْنَآئِكُمُ﴾[13].

---

(١) سورة الذاريات: من الآية ٩.
(٢) سورة النساء: من الآية ١٠.
(٣) سورة الحج: من الآية ٤٥.
(٤) سورة الإسراء: من الآية ٣٦.
(٥) سورة الواقعة: من الآية ٩.
(٦) سورة النحل: من الآية ٧٨.
(٧) سورة آل عمران: من الآية ٦١.
(٨) سورة آل عمران: من الآية ٦١.
(٩) سورة البقرة: من الآية ٢٢.
(١٠) سورة النساء: من الآية ١١.
(١١) سورة النساء: من الآية ١١.
(١٢) سورة البقرة: من الآية ١٨٧.
(١٣) سورة النساء: من الآية ٢٣.

٣ ـ أن تكون متحركة وما قبلها متحرك.

فإن كانت مفتوحة وما قبلها مفتوح كتبت ألفاً ﴿سَأَلَ﴾[١] ﴿بَدَأَكُمْ﴾[٢].

فإن كانت مفتوحة وما قبلها مضموم كتبت واواً ﴿مُؤَجَّلًا﴾[٣] و﴿وَالْفُؤَادَ﴾[٤].

فإن كانت مفتوحة وما قبلها مكسور كتبت ياء ﴿خَاطِئَةٍ﴾[٥] و ﴿السَّيِّئَةُ﴾[٦].

فإن كانت مضمومة وما قبلها مفتوح كتبت واواً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾[٧] و﴿يَكْلَؤُكُم﴾[٨].

فإن كانت مضمومة وما قبلها مكسور كتبت ياء ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾[٩].

فإن كانت مضمومة وما قبلها مضموم كتبت واواً ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾[١٠].

فإن كات مكسورة صورت ياء سواء كان ما قبلها مضموماً أو مفتوحاً أو مكسوراً مثل ﴿يَئِسَ﴾[١١] و﴿سُئِلَتْ﴾[١٢] و﴿بَارِئِكُمْ﴾[١٣].

وخلاصة حكم الهمزة المتوسطة أنها تكتب بحرف حركة ما قبلها، إلا إذا كانت مكسورة فترسم بالياء مطلقاً، وإذا كانت مضمومة وما قبلها مفتوح فترسم واواً.

وإذا كانت الهمزة في آخر الكلمة:

فلا تخلو من أن تكون ساكنة أو متحركة.

فإن كانت ساكنة:

فإنها تكتب بحرف حركة ما قبلها.

فإن كان ما قبلها مفتوحاً كتبت على الألف مثل ﴿اقْرَأْ﴾[١٤].

وإن كان ما قبلها مكسوراً كتبت على الياء مثل ﴿نَبِّئْ﴾[١٥].

---

(١) سورة المعارج: من الآية ١.
(٢) سورة الأعراف: من الآية ٢٩.
(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٤٥.
(٤) سورة الإسراء: من الآية ٣٦.
(٥) سورة العلق: من الآية ١٦.
(٦) سورة فصلت: من الآية ٣٤.
(٧) سورة الشورى: من الآية ١١.
(٨) سورة الأنبياء: من الآية ٤٢.
(٩) سورة الأعلى: من الآية ٦.
(١٠) سورة المائدة: من الآية ٦.
(١١) سورة المائدة: من الآية ٣.
(١٢) سورة التكوير: من الآية ٨.
(١٣) سورة البقرة: من الآية ٥٤.
(١٤) سورة العلق: من الآية الأولى.
(١٥) سورة الحجر: من الآية ٤٩.

ولم يرد في القرآن همزة ساكنة متطرفة قبلها ضمة.

وإن كانت متحركة:

فلا تخلو من أن يسكن ما قبلها أو يتحرك.

١ ـ فإن كان ما قبلها ساكن: لم يصور لها صورة مثل ﴿دِفْءٌ﴾[١] و﴿ٱلْخَبْءَ﴾[٢] و﴿جَآءَ﴾[٣].

٢ ـ وإن كان ما قبلها متحرك فتكتب بحرف حركة ما قبلها كالساكنة:

فإن كانت مفتوحة وما قبلها مفتوح كتبت على الألف مثل ﴿ذَرَأَ﴾[٤].

فإن كانت مفتوحة وما قبلها مكسور كتبت على الياء مثل ﴿قُرِئَ﴾[٥].

ولم يرد في القرآن همزة متطرفة مفتوحة قبلها ضمة.

وإن كانت مضمومة وما قبلها مضموم كتبت على الواو مثل ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾[٦].

وإن كانت مضمومة وما قبلها مكسور كتبت على الياء مثل ﴿تُبَوِّئُ﴾[٧].

وإن كانت مضمومة وما قبلها مفتوح كتبت على الألف مثل ﴿ٱلْمَلَأُ﴾[٨].

وإن كانت مكسورة وما قبلها مكسور كتبت على الياء مثل ﴿ٱمْرِئٍ﴾[٩].

وإن كانت مكسورة وما قبلها مضموم كتبت على الواو مثل ﴿ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[١٠].

وإن كانت مكسورة وما قبلها مفتوح كتبت على الألف مثل ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ﴾[١١].

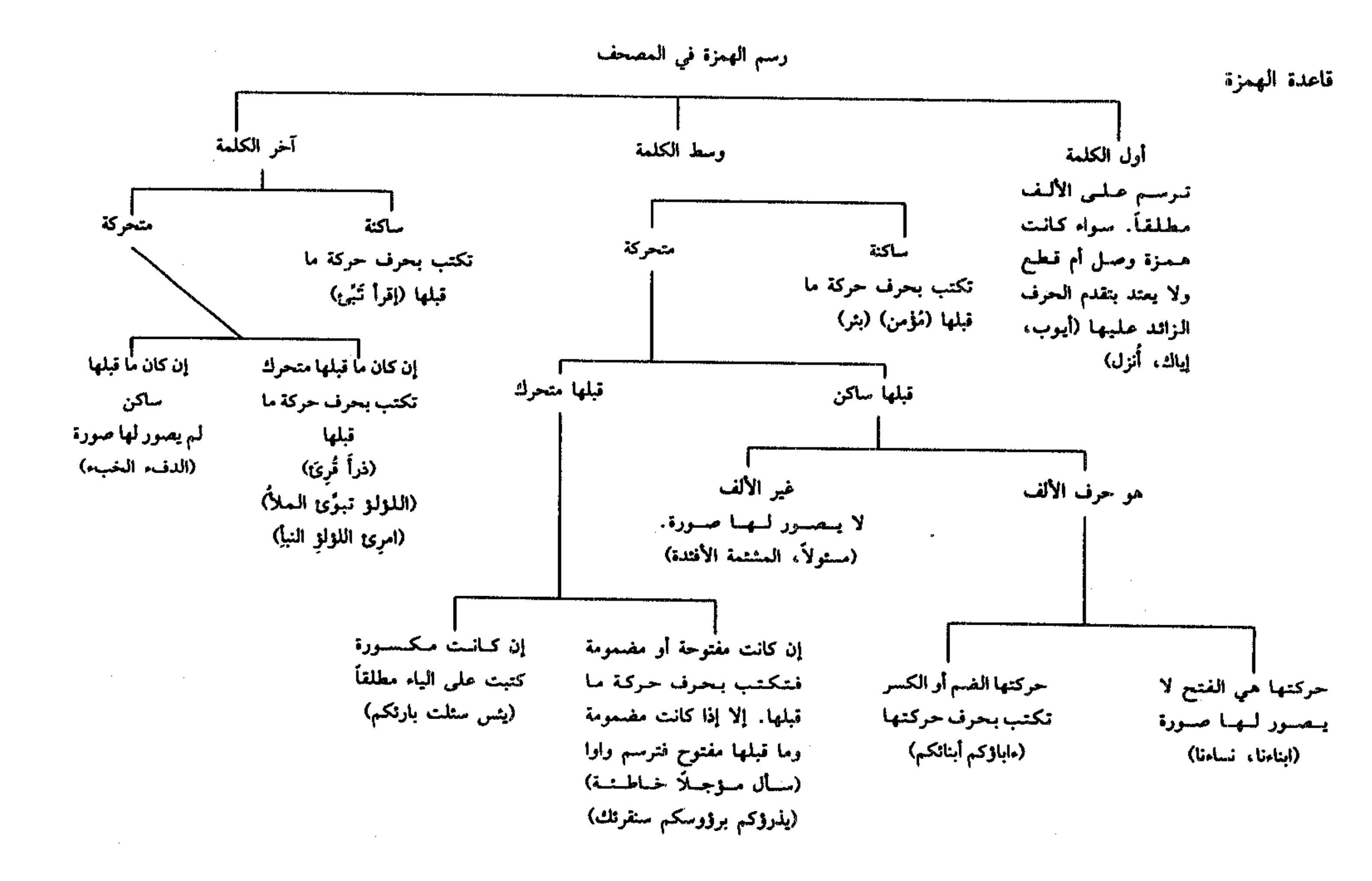
وخلاصة حكم الهمزة المتطرفة أنها تكتب بحرف حركة ما قبلها فإن كان ما قبلها ساكن لم يصور لها صورة.

وهذا رسم بياني تقريبي يبين حكم الهمزة في جميع الحالات مع عدم الاستيفاء أو التفصيل.

---

(١) سورة النحل: من الآية ٥.
(٢) سورة النمل: من الآية ٢٥.
(٣) سورة النصر: من الآية ١.
(٤) سورة الأنعام: من الآية ١٣٦.
(٥) سورة الأعراف: من الآية ٢٠٤.
(٦) سورة الرحمن: من الآية ٢٢.
(٧) سورة آل عمران: من الآية ١٢١.
(٨) سورة هود: من الآية ٢٧.
(٩) سورة النور: من الآية ١١.
(١٠) سورة الواقعة: من الآية ٢٣.
(١١) سورة النبأ: من الآية ٢.

قاعدة الهمزة



القاعدة الخامسة: قاعدة الفصل والوصل.

الأصل في الكتابة فصل الكلمة عن الكلمة لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما[1].

وقد نص علماء العربية على أن حق كل كلمة أن تقع مفصولة في الكتاب عما قبلها وما بعدها ليدل كل لفظ على ما وضع له مفردا[2] إلا أنا نجد بعض الكلمات في رسم المصحف ترد مرة موصولة بما بعدها، وترد مفصولة في موضع آخر.

وفي هذا القاعدة يورد علماءالرسم ما يوصل وما يفصل من هذه الكلمات.

ويريدون بالموصول: كل كلمة اتصلت بما بعدها في الرسم.

وبالمفصول: كل كلمة انفصلت عما بعدها في الرسم.

وإذا كانت الكلمة مفصولة عن غيرها جاز الوقف عليها في مقام التعليم أو الاختبار أو في حالة الاضطرار.

وإذا كانت الكلمة موصولة بما بعدها لم يجز الوقف عليها بل على الكلمة الثانية منهما وتنزل الكلمة الأولى مع الثانية منزلة الكلمة الواحدة.

ولعلك تقول: إذا كان الفصل هو الأصل فكان الحق أن لا يذكر علماء الرسم إلا ما خالف الأصل دون ما وافقه، فما بالهم يتناولون هنا الموصول والمفصول جميعاً.

وقد علل بعض علماء الرسم ذلك بأنهم تناولوا المفصول اختصاراً لقلته بالنسبة إلى الموصول ولو تعرضوا إلى جميع ما جاء موصولاً على

(١) رسم المصحف: د. قدوري ص:٤٤٨.

(٢) المرجع السابق: د. قدوري ص:٤٤٧ ـ ٤٤٨.

خلاف الأصل لطال الكلام وفات الاختصار[1].

ومن الكلمات التي تدخل في هذه القاعدة:

١ ـ (ألا) أصلها أَنْ لا وكتبت موصولة في ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

٢ ـ (مما) أصلها مِنْ ما وكتبت موصولة في ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3].

٣ ـ (أينما) أصلها أين ما وكتبت موصولة في ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[4].

٤ ـ (بئسما) أصلها بئس ماوكتبت موصولة في ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾[5].

٥ ـ (كيلا) أصلها كي لا وكتبت موصولة في ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ﴾[6].

٦ ـ (ويكأن) أصلها وى كأن وكتبت موصولة في ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[7].

---

(١) دليل الحيران شرح مورد الظمآن: المارغني ص: ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ويبدو لي أن هذا التعليل غير مقنع فمن تتبع الكلمات الموصولة والمفصولة كما وردت في دليل الحيران مثلاً سيجد أن الكلمات المفصولة سبعة عشر كلمة والموصولة سبعة عشر كلمة فهما من حيث العدد سواء.

بل وسيجد أن التقسيم غير دقيق فهم يذكرون مثلاً في الكلمات المقطوعة (عن ما) وأنها تقطع في موضع واحد في الأعراف وتوصل فيما عداه ومع هذا فإنهم يعدونها في المقطوع ولو قلبت القضية وعددتها في الموصول وقلت أنها توصل في جميع المواضع إلا موضع الأعراف لصح، واختل بهذا تقسيمهم للكلمات المقطوعة والموصولة وما قلته في (عن ما) ينطبق على أغلب الكلمات المقطوعة والموصولة.

وهذا يؤكد قضية وجوب الاقتصار على ذكر ما خالف الأصل وهو القطع فلا يذكر في هذا الباب إلا ما هو موصول وحقه القطع. إذ لم يرد في القرآن كلمة مقطوعة وحقها الوصل كما لو قلت (مُحَ مَّد) أو (الح مد) أو (السَّ ماء).

ولهذا التزمت الاقتصار على كلمات وصلت والأصل فيها القطع.

(٢) سورة النجم: من الآية ٣٨.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٣.

(٤) سورة البقرة: من الآية ١١٥.

(٥) سورة الأعراف: من الآية ١٥٠.

(٦) سورة الحج: من الآية ٥.

(٧) سورة القصص: من الآية ٨٢.

٧ ـ (ألّن) أصلها أن لن وكتبت موصولة في ﴿أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[1].

٨ ـ (ممن) أصلها مِنْ مَنْ وكتبت موصولة في ﴿مِمَّن مَّنَعَ﴾[2].

٩ ـ (فيم) أصلها في ما وكتبت موصولة في ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ﴾[3].

١٠ ـ (نعما) أصلها نعم ما وكتبت موصولة في ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[4].

١١ ـ (يبنؤم) أصلها يا ابن أمي وكتبت موصولة في ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾[5].

١٢ ـ (كأنما) أصلها كأن ما وكتبت موصولة في ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾[6].

هذه بعض الكلمات التي وردت في القرآن موصولة والأصل في رسمها الفصل.

القاعدة السادسة: ما فيه قراءتان:

ويدخل تحت هذه القاعدة نوعان من الكلمات:

النوع الأول: كلمات فيها أكثر من قراءة وتدخل تحت إحدى القواعد السابقة:

ففي قاعدة الحذف ترسم (مٰلك يوم الدين) بحذف الألف لأن في ملك قراءتين بالألف (مالك) وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره وقرأ الباقون بحذفها.

---

(١) سورة القيامة: من الآية ٣.
(٢) سورة البقرة: من الآية ١١٤.
(٣) سورة النساء: من الآية ٩٧.
(٤) سورة النساء: من الآية ٥٨.
(٥) سورة طه: من الآية ٩٤.
(٦) سورة الأنعام: من الآية ١٢٥.

وفي قاعدة الهمز كلمة النشأة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[1] رسمت بإثبات الهمزة مع أن القاعدة أن الهمزة المتحركة إذا كان قبلها ساكن غير ألف تحذف صورة الهمز فتكتب هكذا (النشـَة) إلا إنها رسمت بإثبات الهمز وفي ذلك إشارة إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو (النشاءة) بفتح الشين وإثبات ألف بعدها وبعد الألف همزة مفتوحة.

وفي قاعدة البدل كل ما اختلف فيه القراء جمعاً وإفراداً يرسم بالتاء ليحتمل القراءتين ﴿غيبٰت﴾[2] قرأهما المدنيان بالألف على الجمع والباقون بغير الألف على الإفراد. ومثل ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[3] قرأها ابن كثير بغير الألف على الإفراد والباقون بالألف على الجمع.

أما في الوصل والفصل فقد مر بنا قريباً صلته بالوقف فلا يجوز الوقف على الكلمة الأولى من كلمتين موصولتين، ويجوز الوقف عند الفصل للتعليم أو الاختبارونحوهما.

والنوع الثاني: كلمات يحتمل رسمها قبل النقط أكثر من قراءة.

ومن أمثلة ذلك:

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[4] بدون نقط قرأ حمزة والكسائي بالثاء (كثير) وقرأ الباقون بالباء.

﴿نُنشِزُهَا﴾[5] بدون نقط قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالزاي والباقون بالراء.

﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾[6] بدون نقط قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) وقرأ الباقون (فتبينوا).

---

(١) سورة النجم: من الآية ٤٧.

(٢) سورة يوسف: من الآية ١٠.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٧.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢١٩.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٥٩.

(٦) سورة النساء: من الآية ٩٤.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾[1] قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم بالصاد المهملة. وقرأ الباقون بالضاد المعجمة المكسورة وقبلها قاف ساكنة.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[2] قرأها يعقوب (إِخوتِكم) بكسر الهمزة وسكون الخاء وكسر التاء. وقرأها الباقون بفتح الهمزة والخاء وسكون الياء.

وغير ذلك من الكلمات التي ساعد عدم نقطها على جمع رسمها لأكثر من قراءة.

فوائد ومزايا رسم المصحف:

ينبغي أن نُذَكِّر قبل ذكر الفوائد والمزايا بما قلناه في أول الباب من أن الصحابة رضي الله عنهم لم يخترعوا رسماً خاصاً لكتابة القرآن وإنما كتبوه بالطريقة السائدة للكتابة في عصرهم[3] إلا في مواضع خالفوا فيها هذه الطريقة لحكم وفوائد.

وسنذكر بعض الفوائد والمزايا لرسم المصحف العثماني ومنها:

الفائدة الأولى:

اشتمال هذا الرسم في جملته على القراءات الصحيحة، ولهذا اشترط علماء القراءات لصحة القراءة موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً.

وعلى هذا فإذا كان في الكلمة الواحدة أكثر من قراءة فإنها ترسم بوجه يحتمل هذه القراءات أو أكثرها.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ٥٧.

(٢) سورة الحجرات: من الآية ١٠.

(٣) وقد خالف في هذا بعض الباحثين زاعمين أن الرسم كان بالتوقيف ولا تجوز مخالفته وهم يخلطون في هذا بين القول بالتوقيف والقول بوجوب التزام الرسم متوهمين أن الثاني يوجب الأول. والحق أن القول بالتوقيف ظهر في وقت متأخر، أما القول بوجوب التزام الرسم فهو قول جمهور علماء الأمة، ولا يلزم من القول به القول بأن الرسم توقيفي. والله أعلم.

فيكتبون مثلاً ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[1] بحذف الألف بعد الميم الأولى ووضع ألف صغيرة للإشارة إلى الألف المحذوفة في قراءة عاصم والكسائي (مالك) وفي حذفها إشارة إلى قراءة الباقين (مَلِك).

وكذا ما كان فيه أكثر من قراءتين فإنهم يرسمونه بصورة تحتمل هذه القراءات ما أمكنهم ذلك مثل ﴿إن هذان لساحران﴾[2] فقد رسمت في المصحف قبل النقط هكذا (ان هدن) للإشارة إلى القراءات فيها وهي:

١ ـ (إِنَّ هَذَانِ) وهي قراءة نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي.

٢ ـ (إِنْ هَذَانٌّ) وهي قراءة ابن كثير.

٣ ـ (إِنْ هذانِ) وهي قراءة حفص عن عاصم.

٤ ـ (إِنَّ هذينِ) وهي قراءة أبي عمرو.

وكما ترى فإن رسم هاتين الكلمتين بلا نقط ولا شكل ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال يحتمل هذه القراءات كلها.

وإياك أن تفهم أن الصحابة هم الذين حذفوا النقط أو الشكل وإنما نعنى أن عدم وجود النقط أولاً وعدم وجود الشكل ثانياً وحذفهم لبعض الأحرف ثالثاً كل هذا ساعد على رسم بعض الكلمات بحيث تصلح لأكثر من قراءة.

وقد أنكر بعض الباحثين هذه الفائدة معللاً دعواه بأن النقط لم يكن معروفاً عند الصحابة رضي الله عنهم حتى يعتمدوا حذفه لهذا الغرض.

ونحن لم نقل أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون النقط أو الشكل ولكن نقول أن عدم وجود النقط والشكل في تلك الفترة ساعد على كتابة الكلمة بطريقة تحتمل أكثر من قراءة.

---

(١) سورة الفاتحة: من الآية ٣.

(٢) سورة طه: من الآية ٦٣.

بقي أن نقول إنه إذا كان في الآية أكثر من قراءة ولا يمكن كتابتها برسم واحد يحتمل هذه القراءات فإنهم يكتبون كل قراءة في مصحف ليتفق كل رسم مع القراءة التي يقرأ بها.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿والزبر والكتاب المبين﴾[١] كتبت الكلمتان في المصحف الشامي (وبالزبر وبالكتاب المنير) بزيادة باء في الزبر وباءٍ أخرى في الكتاب. وكتبتا في سائر المصاحف بحذف الباءين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٢] كتبت في المصحف المكي (من تحتها) بزيادة (من) وفي بقية المصاحف بدونها.

وفي قوله تعالى: (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً)﴾[٣] كتبت في المصحف المكي والمدني والشامي (منهما) بالتثنية وفي بقية المصاحف (منها) بالإفراد[٤].

الفائدة الثانية:

أن في اختلاف الرسم عن النطق حملاً للناس على تلقي القرآن من أفواه القراء والحفاظ وعدم الاعتماد على مجرد القراءة من المصحف.

ولا شك في أهمية حفظ القرآن عن طريق التلقي وقد كان أعلام حفاظ القرآن الكريم يميزون الحفظ بالتلقي فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (حفظت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة)[٥] وبين عمن

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٨٤.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٠٠.

(٣) سورة الكهف: من الآية ٣٦.

(٤) للدكتور محمد محمد سالم محيسن كتاب (الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني) ظهر فيه أثر هذه الفائدة لرسم المصحف. ومنه أخذت بعض الأمثلة.

(٥) صحيح البخاري ج:٦ ص:١٠٢ ومسلم ج:٤ ص:١٩١٢.

أخذ باقيه فقال: (وأخذت بقية القرآن عن أصحابه)[1] ولإدراكه رضي الله عنه مكانة التلقي بالمشافهة كان إذا سئل عن سورة لم يكن تلقاها عن الرسول ﷺ صرح لهم بذلك ودلهم على من تلقاها بالمشافهة عنه ﷺ فعن معد يكرب قال: (أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ (طسم) المائتين[2]. فقال: ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرتّ. قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا)[3].

ولهذا قرر العلماء أنه لا يصح التعويل على المصاحف وحدها، بل لا بد من التلقي عن حافظ متقن وكانوا يقولون: (من أعظم البليّة تشييخ الصحيفة)[4] ويقولون: (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي)[5] وهو الذي يعلم الناس وينظر إلى رسم المصحف. وكان الشافعي رحمه الله تعالى يقول: (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام)[6].

ولحمل الناس على تلقي القرآن مشافهة مزيتان:

المزية الأولى: التوثق من النطق الصحيح لألفاظ القرآن الكريم، وطريقة الأداء، وحسن الترتيل، وإتقان التجويد، وإخراج الحروف من مخارجها فإن ذلك كله لا يمكن تحقيقه عن طريق الكتابة وحدها، إذ لا يمكن معرفة الرَوْم، والإشمام، والتسهيل، والتحقيق، والتفخيم والقلقلة، والإدغام، والإخفاء إلا عن طريق السماع الصوتي من معلمٍ متابعٍ مصغٍ.

---

(١) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ج:٩ ص:٤٨.
(٢) هي سورة الشعراء.
(٣) مسند الإمام أحمد: ج:٦ ص:٣٤ بتحقيق أحمد شاكر رقم ٣٩٨٠ وقال: إسناده صحيح.
(٤) تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة ص:٨٧.
(٥) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: العسكري ص١٠.
(٦) تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة ص:٨٧.

المزية الثانية:

اتصال السند برسول الله ﷺ. فإذا كان كل مسلم يتلقى القرآن عن معلم فإن السند سينتهي بالمعلم الأول عليه الصلاة والسلام عن جبريل عن ربه.

ولا شك أن اتصال السند برسول الله ﷺ في القرآن كله سوره، وآياته، وكلماته، وحروفه، بهيئاتها وحركاتها، وكيفية نطقها بطريق التواتر خاص بهذا القرآن، وهو من خواص هذا الكتاب الذي امتاز به على سائر الكتب، وخواص هذه الأمة التي امتازت به على سائر الأمم(١).

طريق معرفة رسم المصحف:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في طريق معرفة رسم المصحف هل هو توقيفي أو اجتهادي.

القول الأول: أن رسم المصحف توقيفي:

ويرى أصحاب هذا القول أن رسم المصحف ما هو إلا أمر توقيفي عن الرسول ﷺ علمه أصحابه فكتبوا المصحف به كما تعلموه قال الدباغ: «ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سرٌّ من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز»(٢)!! واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها:

١ ـ إقرار الرسول ﷺ كتّابَ الوحي على هذا الرسم:

وبيان ذلك أن كتاب الوحي كانوا يكتبون القرآن بين يدي الرسول ﷺ ويقرهم عليه.

---

(١) انظر كتابي خصائص القرآن الكريم: ص:١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) الإبريز: أحمد بن المبارك ص:٥٥ ـ ٥٦.

٢ ـ أن القرآن كتب في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بهذا الرسم ولم يغير فيه أو يبدل وكذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٣ ـ اتفاق الصحابة على التزام هذا الرسم وإقرارهم لرسم المصحف في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم.

٤ ـ اتفاق التابعين وتابعيهم على ذلك وعدم تجويزهم لمخالفته.

وهذا كله يدل على أن رسم المصحف توقيفي ولو كان غير ذلك لجاز لهم تغيير رسمه فلما لم يفعلوا دل على التوقيف.

٥ ـ واستدلوا ببعض الروايات غير الثابتة، وبعض الآثار غير الصريحة في الدلالة كقول زيد رضي الله عنه: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي علي فإذا فرغت. قال: إقرأ، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه. ثم أخرج به إلى الناس[١]. وسئل الإمام مالك أيكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ قال: لا إلا على الكتبة الأولى[٢] وقال الإمام أحمد تحرم مخالفة خط المصحف[٣] وقال البيهقي: من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف[٤] وقال الزمخشري: خط المصحف سنة لا تغير[٥].

قالوا: وهذه الروايات والآثار تدل على أن رسم المصحف توقيفي لا تجوز مخالفته.

القول الثاني: أن رسم المصحف اصطلاحي:

ويرى أصحاب هذا القول أن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، كتبه الصحابة رضي الله عنهم بالطريقة التي كانوا يكتبون بها سائر كتبهم من غير نص من الرسول ﷺ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ج:٢ ص:٥٤٤ ورجاله ثقات.
(٢) المقنع: أبو عمرو الداني ص:٩.
(٣) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٣٧٩ والإتقان: السيوطي ج:٢ ص:٢١٣.
(٤) الإتقان: السيوطي ج:٢ ص:٢١٣.
(٥) الكشاف: الزمخشري: ج:٣ ص:٨٢.

وقال بهذا الرأي عدد من العلماء كابن خلدون والباقلاني وابن قتيبة وغيرهم.

قال الباقلاني[1]: «وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخُطَّاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه، وقال: «أن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ولا نهى أحداً عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال» ثم قال: «وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته وما هو أسهل وأشهر وأولى من غير تأثيم ولا تناكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حَدٌّ محدود مخصوص كما أخذ عليهم في القراءة والأذان والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت.

الرأي الراجح:

والذي نراه أن رسم المصحف اصطلاحي وليس بتوقيفي لأن القول بالتوقيف يحتاج إلى دليل وليس ثَمَّ دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة على ذلك ولم يقل به أحد من علماء السلف بل هو لبعض المتأخرين.

وأما ما روي من روايات فهي إما غير صحيحة أو لا تدل على المراد من القول بالتوقيف بل تدل على وجوب التزام الرسم وليس هذا هو موضع

---

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني جـ:١ ص:٣٧٣ ـ ٣٧٤ والإبريز: أحمد بن المبارك ص: ٥٥.

الخلاف هنا واحترام الرسم العثماني واستحسانه والتزامه لا يلزم منه القول بأنه توقيفي.

حكم التزام الرسم العثماني:

اختلف العلماء في حكم التزام الرسم العثماني إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: وجوب التزام الرسم العثماني وتحريم مخالفته[1]:

وهو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك وأقوال العلماء ونصوصهم في ذلك كثيرة ومنها أن الإمام مالك رحمه الله تعالى سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا. إلا على الكتبة الأولى.

وقال أشهب: سئل مالك فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك. ولكن يكتب على الكتبة الأولى. قال أبو عمر والداني: «ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة وبالله التوفيق»[2].

وقال أشهب: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ قال: لا. قال أبو عمرو الداني: يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ...»[3].

---

(١) وقد ألف عدد من العلماء رسائل خاصة في وجوب التزام الرسم العثماني ومنع كتابته بالرسم الإملائي أو بالأحرف اللاتينية ومنها:
١ ـ الفتوى المحمدية على الأسئلة الهندية عن المرسومات القرآنية: محمد قنديل الرحماني.
٢ ـ إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام: محمد حبيب الجكني.
٣ ـ كتابة القرآن بالرسم الإملائي أو الحروف اللاتينية اقتراحان مرفوضان: عبد الحي الفرماوي.

(٢) المقنع: لأبي عمرو الداني ص٩ ـ ١٠.

(٣) المرجع السابق: ص٢٨.

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ تَحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك»[١].

وقال البيهقي في شعب الإيمان: «من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانةً مِنَّا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم»[٢].

بل قال الجعبري في شرح العقيلة: إن ذلك هو مذهب الأئمة الأربعة»[٣] وقال الزمخشري في تفسيره «خط المصحف سنة لا تغير»[٤].

وقد صدرت فتوى هيئة كبار العلماء بالرياض رقم ٧١ وتاريخ ٢١/ ١٠/١٣٩٩ بأن المحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم (يعني الرسم العثماني) هو المتعين اقتداء بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملاً بإجماعهم».

وقد أيد هذه الفتوى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة كما أيدتها دار الإفتاء بمصر[٥].

القول الثاني: جواز كتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث:

وممن ذهب إلى هذا القول الباقلاني وابن خلدون وعدد من المعاصرين واستدلوا بأدلة منها[٦]:

١ ـ أن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات فكل رسم

---

(١)(٢) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٣٧٩ والإتقان: السيوطي: ج:٢ ص:٢١٣.
(٣) رسم المصحف: د. غانم قدوري الحمد ص:١٩٩.
(٤) الكشاف: الزمخشري ج:٣ ص:٨٢.
(٥) انظر تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية: صالح علي العود ص: ٥٦ ـ ٦٣.
(٦) تاريخ المصحف الشريف: عبد الفتاح القاضي ص:٤٩ ـ ٥٠ وهذه الأدلة مقتبسة من كلام الباقلاني، وقد سبق نقله عند القول بأن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي.

يدل على الكلمة ويفيد وجه قراءتها فهو رسم صحيح وكاتبه مصيب.

٢ ـ أن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في لبس وحيرة، ومشقة وحرج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة وكتابة القرآن بالرسم الحديث فيه تيسير على الناس ورفع للحرج والمشقة.

٣ ـ ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع الأمة ما يوجب التزام الرسم العثماني.

القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الإملائي للعامة وللتعليم مع الإبقاء على الرسم العثماني في المصاحف والمحافظة عليه للعلماء والخاصة.

ومال إلى هذا الرأي الشيخ العز بن عبد السلام والزركشي رحمهما الله تعالى فقد عقب الزركشي على ما قاله الإمامان مالك وأحمد رحمهما الله تعالى بقوله: «قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حي غض، وأما الآن فقد يخشى الإلباس. ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال» ولم يرتض الزركشي هذا البعد في الجواز للرسم الإملائي فعقب على كلام العز بقوله: «ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة»[1].

والرأي الراجح:

والراجح من هذه الأقوال فيما أرى هو أولها إذ نص علماء السلف

---

(١) البرهان: الزركشي ج:١ ص:٣٧٩. وقد خلط بعض الباحثين بين كلامه وكلام العز وحسبوه كلاماً واحداً مع ظهور الاختلاف. وممن وقع في الخلط الزرقاني في مناهله ج:١ ص:٣٧٨ ود. صبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن ص:٢٨٠ ونقل كثير من المؤلفين العبارة عن الزرقاني من غير إدراك للخلط، وقد نبه إلى ذلك د. غانم قدوري الحمد في كتابه رسم المصحف ص:٢٠١.

على وجوب التزام رسم المصحف وتحريم مخالفته ونستدل على ذلك ما يلي:

١ - أن القرآن كتب بهذا الرسم في عهد عثمان وفيه كبار الصحابة فتلقوه هم وبقية الصحابة حينذاك وعددهم لا يقل عن اثني عشر ألفاً بالقبول ولم يعترض أحدهم على زيادة حرف أو نقصانه، وتلقاه مِنْ بعدهم التابعون ومَنْ بعدهم. فلا يترك هذا الرسم مراعاة لجهل الجاهلين، وتقصير المقصرين.

٢ - أن الكتابة كغيرها من العلوم والمعارف تتغير وتتبدل، وتتطور من عصر إلى عصر ومن بلد إلى بلد فلو كتب في عصرنا هذا على طريقتنا في الكتابة لاحتاج من في المغرب العربي إلى كتابته بصورة أخرى واحتاج من في الهند وباكستان إلى كتابة ثالثة ولاحتاجت الأجيال من بعدنا إلى تغيير وتبديل يعرض النص القرآني في كل مرة إلى الخطأ أو التحريف والتغيير.

٣ - أن تغيير رسم المصحف كلما هبت ريح أو أشرقت شمس أو آذنت بغروب يعرض المصحف للامتهان، ويمس قداسته، ويغض من هيبته، ويقلل من احترامه فتعتاد النفوس ويتبلد الإحساس وتخمد الغيرة على النص القرآني.

٤ - أن إجازة كتابته بالرسم الإملائي وانتشاره بذلك واعتياد الناس لذلك يمهد للدعوة إلى تغيير الأحرف العربية وكتابة اللفظ بالأحرف اللاتينية ما دام النطق هو النطق واللفظ هو اللفظ. بل الدعوة قائمة الآن إلى كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية.

٥ - أن للرسم العثماني فوائده وحكمه، ومزاياه التي يضمنها الالتزام بالرسم العثماني ولا تتحقق في سواه.

٦ - أن تعليم القرآن وحفظه لا يكون من المصحف وإنما عن طريق المشافهة عن حافظ متقن ومن سلك هذا الطريق لم يشكل عليه رسم وإنما الإشكال ممن لم يلتزم الطريق الصحيح وقرأ من المصحف وحده فالخطأ من قبله هو أتى.

٧ ـ أن الاحتجاج بتعليم الصبيان غير مسلم فها نحن نراهم يتعلمون اللغات الأجنبية بحروفها ولغاتها ويتقنونها وينكرون كل الإنكار كتابة الكلمات لهم بالأحرف العربية بل يوجبون قراءة اللغة الأجنبية بأحرفها الأجنبية مع الاختلاف الكلي بين اللغتين بينا الاختلاف بين الرسم العثماني والإملائي ليس إلا في كلمات معدودة ورسوم محدودة.

٨ ـ أن تعليم الصبيان لا يكون بالمساس بالنص الديني وإنما يكون برفع مستوى الأذهان، والتهيئة النفسية لذلك.

وعلينا إن كنا حريصين ـ حقاً ـ على تعليم أبنائنا للقرآن الكريم أن نعوّدهم القراءة في المصحف، ففي التعود على قراءته تأليف لأذهانهم على رسم المصحف، وترويض لمداركهم على مصطلحاته وسيدرك أولئك أن الصعوبة التي تواجههم بادئ الأمر قد تحولت بعد زمن يسير إلى سهولة ووضوح.

وإنما تصعب تلاوة القرآن وإتقانه على الذين يهجرونه دهراً طويلاً ثم يعودون لتلاوته دقائق معدودة، فأولئك سيواجهون ـ حتماً ـ الصعوبة وسيحملون تقصيرهم ـ جوراً وظلماً ـ على رسم المصحف وما هو من الرسم ولكنه من تفريطهم بالتلاوة وهجرهم للقرآن والله المستعان[1].

٩ ـ أن في الالتزام برسم المصحف ضمان قوي للنص القرآني من التحريف والتبديل ولو تم تغييره في كل حين والتصرف في كتابته في كل عصر لأدى ذلك إلى تعريض المصحف للتغيير والتبديل، والتحريف.

١٠ ـ أن الذين دعوا إلى كتابة المصاحف بالرسم الإملائي ليسوا من القراء ولا من العلماء المختصين بالرسم وإنما عمادهم الرأي المجرد بل إن بعضهم من المشهورين بالإلحاد وسوء المعتقد، وفيهم من دعا إلى ذلك بحسن نية لكنها دعوة ينقصها العلم الشرعي والله المستعان.

---

(١) من كتابي خصائص القرآن الكريم: ص: ١٨٧.

ونحن حين نورد هذه الأدلة لا نستجدي موافقة أو نلتمس تأييداً[1] لإبقاء رسم المصحف العثماني فهو أمر حسمه علماء السلف رحمهم الله تعالى ولا خيار للمخالف ولكنا نخشى أن يغتر ببريق هذه الدعوة مغتر، أو تنطلي شبهات هذه الدعوة على من لا يعلم الحكم الشرعي فيغرق في أوحالها.

نقط المصحف وشكله وتجزئته:

من المعلوم أن المصاحف في عهد الصحابة رضي الله عنهم لم تكن منقوطة ولا مضبوطة بالشكل. وقد كان ذلك لأنهم كانوا عرباً خلصاً يقرؤون بفهمهم أكثر أو مثل ما يقرأون بالحروف الماثلة أمامهم.

ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية واختلط العرب بالعجم دخل اللحن في لسان الأحفاد، وأخطر ما يكون اللحن وأشده حين يقع في القرآن الكريم. وأكثر من يدرك فشو اللحن وانتشاره من يقيم في بلاد العجم السابقة كالعراق بلاد الفرس.

وقد كان زياد بن عبيد الله والي البصرة (٤٤ ـ ٥٣هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وحين رأى زياد ظهور اللحن خشي أن ينال القرآن منه شيء فبعث إلى أبي الأسود الدؤلي وقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء ـ يعني العجم ـ قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى. فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل هيبة للقرآن وإجلالاً أن يضع فيه ما ليس منه، حتى سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾[2] بكسر اللام من ورسوله فاستعظم أبو الأسود

---

(١) أقول هذا لأني رأيت فيما كتبه بعض المعارضين للرسم الإملائي فتوراً وليناً، وتنازلاً وكأن في الأمر مقايضة.

(٢) سورة التوبة: من الآية ٨٣

ذلك وقال: عَزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله. ثم رجع إلى زياد وأجابه إلى طلبه ووضع علامات الإعراب[1].

وكانت علامات الإعراب التي وضعها هي:

١ ـ نقطة فوق الحرف للفتح.

٢ ـ نقطة بين يدي الحرف للضم.

٣ ـ نقطة تحت الحرف للكسر.

٤ ـ نقطتين للحرف المنون.

ثم وبعد أن أمن الناس من اللحن أو كادوا بعد وضع علامات الإعراب ظهر نوع آخر من الخطأ وهو التمييز بين الحروف التي تتحد صورتها بدون نقط كالباء والتاء والثاء، وكالجيم والحاء، وكالدال والذال، ونحوها وشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهي غير معجمة. مما دعا الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أن يأمر الحجاج بن يوسف الثقفي واليه في العراق أن يختار من العلماء من يقوم بهذا العمل.

واختار الحجاج بن يوسف لهذا العمل عالمين هما:

١ ـ يحيى بن يعمر العدواني ت قبل (٩٠هـ).

٢ ـ نصر بن عاصم الليثي ت (٩٠هـ).

فقاما بإعجام الحروف بوضع النقاط المعروفة إلى يومنا هذا[2]، ثم ولئلا يقع خلط بين نقط الإعجام ونقط الإعراب قام الخليل بن أحمد

(١) المحكم: للداني ص:٣ ـ ٤ والفهرست: لابن النديم ص:٦٠ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء: لابن الأنباري ص٢٠.

(٢) لمعرفة أقوال العلماء في علل إعجام الحروف (يعني علة وضع نقطة تحت الباء واثنتين فوق التاء وثلاث للثاء ونقطة للجيم.. إلخ) انظر المحكم: للداني ص:٣٥ ـ ٤١.

(ت١٧٥هـ) بتغيير نقط الإعراب إلى علامات الإعراب المعروفة الآن حتى لا يقع خلط بين نقط الإعراب ونقط الإعجام على النحو التالي:

١ ـ (ـَ) فوق الحرف للفتح.

٢ ـ (ـُ) فوق الحرف للضم.

٣ ـ (ـِ) تحت الحرف للكسر.

٤ ـ (ـّ) فوق الحرف للتشديد وهي رأس ش من شديد.

٥ ـ (ـْ) فوق الحرف للسكون وهي رأس خـ من (خفيف).

ووضع الخليل أيضاً الهمزة، والتشديد، والروم، والإشمام، وهو أول من صنف في النقط وذكر علله[1].

وهكذا تتابع العلماء وازدادت عنايتهم في تحسين رسم المصحف حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري بلغ الرسم ذروته وتنافس العلماء في اختيار الخط، وابتكار العلامات المميزة[2].

تجزئة المصحف:

فقاموا بتجزئة المصحف. ولعل مستند التجزئة هو تيسيره للتلاوة والحفظ ويرجع هذا إلى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «قلت: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: اختمه في شهر. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: اختمه في عشرين. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: اختمه في خمسة عشر قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: اختمه في عشر. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: اختمه في خمس. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فما رخص لي» رواه الترمذي

(١) المقنع: للداني ص:١٢٥ والمحكم: له أيضاً ص:٦ وص:٩.

(٢) مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح ص:٩٤.

وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه[1] فقاموا بتجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً وقسموا الجزء إلى حزبين والحزب إلى أربعة أرباع والربع إلى عُشْرَين.

وقاموا بوضع علامات مختلفة كالخاء فوق كل آية خامسة أو مضاعفاتها. والعين فوق كل آية عاشرة أو مضاعفاتها. ووضعوا رقماً لكل آية أو علامة على نهايتها.

ووضعوا ديباجة في أول كل سورة يذكرون فيها اسم السورة وعدد آياتها ومكية هي أو مدنية.

ووضعوا بين الآيات أو فوقها علامات الوقف بأنواعه اللازم والممنوع والجائز بأنواعه (المستوى الطرفين، والجائز مع كون الوصل أولى، والجائز مع كون الوقف أولى) وتعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحدهما لم يقف على الآخر.

ووضعوا علامات سجدات التلاوة وزاد بعضهم فيذكر القائلين بالسجدة في كل موضع.

حكم هذه الزيادات:

للعلماء في نقط المصاحف مذهبان:

١ ـ المنع:

ويستدلون على ذلك بأدلة منها:

١ ـ قول الرسول ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ومن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه»[2].

---

(١) رواه الترمذي: جـ:٤ ص:١٩٦.

(٢) رواه مسلم: جـ:٤ ص:٢٢٩٨.

٢ ـ ما روى عن عبدان بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء»[١] وما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه: «جردوا القرآن»[٢].

٣ ـ ما روى عن الحسن وابن سيرين أنهما كانا يكرهان نقط المصاحف[٣].

٢ ـ الجواز:

ويستدلون على ذلك بأدلة منها:

١ ـ ما روى عن أئمة السلف في جوازه فقد سئل الحسن عن نقط المصاحف فقال: لا بأس به ما لم تبغوا» وقال ثابت بن معبد: العَجْمُ نور الكتاب، وقال الحَذّاء: «كنت أمسك على ابن سيرين في مصحف منقوط» وسئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن شكل القرآن في المصحف فقال: لا بأس به. وقال الليث: لا أرى بأساً أن ينقط المصحف بالعربية. وقال الإمام مالك: أما هذه المصاحف الصغار فلا أرى بأساً وأما الأمهات فلا. وقال أبو يوسف: كان ابن أبي ليلى من أنقط الناس لمصحف[٤] وقال الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا: لا بأس به. هو نور له»[٥].

والراجح:

هو جواز ذلك لأن النقط لا ينافي الأمر بالتجريد، ولأنه ـ كما قال الحليمي ـ ليس له صورة فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً، وإنما هي

---

(١)(٢) المحكم: الداني: ص:١٠.

(٣)(٤) المرجع السابق: ص:١٢ ـ ١٣.

(٥) المرجع السابق: ص:٣٥.

دلالات على هيئة المقرؤ فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها»[1] وقال النووي رحمه الله تعالى: «قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه والتصحيف» وقال: «وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد أُمِنَ ذلك اليوم فلا منع، ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثاً فإنه من المحدثات الحسنة فلم يمنع منه»[2].

حكم التجزئة وعلامات الوقف:

والخلاف في حكمها أقوى من الخلاف في النقط.

فقالت طائفة: بالمنع.

والمنع فيه أظهر من المنع في النقط.

فقد روى عن النخعي كراهة النقط والعواشر والفواتح وتصغير المصحف وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا[3] وروى عنه أنه أتي بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية فقال: امح هذا فإن ابن مسعود كان يكره هذا[4] وعن ابن سيرين أنه كان يكره أن يكتب في المصاحف هذه العواشر والفواتح[5] وعن أبي العالية أنه كان يكره الجمل في المصحف وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا[3] وقال الحليمي: «تكره كتابة الأعشار والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقوله: (جردوا القرآن)[6].

وقال البيهقي: من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مُفَرَّجاً بأحسن خط فلا يصغر ولا تقرمط حروفه، ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات

(١) الإتقان: السيوطي ج:٢ ص:٢١٩.
(٢) التبيان: النووي: ص:٢٧٥.
(٣)(٤) المصاحف: ابن أبي داود ص:١٥٣ ـ ١٥٤.
(٥) المرجع السابق: ص:١٥٧.
(٦) الإتقان: السيوطي ج:٢ ص:٢١٩.

والسجدات والعشرات، والوقوف، واختلاف القراءات، ومعاني الآيات»[1].

وقالت طائفة بالجواز:

معللين ذلك بأمن اللبس، وتحقق الفائدة، وأن الخلط بين النص القرآني وهذه المصطلحات بعيد كل البعد.

والراجح:

أن الحق وسط بين الإفراط والتفريط، وقد جاء في التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية أن اللجنة المشكلة لذلك درست المعلومات التي جرت العادة بإضافتها إلى المصحف دراسة دقيقة وافية، نوقشت فيها سائر الآراء والاتجاهات فتوصلت إلى أنها تنقسم إلى قسمين:

قسم: يضاف عادة أثناء النص القرآني وفي نطاقه وهو: أسماء السور، وعدد آياتها، والمكي والمدني، وما يستثنى من الآيات من ذلك. وبعضهم يزيد وقت نزول السورة، كل ذلك في فواتح السور، ورموز الوقوف وذلك في النص.

وقسم: يضاف في حواشي الصفحات إما في أعلى الصفحة كاسم السورة ورقم الجزء، أو في جانب الصفحة كرموز الأجزاء والأحزاب والأرباع والأعشار والأخماس، ورموز السجدات، والسكتات، وبعضهم يذكر خلاف الفقهاء في بعض السجدات.

أما (القسم الأول): فلم نتردد في حذفه واستبعاده من المصحف ما عدا أسماء السور لأنه يذكر في موضع خطرٍ هو محل تحذير السلف وهو نطاق النص القرآني، ولأن هذه المعلومات محل ذكرها كتب التفسير وعلوم القرآن. . . ولا يتحمل هذا النص القطعي المتواتر أن نثبت خلاله ما يحتمل الخطأ والصواب» إلى أن قالوا: «وهذا ينطبق على أسماء السور أيضاً إلا

---

(١) الإتقان: السيوطي: جـ:٢ ص:٢١٩.

أننا لم نتجاسر على حذفها لشدة الحاجة إليها، ولأنه لا خلاف فيها، فأبقينا عليها مع أن النفس تميل إلى حذفها جرياً على قاعدة (التجريد).

أما رموز الوقف وهي ألصق بالنص مما سبق فإن الكلام فيها كالكلام في النقط والشكل.

(أما القسم الثاني) وهو المعلومات التي تذكر خارج نطاق النص القرآني في حواشي الصفحات من أعلى أو من جانبها فإن المحذور فيها أهون، والخوف منها أقل، لبعدها عن مجال النص فأثبتنا أكثرها مع تصرف في الإخراج الطباعي يجعل التمييز بينها وبين النص واضحاً ـ قدر الإمكان ـ إلا ما يشار إليه عادة من خلاف الفقهاء في بعض السجدات فلم نتردد في حذفه لما فيه من التمادي في إثقال صفحات المصحف بما هو أجنبي عنه، ولما فيه من جرأة على كتاب الله بحشر خلاف البشر في صفحاته وإن كان هذا الخلاف معتبراً لكن مع ذلك لا ينبغي ذكره في المصحف»[(١)].

مرحلة طباعة المصحف:

ظهرت آلات الطباعة وبدأ استعمالها سنة (٨٣٥هـ ـ ١٤٣١م) في البلاد الأوروبية ولا شك أن للطباعة أثرها الكبير في انتشار المطبوعات.

وكانت الطباعة في بدايتها تقوم على تنضيد الحروف وليس على تصوير المكتوب، لذا فقد كانت الطباعة في تلك الفترة على الرسم الإملائي لتعذر الالتزام بالرسم العثماني.

وظهرت أول طبعة للقرآن الكريم في البندقية في إيطاليا في حدود سنة (٩٣٧هـ ـ ١٥٣٠م) ولكن السلطات الكنسية أصدرت أمراً بإعدامه حال ظهوره[(٢)].

---

(١) التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية: ٣٥ ـ ٤٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن: د/صبحي الصالح ص:٩٩.

ثم قام هنلكمان Hinkelmann بطبع القرآن في مدينة هامبورج في ألمانيا سنة (١١٠٦هـ ـ ١٦٩٤م)[١] ثم تلاه مراكي Marracciبطبعه في مدينة بادو في إيطاليا سنة (١١١٠هـ ـ ١٦٩٨) وليس لهذه الطبعات الثلاث أثر يذكر في العالم الإسلامي[٢]. وظهر فيها أخطاء فاحشة[٣].

أما في العالم الإسلامي فقد ظهرت أول طبعة إسلامية للقرآن في سانت بطرسبرج في روسيا سنة (١٢٠١هـ ـ ١٧٨٧م) وهي التي قام بها مولاي عثمان.

ثم ظهرت في إيران طبعتان حجريتان الأولى في طهران سنة (١٢٤٤هـ ـ ١٨٢٨م) والثانية في تبريز سنة (١٢٤٩هـ ـ ١٨٣٣م).

وأصدر المستشرق فلوجل طبعة خاصة سنة (١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٤م) في مدينة ليبزيغ في ألمانيا وتلقاها الأوربيون بحماس منقطع النظير بسبب إملائها الحديث الميسر[٢].

وظهرت طبعة جديدة للقرآن في قازان عاصمة التتار سنة (١٢٩٥هـ ـ ١٨٧٧م) وفي آخرها تصويب للأخطاء المطبعية، ومع طبعها بطريقة صف الحروف إلا أن فيها التزاماً في بعض المواضع لرسم المصحف[٤].

وظهرت طبعات للقرآن الكريم في الهند أيضاً ـ ثم طبع في الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية في تركيا سنة (١٢٩٥هـ ـ ١٨٧٧م) فطبع على أصل مصحف مخطوط بقلم الخطاط التركي المشهور حافظ عثمان[٥] ت ١١١٠هـ) وإذا علمنا أن هذه الطبعة من أفضل الطبعات وأدقها ومع هذا فلم

(١) توجد من هذا المصحف نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٦ مصاحف) ومنه نسخة في مكتبة جامعة القاهرة.
(٢) مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح ص:٩٩.
(٣) رسم المصحف: د. غانم قدوري ص:٦٠٢.
(٤) توجد منه نسخة في مكتبة جامعة القاهرة برقم (٢١٥٤٢).
(٥) في مكتبة جامعة القاهرة برقم (٤٤٠٥) نموذج من هذا المصحف.

تكن ملتزمة للرسم العثماني التزاماً دقيقاً حتى غلا بعض النقاد فقال: «لا يجوز إطلاق كلام الله على مصحف حافظ عثمان وإنما يجوز إطلاق بعض كلام الله»[١] وقال أيضاً: «إن مصحف حافظ عثمان مشتمل على نقص وزيادة»[٢]!!! وقال في موضع آخر: «فيجب على كل مسلم أن يتخذ لنفسه مصحفاً من المصاحف التي رسمت على رسم مصاحف أهل السنة والجماعة إن كان يحسن القراءة، وإن كان تحت يده مصحف أو مصاحف برسم حافظ عثمان ونحوه بادر إلى حرقه»[٣]!!

إذا كان هذا النقد الحادّ وغير المعتدل لما كتبه حافظ عثمان مع اختلافه عن رسم المصحف في بعض المواضع فكيف سيكون الموقف من الطبعات التي كتبت بطريقة صف الحروف وفيها اختلاف كثير.

ولذا فقد كتب الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي مصحفاً اعتنى فيه بكتابة الكلمات القرآنية على قواعد الرسم القرآني وأضاف إليها بعض الإفادات المتعلقة بالعدّ والوقف وتحرير الرسم والضبط وتاريخ كتابة القرآن وغير ذلك وطبع هذا المصحف في المطبعة البهية في القاهرة سنة (١٣٠٨هـ ـ ١٨٩٠م) قال الشيخ عبد الفتاح القاضي: «وكان هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم والقراء.. المعول عليه عندهم المقدم دون سائر المصاحف لما اشتمل عليه من المزايا السابقة بيد أنه لم يبرز في صورة حسنة تروق الناظر وتنشط القارئ لرداءة ورقه، وسوء طبعه إذ أنه طبع في مطبعة حجرية»[٤].

ثم أصدر الملك فؤاد الأول أمره إلى مشيخة الأزهر بتشكيل لجنة من

---

(١)(٢) الفرائد الحسان في بيان رسم القرآن: محمد بن يوسف التونسي الشهير بالكافي ص: ٤٧.

(٣) المرجع السابق: ص٥٧.

(٤) تاريخ المصحف الشريف: عبد الفتاح القاضي: ٥٩ ـ ٦٠.

العلماء للإشراف على طبع مصحف، وقد تم تشكيل لجنة[1] قامت بكتابة القرآن كله حسب قواعد الرسم العثماني، وضبطوه الضبط التام على ما ذهب إليه المحققون من العلماء وأضافوا إليه عدد الآي في كل سورة وأنها مكية أو مدنية وأنها نزلت بعد سورة كذا، ورقموا الآيات، وعلامات الوقوف، والأجزاء والأحزاب والأرباع، والسجدات، وقد كتب هذا المصحف بخط أحد أعضاء اللجنة وهو الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد (ت١٣٥٧هـ) شيخ المقارئ المصرية حينذاك وانتهت اللجنة من أعمالها عام ١٣٣٧هـ فأمر الملك فؤاد بطبعه فطبع سنة (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م) ويعرف هذا المصحف بـ (المصحف الملكي) ثم أعيد طبعه بعد ذلك عدة مرات وفاقت هذه الطبعة كافة الطبعات في الشهرة والقبول مع أنها لا تخلو من ملحوظات[2].

وفي عام ١٣٦٨هـ صدر مصحف سمي بمصحف مكة المكرمة وكتبه الخطاط المشهور محمد طاهر بن عبد القادر كردي وراجعه عدد من علماء مكة المكرمة حينذاك.

ثم توالت الطبعات التجارية في مختلف بلدان العالم الإسلامي وغير التجارية وأصبح عرضة لإهمال الطابعين وتساهل الناشرين عن العناية بتصحيحه ومراجعته توفيراً لتكاليف طبعه.

إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف:

ولهذا احتاج الأمر أن يهب الغيورون لحماية المصحف والإنفاق على طبعه الطبعات السليمة فتصدت لهذا الأمر حكومة المملكة العربية السعودية

---

(١) تشكلت اللجنة من: حفني ناصف، ومصطفى عناني، وأحمد الإسكندري ورئيسها الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني المشهور بالحداد.

(٢) أمرت مشيخة الأزهر بتشكيل لجنة لمراجعة هذه الطبعة فكتبت ملحوظاتها وقد أورد هذه الملحوظات أحد أعضاء هذه اللجنة وهو الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه (تاريخ المصحف الشريف ص: ٦٢ ـ ٦٥).

وفقها الله بإنشاء (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) بالمدينة النبوية وزُوِّد بأحدث وأرقى أنظمة الطباعة وإمكاناتها لإصدار طبعة سليمة ممتازة للمصحف توفر له العناية العلمية اللازمة بتصحيحه ومراجعته، بإشراف عدد من العلماء البارزين المتخصصين ونشر هذا المصحف على أوسع نطاق، وبهذا يتحقق سد حاجة المسلمين لهذا النوع من الطباعة، والحدّ من تلاعب ضعاف النفوس من الناشرين والطابعين بكتاب الله.

وفي ٢٠/٤/١٤٠٤ تم تشكيل لجنة لاختيار مصحف تجرى طباعته وتكونت اللجنة من خمسة عشر عضواً وروعي في تشكيلها أن تتضمن علماء مختصين في سائر العلوم المتصلة بالمصحف. وتم اختيار المصحف الذي كتبه الخطاط الدمشقي عثمان طه وذلك لجودة خطه ووضوحه وسلاسته ولقلة الأخطاء فيه وقامت اللجنة بمراجعته وفحصه فحصاً دقيقاً آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، وحركة حركة مع الفحص الدقيق للإصطلاحات والرموز وتم ختم القرآن أثناء المراجعة أكثر من مائتي مرة. وقامت اللجنة بإجراء تعديلاتها وتصحيحاتها حتى جاءت طبعتها أفضل طبعة صدرت للمصحف حتى الآن وألزمها لرسم المصحف، وأقلها خطأ بتوفيق الله عز وجل. واختارت لهذه الطبعة اسم (مصحف المدينة النبوية).

وقامت حكومة المملكة العربية السعودية بطبع ملايين النسخ[١] من هذا المصحف بأحجام مختلفة وتوزيعه في سائر أنحاء العالم الإسلامي هدية منها إلى الشعوب الإسلامية في كل مكان، كما تفضلت بسنة حميدة وهي إهداء نسخة من هذا المصحف لكل حاج في جميع منافذ هذه البلاد، ولسلامة هذه البلاد من أخطاء الطبعات الأخرى منعت الحكومة السعودية

---

(١) نشرت الصحف أن مجموع ما تم توزيعه من مصحف المدينة النبوية منذ إنشاء المجمع سنة ١٤٠٣ حتى شهر شوال ١٤١٧ بلغ نحو مائة وخمسة ملايين نسخة (١٠٥,٠٠٠,٠٠٠).

دخول أي طبعة للقرآن الكريم غير طبعة (مصحف المدينة النبوية)[1] وفقها الله إلى كل خير.

(١) رجعت فيما ذكرت من معلومات عن (مصحف المدينة النبوية) إلى طبعة المصحف نفسه وإلى التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية الذي أصدرته لجنة المراجع سنة ١٤٠٦.

المصادر[1]

١ - إتحاف فضلاء البشر: أحمد بن محمد البنا، دار الندوة الجديدة، بيروت.
٢ - الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية، ١٣٤٣هـ المطبعة الأزهرية بمصر والطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ، مصطفى البابي الحلبي.
٣ - إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن: د. عبد الله أحمد عثمان أحميد، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ.
٤ - أخلاق أهل القرآن: أبو بكر الآجري: تحقيق محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار الباز، مكة المكرمة.
٥ - أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٦ - أسماء القرآن الكريم في القرآن: د. خمساوي أحمد الخمساوي، دار التحرير، القاهرة.
٧ - أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٨ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الجكني الشنقيطي عالم الكتب، بيروت.
٩ - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
١٠ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي مصر - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
١١ - تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين ترجمة د. محمود حجازي ود. فهمي أبو الفضل - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

(١) لم أذكر مراجع الأبواب الخمسة الأخيرة وسأذكرها إن شاء الله بعد اكتمال مباحث الكتاب.

١٢ ـ التبيان في آداب حملة القرآن: النووي تحقيق: عبده الكوشك، مكتبة الإحسان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٣ ـ التذكار في أفضل الأذكار: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ثروت محمد نافع، دار التوحيد ـ مصر.
١٤ ـ تذكرة السامع والمتكلم: بدر الدين ابن جماعة ـ دار الكتب العلمية.
١٥ ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) مكتبة النهضة الحديثة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.
١٦ ـ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.
١٧ ـ توضيح الأفكار: محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.
١٨ ـ تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري تحقيق عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٩ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر. وطبعة المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٨هـ.
٢٠ ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٩٦٥م.
٢١ ـ الجامع الصحيح: أبو عيسى الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٢٢ ـ جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين السخاوي تحقيق د. علي البواب مكتبة التراث ـ مكة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ.
٢٣ ـ جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير: أحمد ياسوف، دار المكتبي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دمشق.
٢٤ ـ الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم: لبيب السعيد، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ.
٢٥ ـ جوامع السيرة: ابن حزم ـ تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد دار المعارف بمصر.
٢٦ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية: أبو محمد بن أبي الوفاء تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ.
٢٧ ـ حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٨ ـ خصائص القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن الرومي ـ دار طيبة ـ الرياض الطبعة السابعة ـ ١٤١١هـ.
٢٩ ـ خطط الشام: محمد كرد علي مكتبة النوري ـ دمشق ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ.
٣٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة.
٣١ ـ دفاع عن الإسلام: لورا فاغليري ترجمة منير البعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الثانية ١٩٦٣م.
٣٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٣٣ ـ رحلة ابن بطوطة: المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٦هـ.
٣٤ ـ رحلة ابن جبير: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ١٩٨١م.
٣٥ ـ زاد المعاد: ابن قيم الجوزية ـ المطبعة المصرية ومكتبتها.
٣٦ ـ سنن الدارمي: دار الفكر ـ القاهرة ـ ١٣٩٨هـ.
٣٧ ـ سنن ابن ماجه: دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.
٣٨ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي. أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٣٩ ـ سيرة ابن هشام: تحقيق السقا، الأبياري، شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي مصر ١٣٥٥هـ.
٤٠ ـ شرح السنة: أبو محمد الفراء البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ـ رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
٤١ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: الحسن العسكري تحقيق عبد العزيز أحمد الناشر ـ مصطفى الحلبي ـ مصر ـ الطبعة الأول ـ ١٣٨٣هـ.
٤٢ ـ صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية ـ استنبول ـ تركيا ـ ١٩٧٩م.
٤٣ ـ صحيح مسلم: تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ.
٤٤ ـ طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة الطبعة الأولى.
٤٥ ـ طبقات المفسرين: شمس الدين الداودي تحقيق علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة الطبعة الأولى.

٤٦ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية مطبعة الاتحاد الشرقي ـ دمشق.
٤٧ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تحقيق: إبراهيم عطوه عوض ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
٤٨ ـ فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ـ تصحيح عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد عبد الباقي ـ دار الفكر ـ تصوير عن الطبعة السلفية.
٤٩ ـ فتح المغيث شرح الفية الحديث: شمس الدين السخاوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.
٥٠ ـ فضائل القرآن: ابن كثير الدمشقي ـ دار الأندلس.
٥١ ـ فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: ابن الجوزي ـ تحقيق حسن ضياء الدين عتر داء البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ.
٥٢ ـ الفهرست: ابن النديم: دار الباز ـ مكة المكرمة.
٥٣ ـ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ـ المكتب المصري الحديث، القاهرة.
٥٤ ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
٥٥ ـ كُتَّاب النبي ﷺ: د. محمد مصطفي الأعظمي ـ المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ـ بيروت.
٥٦ ـ كُتَّاب الوحي د. أحمد عبد الرحمن عيسى ـ دار اللواء ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
٥٧ ـ الكشاف: الزمخشري ـ طبعة انتشارات آفتات ـ تهران ـ وطبعة دار المعرفة بيروت.
٥٨ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين علي الهيثمي تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٥٩ ـ كشف الظنون: حاجي خليفة ـ دار العلوم الحديثة ـ بيروت.
٦٠ ـ لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي دار أحياء العلوم بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٨م.
٦١ ـ لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
٦٢ ـ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ـ مكتبة المعارف ـ الرياض الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ.

٦٣ ـ مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح دار العلم للملايين الطبعة الثامنة ١٩٧٤م.
٦٤ ـ مجمع الزوائد: علي الهيثمي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٦٥ ـ مجموع الفتاوى ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ـ مطابع الرياض ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨١هـ.
٦٦ ـ مخلفات الرسول ﷺ في المسجد الحسيني ـ د. سعاد ماهر دار النشر لجامعة القاهرة ١٩٨٩م.
٦٧ ـ مدخل إلى القرآن الكريم: د. محمد عبد الله دراز ـ دار القلم ـ الكويت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٦٨ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم: د. محمد محمد أبو شهبة، الطبعة الثانية.
٤٩ ـ مذاهب التفسير الإسلامي: اجنتس جولد تسيهر ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار إقرأ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٧٠ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: أبو شامة المقدسي تحقيق طيار قولاج، دار صادر ـ بيروت ١٣٩٥.
٧١ ـ المستدرك: الحاكم النيسابوري ـ دار الكتب العلمية.
٧٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ المكتب الإسلامي، دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٣هـ. الطبعة الرابعة بتحقيق وتخريج أحمد محمد شاكر.
٧٣ ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الطبعة الأولى ـ ١٣٩٢هـ.
٧٤ ـ المصاحف: أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، دار الباز، مكة المكرمة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٧٥ ـ معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت الطبعة الأخيرة.
٧٦ ـ معجم المفسرين: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٧٧ ـ مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده مراجعة وتحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب أبوالنور ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.
٧٨ ـ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم الكويت ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩١هـ.

٧٩ ـ المقنع: أبو عمرو الداني تحقيق/ محمد أحمد دهمان، دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٣هـ.
٨٠ ـ مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم آل جعفر، ود. محي هلال السرحان، وزارة التعليم العالي ـ العراق ـ الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٨١ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.
٨٢ ـ الموافقات في أصول الشريعة ـ أبو إسحاق الشاطبي ـ بشرح عبد الله دراز وترقيم محمد عبد الله دراز، دار المعرفة ـ بيروت.
٨٣ ـ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: على وفتحية البجاوي، دار الفكر العربي.
٨٤ ـ النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم ـ الكويت، الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٧هـ.
٨٥ ـ النشر في القراءات العشر ـ ابن الجزري ـ دار الكتب العلمية بيروت.
٨٦ ـ نور الثقلين: (عبد علي) الحويزي دار الكتب العلمية ـ قم ـ إيران.
٨٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير تحقيق محمود الطناحي المكتبة الإسلامية.
٨٨ ـ الهدى والبيان في أسماء القرآن: صالح بن إبراهيم البليهي، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
أولاً: تعريف علوم القرآن الكريم: المعجزة الكبرى	٧
تعريف علوم القرآن	١٦
تعريف العلوم	١٦
تعريف القرآن	١٦
التعريف بالقرآن لغة	١٨
التعريف بالقرآن اصطلاحاً	٢١
الفروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي	٢٢
أسماء القرآن الكريم وصفاته	٢٥
تعريف علوم القرآن بالمعنى الإضافي	٢٩
تعريف علوم القرآن كفن مدون	٣٠
موضوع علوم القرآن الكريم	٣٠
ثمرة علوم القرآن الكريم	٣٠
ثانياً: نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها: في عهد الرسول ﷺ	٣٢
في عهد الصحابة رضي الله عنه	٣٢
في عهد التابعين رحمهم الله تعالى	٣٥
بداية التأليف في علوم القرآن الكريم (عهد التدوين)	٣٧
ظهور اصطلاح علوم القرآن الكريم	٤١
أهم المؤلفات في علوم القرآن الكريم	٤١
أهم المؤلفات في علوم القرآن كفن مدون (قديماً)	٤١
أهم المؤلفات في علوم القرآن كفن مدون (حديثاً)	٤٤

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثاً: فضائل القرآن الكريم وآداب تلاوته: فضائله العامة:	٤٧
في القرآن	٤٨
في السنة النبوية	٤٩
فضائل بعض سوره وآياته	٥٠
فضل تلاوته	٥١
فضل استماعه	٥٣
فضل الاجتماع لتدارسه	٥٣
آداب التلاوة والاستماع	٥٤
رابعاً: خصائص القرآن الكريم:	٥٧
أولاً: خصائص تتعلق بفضله وشرفه ومكانته	٥٨
ثانياً: خصائص تتعلق بأسلوبه ولغته	٦٠
ثالثاً: خصائص عامة	٦٢
خامساً: جمع القرآن الكريم: أنواعه	٦٦
جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور: الدليل عليه	٦٦
حكمه	٦٧
فضله	٦٧
حفظ الرسول ﷺ	٦٧
حفظ الصحابة رضي الله عنهم	٦٨
إشكال	٧٠
جواب	٧٠
من دواعي حفظ الصحابة للقرآن	٧١
حفظ التابعين رحمهم الله تعالى	٧٢
حفظ القرآن في العصر الحديث	٧٣
خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور	٧٣
جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه في عهد الرسول ﷺ	٧٤
كُتّاب الوحي	٧٤
صفته	٧٥
أدوات الكتابة	٧٥
مزاياه	٧٦

الموضوع	رقم الصفحة
في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سببه	٧٨
تاريخه	٧٩
أسباب اختيار زيد رضي الله عنه لجمعه	٧٩
منهجه في الجمع	٨٠
مميزات هذا الجمع	٨٢
مكانته	٨٢
تسمية المصحف	٨٢
خبر هذا المصحف	٨٣
في عهد عثمان رضي الله عنه	٨٣
سببه	٨٣
تاريخه	٨٤
فكرة الجمع	٨٥
اللجنة المختارة	٨٥
المنهج لهذا الجمع	٨٥
مزاياه	٨٧
الفروق بين جمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما	٨٩
إنفاذ المصاحف	٩٠
موقف الصحابة من هذا الجمع	٩١
عدد المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها	٩٣
خبر هذه المصاحف	٩٤
جمعه بمعنى تسجيله تسجيلاً صوتياً	٩٦
تعريف المصحف المرتل	٩٨
المراد به وأدواته	٩٩
أسبابه ودواعيه	٩٩
تاريخه	١٠٠
بدء الطبع وكيفية التسجيل	١٠٠
القراء	١٠٠
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف	١٠١
ترتيب سور القرآن الكريم وآياته	١٠٣
سور القرآن الكريم	١٠٣

الموضوع	رقم الصفحة
طريق معرفة السورة	١٠٤
عدد سور القرآن	١٠٤
أسماء السور	١٠٤
مصدر التسمية	١٠٥
أقسام السور	١٠٦
أقوال العلماء في ترتيب السور	١٠٧
حكمة تسوير القرآن	١١٢
آيات القرآن الكريم:	١١٤
تعريف الآية	١١٤
إطلاق الآية	١١٥
عدد آيات القرآن الكريم	١١٥
ترتيب الآيات	١١٦
طريق معرفة بداية الآيات ونهاياتها	١١٧
فوائد معرفة الآيات	١١٨
فوائد عامة	١١٩
سادساً: المكي والمدني:	١٢٢
عناية العلماء بالمكي والمدني	١٢٣
أنواع المكي والمدني	١٢٤
السور المكية والسور المدنية	١٢٤
طريق معرفة المكي والمدني	١٢٥
أقوال العلماء في الفرق بين المكي والمدني (تعريف المكي والمدني)	١٢٧
ضوابط السور المكية	١٢٨
مميزات السور المكية	١٣٠
ضوابط السور المدنية	١٣١
مميزات السور المدنية	١٣٢
فوائد معرفة المكي والمدني	١٣٢
سابعاً: أسباب النزول:	١٣٤
عناية العلماء بأسباب النزول	١٣٤
تعريف سبب النزول	١٣٥

الموضوع	رقم الصفحة
طريق معرفة سبب النزول	١٣٧
فوائد معرفة سبب النزول	١٣٩
الاستفاد من معرفة سبب النزول في مجال التربية والتعليم	١٤٦
ثامناً: التفسير بالمأثور وأهم المؤلفات فيه:	١٤٨
تعريف التفسير	١٤٨
مناهج التفسير	١٤٩
التفسير بالمأثور وأهم المؤلفات فيه	١٥٠
تعريفه	١٥٠
مكانته	١٥٠
مصادره	١٥١
أسباب الإختلاف فيه	١٥٢
حكمه	١٥٣
أهم المؤلفات فيه	١٥٤
أولاً: جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري	١٥٤
ثانياً: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير	١٥٦
ثالثاً: الدر المنثور: السيوطي	١٥٧
رابعاً: أضواء البيان: الشنقيطي	١٥٧
تاسعاً: التفسير بالرأي وأهم المؤلفات فيه:	١٥٩
تعريفه	١٥٩
أقسامه	١٥٩
التفسير بالرأي المحمود وحكمه	١٥٩
التفسير بالرأي المذموم وحكمه	١٥٩
أهم المؤلفات في التفسير بالرأي	١٦٠
أولاً: الكشاف: الزمخشري	١٦٠
ثانياً: مفاتيح الغيب: الرازي	١٦٢
ثالثاً: تيسير الكريم الرحمن: ابن سعدي	١٦٣
رابعاً: في ظلال القرآن: سيد قطب	١٦٣
عاشراً: شروط المفسر وآدابه:	١٦٦
شروط المفسر	١٦٧

الموضوع	رقم الصفحة
آداب المفسر	١٦٨
الوحي	١٧٠
حاجة البشر إليه	١٧٠
تعريف الوحي لغة	١٧٣
أنواعه بالمعنى اللغوي	١٧٤
الوحي شرعاً	١٧٦
أنواعه بالمعنى الشرعي	١٧٧
كيفية وحي الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة عليهم السلام	١٨٠
كيفية وحي الله سبحانه وتعالى إلى الرسل عليهم السلام	١٨٢
كيفية وحي الملك إلى الرسول	١٨٣
إمكانية وقوع الوحي	١٨٧
أدلة وقوع الوحي	١٨٩
نزول القرآن الكريم	١٩١
أدلته	١٩٢
أقوال العلماء في نزول القرآن الكريم	١٩٢
القول الأول	١٩٢
القول الثاني	١٩٥
القول الثالث	١٩٥
القول الرابع	١٩٦
الراجح	١٩٧
نزول القرآن جملة	١٩٨
كيفيته	١٩٨
دليله	١٩٩
واسطته	٢٠٠
مدته	٢٠٠
حكمته	٢٠١
اختصاص القرآن الكريم بنزوله جملة	٢٠٣
نزول القرآن الكريم منجماً	٢٠٣
كيفيته	٢٠٣

الموضوع	رقم الصفحة
واسطته	٢٠٣
دليله	٢٠٤
مقدار ما ينزل في كل مرة	٢٠٤
مدته	٢٠٥
الحكمة في نزول القرآن منجماً	٢٠٧
أولاً	٢٠٧
ثانياً	٢١٣
ثالثاً	٢١٤
رابعاً	٢١٩
خامساً	٢٢٠
سادساً	٢٢١
الاستفادة من نزول القرآن منجماً في مجال التربية والتعليم	٢٢٣
أول ما نزل وآخر ما نزل	٢٢٦
أقوال العلماء في أول ما نزل من القرآن على الإطلاق	٢٢٧
الأول	٢٢٧
الثاني	٢٢٨
الثالث	٢٣٠
الرابع	٢٣١
أقوال العلماء في آخر ما نزل	٢٣٢
الأول	٢٣٣
الثاني	٢٣٤
الثالث	٢٣٥
الرابع	٢٣٧
الخامس	٢٣٧
السادس	٢٣٨
السابع	٢٣٩
الثامن	٢٤٠
إشكال ودفعه	٢٤١
أوائل وأواخر مخصوصة	٢٤٣

الموضوع	رقم الصفحة
أولاً: أول ما نزل وآخر ما نزل في الخمر	٢٤٣
ثانياً: أول ما نزل وآخر ما نزل في الربا	٢٤٨
ثالثاً: أول ما نزل وآخر ما نزل في الجهاد	٢٤٩
فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل	٢٥٣
إعجاز القرآن الكريم	٢٥٥
تعريف المعجزة لغة	٢٥٥
تعريف المعجزة اصطلاحاً	٢٥٦
المعجزة في القرآن الكريم	٢٥٧
شروط المعجزة	٢٥٩
جواز وقوع المعجزة	٢٦١
المراد بإعجاز القرآن الكريم	٢٦٢
إثبات إعجاز القرآن الكريم	٢٦٣
عناية العلماء به، وأهم المؤلفات فيه	٢٦٥
مراحل التحدي بالقرآن الكريم	٢٦٩
مقدار المعجز من القرآن الكريم	٢٧٠
وجوه الإعجاز في القرآن الكريم	٢٧١
القول الأول	٢٧٢
القول الثاني	٢٧٤
القول الثالث	٢٧٨
القول الرابع	٢٧٩
القول الخامس	٢٨٠
الإعجاز اللغوي	٢٨١
الإعجاز العلمي	٢٨٩
المراد به	٢٨٩
أقوال العلماء فيه	٢٨٩
المؤيدون للتفسير العلمي	٢٩٠
أدلتهم	٢٩١
المعارضون للتفسير العلمي	٢٩٢
أدلتهم	٢٩٣

الموضوع	رقم الصفحة
الرأي المختار	٢٩٤
من المؤلفات في الإعجاز العلمي	٢٩٦
أمثلة للتفسير العلمي	٢٩٧
الإعجاز التشريعي	٢٩٩
منهج القرآن في التشريع	٣٠٠
أولاً: تربية الفرد	٣٠٠
ثانياً: بناء الأسرة	٣٠٦
ثالثاً: بناء المجتمع	٣٠٧
مزايا التشريع القرآني	٣١١
رسم المصحف	٣١٣
تعريفه	٣١٤
عناية العلماء به	٣١٥
قواعد رسم المصحف	٣١٧
القاعدة الأولى: قاعدة الحذف	٣١٨
القاعدة الثانية: قاعدة الزيادة	٣٢٣
القاعدة الثالثة: قاعدة البدل	٣٢٦
القاعدة الرابعة: قاعدة الهمز	٣٣١
رسم بياني لهذه القاعدة	٣٣٥
القاعدة الخامسة: قاعدة الوصل والفصل	٣٣٦
القاعدة السادسة: ما فيه قراءتان	٣٣٨
فوائد ومزايا رسم المصحف	٣٤٠
طريق معرفة رسم المصحف	٣٤٤
القول الأول: أنه توقيفي	٣٤٤
القول الثاني: أنه اصطلاحي	٣٤٥
الرأي الراجح	٣٤٦
حكم التزام الرسم العثماني	٣٤٧
القول الأول: وجوب التزامه	٣٤٧
القول الثاني: جواز مخالفته	٣٤٨
القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الإملائي للتعليم	٣٤٩

الموضوع	رقم الصفحة
الرأي الراجح	٣٤٩
نقط المصحف وشكله وتجزئته	٣٥٢
تجزئة المصحف	٣٥٤
حكم هذه الزيادات	٣٥٥
حكم التجزئة وعلامات الوقف	٣٥٧
مرحلة طباعة المصحف	٣٥٩
إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف	٣٦٢
المصادر والمراجع	٣٦٥
المحتويات	٣٧١
للمؤلف	٣٨١

للمؤلف

تأليف :

١ ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (مجلدين) الطبعة الخامسة ١٤١٤.
٢ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٣ مجلدات) الطبعة الثالثة ١٤١٨.
٣ ـ الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها الطبعة السابعة ١٤١٧.
٤ ـ خصائص القرآن الكريم الطبعة التاسعة ١٤١٧.
٥ ـ دراسات في علوم القرآن الكريم الطبعة السابعة ١٤١٩.
٦ ـ بحوث في أصول التفسير ومناهجه الطبعة السابعة ١٤١٨.
٧ ـ قصة عقيدة الطبعة الأولى ١٤١٤.
٨ ـ البدهيات في القرآن الكريم (دراسة نظرية) الطبعة الثانية ١٤١٨.
٩ ـ البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم (دراسات تطبيقية) الطبعة الثانية ١٤١٨.
١٠ ـ وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف الهجائية المقطعة في أوائل السور الطبعة الثانية ١٤١٨.
١١ ـ التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري الطبعة الثانية ١٤١٨.
١٢ ـ منهج المدرسة الأندليسة في التفسير (صفاته وخصائصه) الطبعة الثانية ١٤١٨.
١٣ ـ مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها الطبعة الثانية ١٤١٨.

تحقيق :

١ ـ تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الخامسة ١٤٠٩.
٢ ـ تفسير سورة الفلق للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الرابعة ١٤١٧.

٣ ـ تفسير سورة الناس للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الثانية ١٤١٤.

٤ ـ تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى (مختصر) الطبعة الثالثة ١٤١٥.

٥ ـ فضائل القرآن الكريم للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الثانية ١٤١٨.

٦ ـ قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موسى بن محمد بن عبد الله الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

بالاشتراك:

١ ـ الموسوعة الإسلامية الميسرة (مجموعة من الباحثين من العالم الإسلامي) ١٠ مجلدات.

٢ ـ طرق تدريس التجويد وأحكام تعلمه وتعليمه (مع الدكتور محمد الزعبلاوي) الطبعة الثالثة ١٤١٨.